الميسر في

البلاغة العربية

دروس وتمارين

ابن عبد الله أحمد شعيب

دار ابن حزم

الشركة الجزائرية اللبنانية
SOCIETE ALGEROLIBANAISE

الميسر في البلاغة العربية

دروس وتمارين

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

ISBN 978–9953–81–616-6

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

الشركة الجزائرية اللبنانية
SOCIETE ALGEROLIBANAISE

4 شارع الهواء الجميل، باش جراح ـ الجزائر العاصمة
هاتف: 266016 - 267152 (021)
فاكس: 267165 (021)

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت ـ لبنان ـ ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 ـ 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

المُيَسَّرُ في
البَلَاغَةِ العَرَبِيَّةِ
دُرُوسٌ وَتَمَارِينُ

ابن عبد الله أحمد شعيب

الشركة الجزائرية اللبنانية
SOCIETE ALGEROLIBANAISE

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى الوالدين الحبيبين

عبد الله ورحمة

غفر الله تعالى لهما ورحمهما

وأكرمهما بكرمه الواسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسلام على خاتم النبيّين والمرسلين، سيّدنا محمد العربي الأمين، وعلى آله وصحبه ومَنْ تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمّا بعد:

فإن علوم البلاغة هي مستودع سرّ العلوم العربية، ومظهر جلالها، فلا فضيلة ولا مَزِيَّة لكلام إلّا ما يحويه من لطائفها، ويُودع فيه من خصائصها. ولا تبريز ولا غلبة لمتكلّم على آخر إلّا بما يَحُوكه من وَشْيها، ويلفظه من درِّها، وينفث من سحرها ويَجْنِيه من يانع ثمارها.

كما أنه لا مجال لفهم براعة أسلوب، أو معرفة جمال بيان، أو الاطّلاع على انسجام تأليف، أو الوقوف على حسن صورة وبُعْد خيال، أو إدراك سلامة نَظْم، أو تذوّق جزالة لفظ وعذوبته، إلّا بدراسة قواعدها، وإدراك مراميها ومغازيها.

لهذا ـ ولجليل خطر هذا العلم وعظيم منزلته، وضعنا هذا الكتاب المُرشد الميسّر وغايتنا غرس ملكة البلاغة في طلّابنا ـ وخاصّة الذين هم في أوّل عهدهم ـ وطبعهم على الذَّوْق العربي في معالجة النص الأدبي وتبصرتهم بأسرار الكلام البليغ وما فيه من ضروب الحسن وبدائع البيان.

أملنا أن نكون قد وُفِّقنا إلى ما قصدنا، وهُدِينا إلى الغرض الذي توخّينا، وعلى الله التّكلان وبه المُستعان.

علوم البلاغة ووحدتها

يجمع البلاغة علوم ثلاثة ومقدّمة وخاتمة، والعلوم هي معانٍ وبيان وبديع، والمقدّمة في الفصاحة والبلاغة، والخاتمة عن السرقات الشعرية وما يتبعها، ويجمعها تعريفٌ واحد، هو: مراعاة المقال لمقتضى الحال مع فصاحته، ويعني هذا التعريف أنّ علوم المعاني والبيان والبديع، ما عُدَّت من فنون البلاغة العربية، إلّا إذا توافر لها التأثير والإقناع والحُسْن، مع مراعاة سلامة الألفاظ والتراكيب.

والحقيقة أن تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة: معانٍ وبيانٍ وبديع، وتحديد كلّ منها بحدٍّ صحيح يفصله عن غيره، وكذلك محاولة تحديد مجال كلّ منها، أمور غير مسلمة على إطلاقها؛ لأننا لو حاولنا أن نفسّر معنى كل علم من هذه العلوم الثلاثة لوقفنا على الجزئيّات المشتركة بينها، وكذلك مواطنَ الاتّصال بحيث يصعب التقسيم.

فالبلاغة عُرِّفت كلّها بأنها: «مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته»، وعلم البيان: هو علمٌ يُعْرف به إيراد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة مع وضوح الدّلالة عليه.

وعلم المعاني: هو العلم الذي يُعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال.

وعلم البديع: هو علمٌ يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعايته لمقتضى الحال ووضوح الدّلالة.

هذا جميعه يبرز الصّلة بين العلوم الثلاثة وتداخل الفصاحة والبلاغة معها.

ولو أنّنا تدبَّرنا تعريفات هذه العلوم لوصلنا إلى إدراك هذا التداخل، وذلك في ما تُبحث فيه هذه العلوم.

فإذا كان علم المعاني عندهم هو العلم الذي يُحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد، وبه يُعرف ما يطابق الكلام به مقتضى الحال، وسمّوه علم المعاني؛ لأن به تُعرف المعاني التي يُصاغ لها الكلام، وهي المدلولات العقلية! فإنّ علم البيان عندهم يحترز به عن التعقيد المعنويّ، وسمّي علم البيان لأن له مزيد تعلّق بالوضوح والبيان، من حيث إنه يُعرف به اختلاف طرق الدّلالة في الوضوح والبيان، ومن هنا يتّضح لنا رعاية المطابقة بين علمَيْ المعاني والبيان من مواطن الاتّصال بينهما، ووضوح الدّلالة من مواطن الاتّصال بين الفصاحة والبلاغة والمعاني والبيان.

ويتّضح كذلك تداخل البديع معها إذا توافرت له المطابقة ووضوح الدلالة، وهو شرطٌ يجب أن يكون فيه؛ فالبديع كما هو في تعريف البلاغيّين: هو علمٌ يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعايته لمقتضى الحال ووضوح الدلالة.

ويبقى السؤال: لماذا لجأ العلماء إلى التقسيم بين العلوم الثلاثة على الرغم من ذلك التداخل ومواطن الاتّصال بينها؟

والجواب أن تقسيم البلاغة إلى أقسام ثلاثة فيه من المنهجيّة ما يجعل القارىء يستسيغها ويتفهّمها ويَعِيها، إلّا أنّ التّمادي في فصل أنواعها فصلاً تامّاً، وإقامة الحواجز بينها يجعلها علوماً مستقلّة، هو المعيب المرفوض، ولهذا اعتُبِرت مقدّمة البلاغة، جزءاً مهمّاً من دراسة البلاغة نفسها.

البلاغة والفصاحة

البلاغة والفصاحة

البلاغة لغة تُنبىء عن الوصول والانتهاء، فهي مأخوذة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبَلَّغْتُها غيري. والمبالغة في الأمر: أن تبلغ فيه جهدك وتنتهي إلى غايته. وقد سُمّيت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب سامعه، فيفهم. ويقال: بلغ الرجل بلاغة، إذا صار بليغًا، ورجل بليغٌ وبَلْغ وبِلَغ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه[1]. وبَلغَ - بالضمّ - بلاغة صَارَ بليغاً، وتبالغ في كلامه تعاطى البلاغة وما هو ببليغ، وتبالغ به الفرح والحزن تناهى.

والبلاغة هي ملكة يقتدر بها على التصرّف في فنون الكلام وأغراضه المختلفة ببديع القول وساحر البيان، وهي من صفة المتكلّم، وتسميتنا المتكلّم - كما يقول أحد البلاغيّين - بأنه بليغ من قبيل التوسّع والمجاز، وحقيقته أنه بليغ الكلام، كما تقول رجل محكم، وتعني أحكام أفعاله؛ كما قال الله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ﴾ [القمر: ٥]، فوصف الحكمة بالبلاغة، ولم يَصِف بها الحكيم، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة.

ذلك مفهوم البلاغة لغةً. أمّا مفهومها اصطلاحاً: فهي وضع الكلام في موضعه من طول وإيجاز، وتأدية المعنى أداءً واضحاً بعبارةٍ صحيحة فصيحة، لها في النفس أثرٌ خلّاب، مع ملاءمة كل كلام للمقام الذي يقال فيه، وللمخاطبين به وفق عقولهم واعتباراً لطبقاتهم في البيان وقوّة المنطق؛ فللسوقة كلام لا يصحّ غيره في موضعه والغرض الذي يبنى له؛ ولِسُرَاة القوم القوم والأمراء فنٌّ آخر لا يسدّ مسدَّه سواه. ولقد أفصح عن ذلك الحُطَيْئة حين خاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال:

---

(١) قد يُعبَّر عن العقل بالقلب، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧].

تحنّن عَلَيَّ هداك المليكُ   فإنَّ لكلِّ مقام مقالا

هذا عن البلاغة، أمّا بلاغة الكلام، فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف تبعاً لتفاوت مقامات الكلام، فمقام كل من التنكير، والإطلاق، والتقديم، والذِّكر يباين عكسه من التعريف، والقصر، والتأخير، والحذف، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب ومقام المساواة.

وعلى هذا، فكلّما كان المتكلّم أكثر مُراعاةً للمقتضيات والاعتبارات، ازداد الكلام حُسْناً، وكلما كان أوفي بها كان أبلغ، وبالعكس إذا قلّ وفاؤه بتلك الخصوصيات المعتبرة عند البلغاء كان أقلّ مرتبةً في البلاغة، فمقتضى الحال إذن هو الاعتبار المناسب.

وللبلاغة طرفان: طرفٌ أعلى، وهو حدّ الإعجاز وما يقرب منه، وهو كلام الله تعالى الذي عجز البشر قاطبةً أن يأتوا بأقصر سورة من مثله، ثم يليه في الرتبة كلام رسوله ﷺ، فقد أُوتي من جوامع الكلم ما حارت في أمره جهابذة الفصاحة وأساطين البلاغة، ثم كلام البُلَغاء من العرب جاهليّين وإسلاميّين.

وطرف أسفل، وهو ما إذا انحطّ شأن الكلام، فلا يزال ينزل حتى يصل إلى المرتبة السفلى، فيلتحق عند البلغاء بأصوات الحيوان، وإن كان صحيح الإعراب.

○ الفصاحة:

وإذا ما انتقلنا من البلاغة إلى الفصاحة، فإنّنا نرى أن الفصاحة في أصل الوضع اللغويّ لها معانٍ متعدّدة كلها تشفّ عن الظهور والإبانة، فيقال: فصح اللّبن وأفصح إذا أخذت عنه الرغوة[١].

وفصح الصبح إذا ظهر وأضاء[٢]، وفصح الأعجمي إذا أبان بعد أن لم

(١) قال فضلة السلمي: وتحت الرغوة اللبن الفصيح، ويُضرب مثلاً للأمر ظاهره غير باطنه.
(٢) ومنه المثل: «أفصح الصبح لذي عينين»، ويقال للشيء ينكشف بعد استتاره.

يكن يفصح ويبين[١].

وإذا كان الأمر كذلك، فالفصاحة والبلاغة ترجعان إذن إلى معنًى واحد وإن اختلف أصلهما؛ لأن كلّ واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى وإظهاره.

ويرى بعض البلاغيّين كذلك أنه يجوز تسمية الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى، سهل اللفظ، جيّد السَّبْك، غير مُستكره، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء، لِمَا فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف.

ويذهب آخرون إلى أن الكلام لا يُسمّى فصيحاً حتى يَجْمَع مع نعوت الجودة فخامةً وشدّةً وجزالةً، فإذ جمع الكلام نعوت الجودة ولم يكن فيه فخامة وفضل جزالة سمّي بليغاً ولم يُسمَّ فصيحاً، ويضربون لذلك مثلاً قول إبراهيم بن العبّاس الصّولي:

تمرُّ الصّبا صَفْحاً بساكنة الغَضَى ... ويصدع قلبي أن يهبّ هبوبها[٢]

قريبةُ عهدٍ بالحبيبِ وإنّما ... هوى كلّ نفس حيث حلّ حبيبها

فالبيت الأوّل عندهم فصيح وبليغ لاشتماله على نعوت الجودة مع الفخامة والجزالة، والبيت الثاني بليغ ليس بفصيح، لتضمّنه نعوت الجودة دون الفخامة والجزالة.

هذا وإنَّ الفصاحة يُوصف بها المفرد والكلام والمتكلّم، فيقال: لفظة فصيحة، وكلامٌ فصيح، ورجلٌ فصيح. أمّا البلاغة، فيوصف بها الكلام والمتكلم فقط، فيقال: كلامٌ بليغٌ ورجلٌ بليغ. وبين الاثنين عموم وخصوص مطلق، فالفصاحة أعمُّ والبلاغة أخَصُّ، فكلّ فصيح بليغ، وليس كل بليغ فصيحاً.

وتتمثّل فصاحة اللفظ أو المفرد في خُلُوّه من ثلاثة عيوب: تنافر الحروف، والغرابة، ومخالفة القياس.

---

(١) وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾ [القصص: ٣٤]، أي أبْيَن مني قولاً.

(٢) الصبا: الريح تهبّ من مطلع الشمس. الغضى: شجر من نبات الرمل. يصدع: يشقق.

فتنافر الحروف: هو صفة في الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللّسان وصعوبة النّطق بها ـ ولا ضابط لذلك غير الذَّوق السليم والشعور الذي ينشأ من مُزاولة أساليب البلاغة.

والتنافر ضربان:

أ ـ شديد مُتناهٍ في الثِّقَل كالصمعمع[1] والطساسيج[2] والظشّ[3].

ب ـ خفيف كالتفاخ[4] والنقنقة[5] ومستشزرات في قول امرىء القيس:

غدائره مستشزرات إلى العلا   تضلّ العقاص في مثنًّى مرسل

وموضع الشاهد على التنافر هنا هو ـ كما ذكرنا ـ هو لفظة «مستشزرات» بمعنى «مرتفعات»، فهي لفظة مستكرهة لثقلها على اللّسان وعُسْر النّطق بها.

فتنافر الحروف فيها أدّى إلى ثقلها وصعوبة التلفّظ بها، وهذا بدوره أنقص من فصاحتها، وقلَّلَ من فصاحة البيت وجماله.

والغرابة: وهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الاستعمال عند خُلَّص العرب، ولذلك سببان:

أ ـ احتياجها إلى بحث وتفتيش في كتب اللغة، ثم لم يعثر على معناها بَعْدُ، مثل لفظة «جحيش» بمعنى فريد مُسْتَبِدٌ برأيه في قول تأبّط شرًّا يصف ابن عمٍّ له بكثرة التِّرحال:

يظلّ بموماة ويمسي بغيرها   جحيشاً ويعروري ظهور المسالك[6]

ب ـ احتياجها إلى التخريج على وجهٍ بعيد حتى يُفهم منها المعنى

---

(١) الصغير الرأس.
(٢) جمع طسوج الفرية ونحوها.
(٣) الموضع الخشن.
(٤) الماء العذب.
(٥) صوت الضفادع.
(٦) الموماة: المفازة، وأعروري الفرس: ركبه عراناً.

المقصود نحو «مسرجاً» وصفاً للأنف في قول رؤبة بن العجّاج:

أيام أبْدت واضحاً مفلجاً   أغرّ برّاقاً وطرفاً أبرجا
ومقلة وحاجباً مزجّجاً   وفاحماً ومرسناً مسرجا

فالفاحم هنا الأسْوَد، وأراد به الشاعر شعراً أسود فاحماً، والمرسن الأنف الذي يُشَدّ بالرسن ثم اسْتُعير لأنف الإنسان. أما مسرجاً، وهي اللفظة الغريبة هنا، فمختلَفٌ في تخريجها، فقيل: من سرّجه تسريجاً سريجة، أي منسوبة إلى حَدَّادٍ يسمى سريجاً، فهو يريد تشبيهه بالسيف السريجي في الدقّة والاستواء، وابن سيّده صاحب المحكم قال: هو من السراج، فهو يقصد أنه شبيه به في البريق واللّمعان، وهذا قريبٌ من قولهم: سرج وجهه ـ بكسر الراء ـ أي حَسُن، والزّجج دقّة الحاجبين.

وهكذا، فشاهد الغرابة في قول الشاعر هو في لفظة «مسرجاً» للاختلاف في تخريجها؛ فاللفظة إذا دلَّت على أكثر من معنى، واختلاف في تحديد المعنى المراد منها في موضعها، فإنها تكتسب بذلك صفة الغرابة التي تنتقص من درجة فصاحتها.

أما مخالفة القياس، فمعناه كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفيّ المستنبَط من كلام العرب مثل لفظة «الأجلل» التي وردت في بيت من أرجوزة طويلة لأبي النَّجمِ بن قدامة من رُجَّازِ الإسلام:

الحمد لله العليّ الأجْلَلِ   أنت مليك الناس ربًّا فاقبل

فالشاهد هنا هو مخالفة القياس اللغويّ في قوله: «الأجْلل»؛ إذ القياس «الأجلّ» بالإدغام، هذا كله بالنسبة إلى فصاحة اللفظ المفرد.

أما فصاحة الكلام(١)، فتتمثّل في سلامته من كل ما يتعلق به معناه ويَنْبَهِم مَغْزاه، وإلا كان مردوداً خارجاً عن حدود البلاغة ورسوم الفصاحة، ولو احتوى على أجلّ المعاني وأشرفها، وإنما يتمّ له ذلك إذا خَلُص من الأمور

(١) يُراد بالكلام هنا ما يشمل المركب التامّ والناقص، كالمركب الإضافيّ والمركب التقييدي، وهو مجاز من إطلاق الخاص على العامّ.

التالية: ضعف التأليف، وتنافر الألفاظ، والتعقيد لفظيًا ومعنويًا مع فصاحة المفردات التي يتألّف منها.

فضعف التأليف في الكلام هو أن يكون مخالفاً لما اشتهر من قواعد اللغة المطردة؛ كرجوع الضمير على متأخّر لفظاً ورتبةً في قول حسان بن ثابت:

ولو أنَّ مجداً أخلد الدَّهر واحداً   من الناس أبقى مجده الدَّهر مطعما

فالضمير في «مجده» يعود إلى «مطعماً» وهو متأخر في اللفظ كما نرى في البيت، وفي الرتبة؛ لأنه مفعول به، ورتبة المفعول متأخّرة على رتبة الفاعل، فالبيت لهذا غير صحيح.

وكنصب المضارع بلا ناصب، نحو:

انظرا قبل تلوماني إلى   طلل بين النقى والمنحنى[1]

وتنافر الألفاظ في الكلام أو التركيب هو وصف يعرض للكلمات مجتمعة، فيوجب ثقلها واضطراب اللّسان عند النطق بها؛ لأن النطق بالحروف المتقاربة في مخارجها أشبه بالمشي المقيّد، ومثال ذلك قول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

ويقال: إنه لا يتهيّأ لأحد أن يُنشد هذا البيت ثلاث مرات متواليات دون أن يتعتع، أي يتلعثم، والسبب بطبيعة الحال واضح، فأنت ترى أن قافاته وراءاته قلقة نابية، وكأنها سلسلة تتبرّأ بعض حلقاتها من بعض.

ومن تنافر الألفاظ في الكلام أيضاً قول أبي تمّام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى   معي وإذا ما لمته لمته وندى

والتنافر هنا قد ولّده ما في قوله: «أمدحه» من الثّقل لقرب مخرج الحاء من مخرج الهاء؛ لأن مخارج الحروف كلّما قَرُبت كانت الألفاظ مكدودة قلقة غير مستقرّة في أماكنها، وإذا بعُدَت كانت بعكس الأوّل.

---

(١) الطّلل: ما بقي من آثار الدّيار، والنقى والمنحنى موضعان.

ومن تنافر الألفاظ في الكلام إيراد أفعال يتبع بعضها بعضاً بدون عطف، سواء اختلفت بين الماضي والاستقبال، نحو قول القاضي الأرجاني يحدّث عن الشمع:

بالنار فرّقت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل روحي[1]

أم لم تختلف، كقول المتنبّي يمدح سيف الدولة:

أقل أنل اقْطَعْ إحمِل عَلِّ سَلْ أعِدْ زِدْ هشَّ بَشَّ تفضَّلْ أُدْنُ سِرْ صِلْ[2]

فورود نذرت أعود أقتل متتابعة على تلك الشاكلة في البيت الأوّل جاء ثقيلاً متعاظلاً، كما أن مجيء أفعال الأمر متكرّرة في البيت الثاني جعل للثّقل فيها حظًّا عظيماً ـ فإن جاءت الأفعال مع حرف العطف لم تكن في الثقل كالأوّل، نحو قول عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجنّ:

أحِل وامْرُرْ وضُرّ وانفعْ ولِنْ واخْشَنْ وابرُرْ ثُمَّ انْتَدِبْ للمعالي[3]

ومن تنافر الألفاظ في الكلام أيضاً التّكرار، ومن قبيحه قول الشاعر:

وازوَرَّ من كان له زائراً وعافَ عافي العرف عرفانه[4]

ومن قبيح التنافر الناشيء عن التّكرار أيضاً قول الآخر:

ولم أرَ مثل جيراني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقام

كذلك يشترط في فصاحة الكلام أو التركيب أن يسلم من **التعقيد اللفظيّ** الذي يترتّب عليه خفاء الدّلالة على المعنى المراد في الكلام بسبب تأخير الكلمات أو تقديمها عن مواطنها الأصليّة، أو بالفصل بين الكلمات التي يجب أن تتجاور ويتّصل بعضها ببعض.

---

(١) يقول بلسان الشمع أنه إلِفَ العسل وهو أخوه الذي ربّي معه، لكن النار فرّقت بينه، وأنه نَذَر أن يقتل نفسه بها أيضاً من ألم الفراق.

(٢) أقِل من الإقالة، واقطع من الأقطاع لأرضٍ ونحوها، وعلِّ من العلوّ، وصِلْ أي بالعطيّة.

(٣) أبرر من قولهم: أبرّ اليمين أمضاها على الصّديق، وانتدب لكذا: ساسها.

(٤) ازورّ عن الشيء: انحرف عنه وعدل. عاف: كره. عافي العرف: المحتاج إلى المعروف. العرف والعرفان: المعروف.

وأكثر من استعمله الفرزدق، وكأنه كان يقصده؛ لأن مثله لا يجيء إلّا متكلّفاً، إذ لو خلّى الإنسان ونفسه تجري على سجيّتها في الاسترسال لم يعرض لها شيء من هذا النوع، فمن ذلك قوله يمدح الوليد بن عبد الملك:

إلى ملكٍ ما أُمّه من محارب   أبوه ولا كانت كليب تصاهره[1]

يريده إلى ملك أبوه ليست أُمّه من محارب، فقدّم وأخّر حتى أبهم المعنى.

وقوله في البيت المشهور الذي جرى مجرى المثل في التعقيد يمدح به إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ خال هشام بن عبد الملك:

وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكًا   أبو أُمّه حيّ أبوه يقاربه

فالبيت كما ترى غير فصيح لضعف تأليفه الناشىء عن تعقيد ألفاظه وصعوبة استخلاص معناه؛ فالمعنى الذي حاول الفرزدق أن يعبّر عنه في هذا البيت هو: وما مثل هذا الممدوح في الناس حيّ يقاربه ويُشبهه في الفضائل إلا مملكًا أبو أُمّ ذلك المملك أبو الممدوح، فيكون الممدوح خال الملك، وخلاصة ذلك أنه لا يماثله إلا ابن أخته.

فانظر كيف عَقّدَ المعنى وصار به إلى التعمية دون الإفصاح، بسبب الخلَل في نظم كلمات البيت بالتقديم والتأخير، وبالفصل بين الكلمات التي يجب تجاورها، واتصال بعضها ببعض.

وكما يشترط في فصاحة الكلام أن يَسْلَم من التعقيد اللفظي، فإنه يُشترط فيه كذلك أن يَسْلَم من **التعقيد المعنوي**، وهو استعمال الكلمات عند إرادة التعبير عن معنًى خاصّ في غير معانيها الحقيقيّة، وبذلك يضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع مما يجعل المعنى المراد صعب الوصول إليه. مثال ذلك قول العباس بن الأحنف:

سأطلب بُعْد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناي الدموع لتجمدا

---

(١) محارب وكليب قبيلتان عربيّتان.

فالمعنى الذي قصد الشاعر التعبير عنه في هذا البيت هو: أطلب وأُريد البُعْد عنكم أيّها الأحبَّة لتقربوا فأحظى بوصلٍ يدوم وسرور لا ينقطع؛ إذ من عادة الزمان الإتيان بضدّ المراد، فإذا أُريد البُعد يأتي الزمان بالقُرب، وكذلك أطلب الحزن الذي هو لازم البكاء ليحصل السرور بما هو من عادة الزَّمان.

فالشاعر دلّ بدائيًّا بسكب الدمع على ما يلزم فرقة الأحباب من الحزن والكمد والتعب والنّصب، فأصاب شاكلة الصواب، فإنّ البكاء عنوان الحزن والأمارة الدالّة عليه.

ثم تلا ذلك فدلّ بجمود العين على ما يُوجبه دوام التلاقي من الفرح والسرور، لكن التوفيق لم يكن حليفه في هذا؛ إذ جمود العين هو خُلُوُّها من الدَّمع أو بخلها بالدَّمع الذي هو لازم البكاء عند إرادة البكاء منها؛ كقول أبي عطاء يرثي ابن هبيرة:

ألا إنّ عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لَجَمُودُ

إذن، فالجمود لا يكون كناية عن السرور بل عن البخل؛ لأنه لو صحّ ذلك لجاز أن يدعى به، فيقال: لا زالت عينك جامدة، كما يقال: لا أبْكى الله عينك، ولا خفاء في بطلان ذلك كما يرشد إليه قول أهل اللغة: سنة جماد لا مطر فيها، وناقة جماد لا لبن فيها، على معنى أن السنة بخيلة بالقطر، والناقة لا تسخو بالدَّرّ.

ولعلّنا أدركنا على ضوء هذا الشرح كيف أن فصاحة الكلام لا تتأتّى إلَّا إذا سَلِم من ضعف التأليف، وتنافر الكلمات، والتعقيد اللفظي والمعنويّ.

أما الفصاحة في المتكلّم، فهي صفة راسخة في نفس المتكلّم وملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظٍ صحيح.

ولا يفوتنا أن نذكر ما قاله أحد أئمّة البيان، وهو أبو هلال العسكري في فضائل البلاغة والفصاحة، قال:

«إن من لا يُتْقنها لا يمكنه التفريق بين جيّد الكلام ورديئه، أو بين حسن اللفظ وقبيحه، ولا بين نادر الشعر وبارده، فيظهر بذلك جهله ونقصه».

فإذا أراد أن يصنع قصيدة أو ينشىء رسالة ـ وقد فاته هذ العلم ـ مزج الصفو بالكدر، وخلط الغرر بالعرر[١]، واستعمل الوحشيّ العكر، فجعل نفسه مهزأة للجاهل.

«وإذا أراد أيضاً تصنيف كلام منثور، أو تأليف شعرٍ منظوم، وتخطّى هذا العلم، ساء اختياره له، وقَبُحت آثاره فيه، فأخذ الرديء المرذول، وترك الجيّد المقبول... وقد قيل: اختيار الرجل وافد عقله[٢]».

تمرين (١)

بيّن ما أخَلَّ بفصاحة الألفاظ أو المفردات التي وضعت بين قوسين:

١ ـ قال ابن نباتة في خطبة له يذكر أهوال القيامة: (اقْمَطَر) وَبَالُها، و(اشْمَخَر) نَكَالُها، فما ساغت ولا طابت[٣].

٢ ـ وقال المتنبيّ يمدح سيف الدولة:

وما أرضى لمقلته بحلم ... إذا انتبهت (ابتشاكا)[٤]

٣ ـ وقال:

لم يلقها إلا بشكّة باسل ... يخشى الحوادث حازم (مستعدد)[٥]

تمرين (٢)

بيّن ما أخلّ بفصاحة الكلام فيما يلي:

١ ـ قال شاعر:

لما رأى طالِبُوه مصعباً ذُعِروا ... وكاد لو ساعد المقدور ينتهر

٢ ـ وقال آخر:

وقلقلت بالهمّ الذي قلقل الحشا ... قلاقل عيش كُلُّهُن قلاقل[٦]

---

(١) الغرر: أوّل الكلام وأحسنه. والعرر: سقط الكلام ورديئه.

(٢) وافد عقله: دليلٌ على عقله.

(٣) اقمطر: اشتدّ. والوبال: الثقل والوخامة. واشمخر: طال.

(٤) الابتشاك: الكذب، والحلم أو الرّؤيا التي يراها النائم.

(٥) الضمير يعود إلى الحرب والشكة: الخصلة، والباسل: الشجاع.

(٦) قلقل: حرَّك، والحشا: داخل الجوف، وقلاقل الأولى جمع قلقلة، وهي الناقة =

٣ ـ وقال آخر:

تعال فإن عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

٤ ـ وقال آخر:

فأصبحت بعد خطّ بهجتها ... كأنّ قفواً رسومها قلما[١]

تمرين (٣)

أذكر سبب خروج ما يأتي من الأساليب الفصيحة:

١ ـ قال شاعر:

جواب مسائلي أله نظير ... ولا لك في سؤالك لا ألا لا

٢ ـ وقال آخر:

لمّا عصى أصحابه مصعبا ... أدّوا إليه الكَيْل كيلاً بصاع

٣ ـ وقال أحدهم:

لو لم تكن من ذا الورى الذي منك ... هو عقمت بمولد نسلها حوّاء

٤ ـ وقال آخر:

الطيب أنت إذا أصابك طيبة ... والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل[٢]

٥ ـ وقال المتنبّي:

خلت البلاد من الغزالة ليلها ... فأعوضهاك الله كي لا تحزنا[٣]

٦ ـ وقال آخر:

لم يكن الحقّ سوى أن هاجه ... رسم دار قد تعفّت بالمرر[٤]

٧ ـ وقال صفي الدين الحلّيّ:

أقصِرْ، أطِلْ، أعذرْ، أعذلْ، سَلْ، خلْ، أعِنْ ... خُنْ، هَنْ، عَنْ، ترفَّفْ، لُعْ، كُفَّ، لمّ

= السريعة، والثانية جمع قلقلة وهي الحركة. والمعنى حَرَّك سبب الهمّ الذي حرّك نفسي نوقاً خفافاً في السير، سريعات الحركة.

(١) الظاهر أنه يصف دياراً درست وعفت ديارها.

(٢) يريد أنك أطيب من الطيّب، وأطهر من الماء إذا اغتسلت به.

(٣) الغزالة: الشمس، يريد أنّ البلاد إذا خلت من الشمس ليلاً جعلك الله عوضاً منها.

(٤) هاج: ثار. ورسم الدار: أثرها، وتعفّت: درست واضمحلّت. والمرر الموضع.

٨ ـ وقال رخر:

قـد قـلـت اطـلـخـمّ وانـبـعـثـت عـشـواء تـالـيـة غـبـساً دهـاريـسـا[١]

٩ ـ وقال آخر:

فـلا يـبـرم الأمـر الـذي هـو حـالـل ولا يَـحْـلُـل الأمـر الـذي هـو يـبـرم

١٠ ـ وقال آخر:

ولـذا اسـم أغـطـيـة الـعـيـون جـفـونـهـا مـن أنـهـا عـمـل الـسـيـوف عـوامـل

١١ ـ وقال أبو الوليد بن زيدون:

تِهْ احتمل واحتكم واصبر وعزّ وهن وذل أَخْضِعْ وقل اسمع ومر وأطعْ[٢]

١٢ ـ ورُوِيَ عن عيسى بن عمر النحوي أنه سقط عن حمار، فاجتمع عليه الناس، فقال: «مَا لَكُمْ تكاكأتُمْ علَيَّ تكأكُؤكُمْ على ذي جنّة؟! إفْرَنْقِعُوا عنّي»[٣].

١٣ ـ ورُوي أن أعرابياً سُئِل عن ناقته، فقال: تركتها ترعى الهُعْخُعَ[٤].

١٤ ـ وقال امرؤ القيس حين أدركته المنيّة، وكان قد ذهب إلى ملك الروم يستنجده على قتله أبيه: رُبَّ جفنةٍ مثعَنْجِرة وطعنة مسحنفرة، وخطبة مستحضرة، وقصيدة محبرة، تبقى غداً بأنقرة[٥].

---

(١) اطلخم: اشتدّ وعظم. العشواء: الناقة الضعيفة الدهر. والغبس: جمع أغبس غبساء، وهي الشديدة الظلمة.

(٢) ته أمر من تاه يتيه: تكبّر.

(٣) تكأكأتم: اجتمعتم. افرنقعوا عني: تنحّوا.

(٤) الهعخع: قيل هو اسم لضرب من النبات، وقيل: هذه كلمة موضوعة للمعاياة، ولا أصل لها في اللغة.

(٥) المثعنجرة: الملأى، والمسحنفرة: المتّسعة، وأنقرة: بلد بآسيا الصغرى.

علم البيان

علم البيان

○ تعريفه:

علم البيان هو علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة مع وضوح الدّلالة عليه.

وكلمة عِلْم تعني أن البيان له قواعد وأصول تحكم مسيرته وتوجّه فهمه.

○ مباحثه:

مباحث علم البيان هي: التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية.

وقد قدّم العلماء التشبيه على المجاز، من ابتداء الاستعارة التي هي مجاز على التشبيه، وقدّموا المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكلّ.

○ ماهية التشبيه:

التشبيه بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة تقرب بين المشبّه والمشبّه به في وجه الشّبه، نحو قول الشاعر:

العلم في الصدر مثل الشمس في الفلك ... والعقل للمرء مثل التاج للملك

فالعلم في الصدر شارك الشمس في الفلك في صفة وأكثر، في الرفعة والنفع وسَعَةِ الفائدة... والعقل للمرء شارك التاج للملك في صفة وأكثر، في التزيين والعلوّ والسُّؤدد.

❀ ❀ ❀

تمرين (٤)

بيِّن التشبيه في الأمثلة التالية والصفات المشتركة بين الأشياء:

١ ـ قال حافظ إبراهيم:

الأُمّ مــدرسـة إذا أعـددتـهـا أعـددت شـعـبـاً طَـيِّـبَ الأعـراق

٢ ـ العلم في الصِّغر كالنّقش على الحجر.

٣ ـ المطر للأرض مثل الحياة تدبُّ في الأجسام.

٤ ـ كأن المصابيح نجوم في السماء.

٥ ـ دَمْعٌ مثل الدُّرّ في الصفاء.

○ أركان التشبيه:

الأصل في التشبيه أن يكون فيه أربعة أجزاء، هي:

١ ـ المشبه.

٢ ـ المشبه به، ويُطلق عليهما «طرفا التشبيه».

٣ ـ أداة التشبيه: الدالّة عليه؛ كالكاف ونحوها.

٤ ـ وجه الشَّبه: وهو المشترك الجامع بين المشبّه والمشبّه به، ولتوضيح أركان التشبيه نأخذ المثال التالي:

إصحب الكتاب، فالكتاب مثل المعلّم تعليماً وفائدة.

١ ـ المشبَّه: الكتاب.

٢ ـ المشبَّه به: المعلِّم.

٣ ـ أداة التشبيه: مثل.

٤ ـ وجه الشبه: تعليماً وفائدة.

تمرين (٥)

اقرأ النصّ التالي وبيِّن ما فيه من أساليب التشبيه مع الإشارة إلى أركانه:

جِيء بأربعةٍ من العميان إلى إحدى حدائق الحيوان للنزهة، وقادهم دليلهم إلى حيث يوجد الفيل، ولم يسبق لهم أن رأوا فيلاً، فأراد صاحبهم أن يختبرهم،

وقرّبهم إليه فلمسوه بأيديهم وتحَسَّسَه كلٌ منهم من الجهة التي تليه بقدر الإمكان، ثم سألهم صاحبهم: كيف وجدتم الفيل؟ فقال الأول: الفيل شيء عظيم كأنه الجبل في الارتفاع. وقال الثاني: الفيل حيوانٌ ضخم كأنه بناءٌ يقوم على أربعة أساطين. وقال الثالث: الفيل جسمٌ مستطيل خشن يتلوّى كأفعى عظيمة. وقال الرابع: نعم إنّ الفيل كما وصفتم إلا أنه يملك أسناناً مثل الخناجر في طولها وحِدَّتِها. فقال لهم الدّليل: إن الفيل هو مجموع ما وصفتم وأكثر مما وصفتم، أو أنكم لم تُدركوا من حقيقته إلا الجانب الملموس. أمّا ما تراه العين، وما وراءه من قوّة وغلظة وخشونة ووحشية، فلن تعرفوه إلّا من خلال ما سأتحدّث به إليكم بعد.

○ طرفا التشبيه:

طرفا التشبيه هما المُشبّه والمشبّه به، وهما ركناه الأساسيّان، ولا يقال تشبيه إلا إذا كانا فيه.

وطرفا التشبيه يكونان: حِسِّيين أو عقليّين أو مختلفَيْن.

أ ـ حسّيين: والمراد بالحسّي ما يُدْرَك هو أو مادّته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، ومعنى هذا أنّهما قد يكونان من المُبصرات أو المسموعات أو في المذوقات أو المشمومات أو الملموسات، مثال ذلك:

١ ـ في صفة مبصرة كتشبيه الحور الحِسان بالياقوت والمرجان في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمٰن: ٥٨]، فالجامع بين المشبّه والمشبّه به الحُمْرة، واللّون من المُبصرات.

٢ ـ في صفة مسموعة، كتشبيه الصوت الحسن بالنّغم العذب.

٣ ـ في صفة مذوقة، كتشبيه الريق بالشهد، والبرقوق بالكرز.

٤ ـ في صفة مشمومة، كتشبيه النكهة بريح العنبر.

٥ ـ في صفة ملموسة، كما يشبه الجسم بالحرير في النعومة.

ب ـ عقليّين: والمراد بالطرفين العقليين أنّ كلّ واحد منهما لا يُدْرَك بالحسّ بل بالعقل، كتشبيههم الضلال عن الحقّ بالعمى، والعلم بالحياة.

جـ ـ مختلفين: وذلك بأن يكون المشبّه عقلياً والمشبّه به حسّياً أو العكس،

كما يشبه العدل بالقسطاس، والمعقول هو المشبّه (العدل) والمحسوس هو المشبّه به (القسطاس)، وكما يشبه العطر بالخلق الجميل، فالمشبّه وهو العطر محسوسٌ بالشمّ، والمشبّه به وهو الخلق عقليّ.

تمرين (٦)

فيما يأتي تشبيهات، عيّن طرفي كل تشبيه منها، واذكر إن كانا حسّيين أو عقليّين أو مختلفين:

١ ـ الرأي كالليلِ مسودّ جوانبه … والليل لا ينجلي إلا بإصباح

٢ ـ أهديت عطراً مثل طيب ثنائه … فكأنما أهدى له أخلاقه

٣ ـ كأن بني دالان إذا جاء جمعهم … فراريج يلقى بينهنّ سويق(١)

٤ ـ والجهل موتٌ فإن أُوتيت معجزة … فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم

○ **أدوات التشبيه:**

أدوات التشبيه هي كل لفظ يدلّ على المماثلة والاشتراك، وهي حرفان وأسماء وأفعال، وكلّها تُفيد قرب المشبّه من المشبّه به في صفته.

والحرفان هما:

١ ـ الكاف: وهي الأصل لبساطتها، والأصل فيها أن يليها المشبّه به؛ كقول السري الوفاء:

والفجر كالراهب قد مزّقت … من طرب عنه الجلابيب

وقول الآخر:

تأمل إذا ما نلت بالأمس لذّة … فأفنيتها هل أنت إلّا كحالم

٢ ـ كأنَّ: ويليها المشبّه، كقول الخنساء:

أغرّ أبلج تأتمُّ الهُداة به … كأنه علمٌ في رأسه نار

وقول الآخر:

---

(١) الفراريج: صغار الدجاج واحدها فروج، والسويق الناعم من دقيق الحنطة والشعير.

كأن فجاج الأرض وهي عريضةٌ   على الخائف المطلوب كفّة حابل[1]

والأسماء هي: مثل وما في معنى مثل؛ كلفظة: «نحو»، وما يشتقّ من لفظة مثل وشبه، نحو: مماثل ومشابه وما رادفهما.

قال شاعر:

وقصائد مثل الرياض أضعتها   في باخل ضاعت به الأحساب

وقولنا في رجل فظّ قاسي القلب:

له قلب مماثل للحجارة في القساوة.

والأفعال هي: يشبه ويشابه ويماثل ويحاكي ويضارع ويُضاهي ويقارب ونحوها من أفعال الرجحان كظنّ وحسب[2]..

قال أبو تمام يصف الربيع:

يا صاحبي تقصّيا نظريكما   تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهاراً مشمساً قد شابه   زهر الرّبا فكأنما هو مقمر

وقال آخر:

قومٌ إذا لبسوا الدروع حسبتها   سحباً مزرّدة على أقمار[3]

تمرين (٧)

فيما يأتي تشبيهات عيّن أدواتها واذكر إنّ كانت أحرفاً أو أسماء أو أفعالاً:

١ ـ قال شاعر:

ولم أرَ مثل هالة في معد   يشابه حسنها إلّا الهلالا

٢ ـ وقال ابن المعتزّ:

---

(١) الفجاج تُجمع فجّ، الطريق الواسع بين جبلين، والكفّة ما يُصاد به (الشبكة).

(٢) وذلك إذا بعد التشبيه أدنى بُعْدٍ؛ لأن الحسبان ليس فيه الرجحان، ومن شأن البعيد عن الإدراك أن يكون إدراكه كذلك.

(٣) الدّرع: ثوبٌ يُنسج من زرد الحديد يُلبس في الحرب وقايةً من سلاح العدوّ، والسحب: جمع سحابة، والمزردة المنسوجة.

وكأن الشمس المنيرة دينا ... رٌ جَلَتْهُ حدائدُ الضّراب

٣ ـ وقال آخر:

وكأن دجلة إذا تلاطم موجها ... ملك يعظم خيفة ويبخل

٤ ـ وقال ابن خفاجة في صفة نهر وقد سال في بطحاء:

مُتعطّف مثل السّوار كأنّه ... والزّهر يَكْنُفُهُ مجرُ سماء

قد رقّ حتى ظُنَّ قوساً مفرغاً ... من فِضةٍ في بُردةٍ خضراء

٥ ـ وقال شاعر:

إنما الدنيا كبيت ... نسجته العنكبوت

٦ ـ وقال عليّ كرّم الله وجهه: «مثل الذي يعلّم الخير ولا يعمل به، مثل السراج الذي يضيء للناس ويحرق نفسه».

تمرين (٨)

كوِّن تشبيهات واستعمل في كلٍّ منها المشبّهات والأدوات الآتية:

١ ـ بناءٌ شاهق (كأن).

٢ ـ وجهٌ مشرق (يشبه).

٣ ـ حديثٌ عذب (مثل).

٤ ـ شعر أسود (يضاهي).

٥ ـ زيارة خاطفة (تحسبها).

○ التشبيه باعتبار الأدوات:

يقسم البلاغيون التشبيه باعتبار الأداة إلى مرسل ومؤكّد:

١ ـ **فالتشبيه المرسل**: هو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، نحو قول الشاعر مشبّهاً الممدوح بالعين الجارية:

فكنت كعين ذات جري كمينةٍ ... تفيض على مرِّ الزمان وتعذُب

وقول شوقي مشبِّهاً الخيل بالنمل في كثرتها:

تحيط به كالنَّمل في البرِّ خيله ... وتملأ آفاق البحارِ مراكبه

٢ ـ **التشبيه المؤكّد**: هو ما حُذِفت منه أداة التشبيه، وتأكيد التشبيه

حاصل من ادّعاء أن المشبّه عين المشبَّه به، وذلك نحو قوله تعالى تصويراً لبعض ما يُرى يوم القيامة: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، أي أن الجبال تُرى يوم يُنفخ في الصور كمرِّ السحاب، أي تسير في الهواء كسير السحاب الذي تسوقه الرياح.

ومنه شعراً قول شوقي في تشبيه الأُدباء بالشموس:

أدباؤك الزهر الشموس ولا أرى أرضاً تمخض بالشموس سواك

وقوله مشبّهاً الماء بوريد الحياة وشريانها:

وما هو ماءٌ، ولكنه وريد الحياة وشريانها

ومن التشبيه المؤكّد ما أُضيف المشبّه به إلى المشبّه، نحو قولنا: كَشَّر فلان عن أنياب الغدر، أي الغدر الذي هو كالأنياب بجامع ما في كل من الإيذاء.

أو نحو قول الشاعر:

فاضْمُم مصابيح آراء الرجال إلى مصابيح رأيك تزدد ضوء مصباح

أي آراء الرجال التي هي كالمصابيح بجامع ما في كلٍّ من الإبانة والإيضاح؛ فالمشبّه به (الآراء) أضيف إلى المشبّه (المصابيح).

تمرين (٩)

بيِّن التشبيه المرسل من المؤكّد فيما يأتي:

١ ـ قال الشاعر:

كم وجوه مثل النَّهارِ ضياءً لنفوس كاللّيل في الإظلام

٢ ـ وقال آخر:

هم البحور عطاء حين تسألهم وفي اللّقاء إذا تلقاهم بُهم[١]

٣ ـ وقال ابن المعتزّ:

(١) البُهَم جمع بهمة، وهو الشجاع الذي يستبهم على أقرانه موته.

وكأن البرق مصحف قارٍ ... فانطباقاً مرّة وانفتاحا

٤ ـ وقال المتنبي:

وإذا الأرض أظلمت كان شمساً ... وإذا الأرض امحلت كان وبلاً

٥ ـ وقال أحدهم:

إلبس جلابيب القنا ... عة إنها أوقى رداء

ينجيك من داء الحريـ ... ـص معاً ومن أوقار داء

تمرين (١٠)

اجعل كل تشبيه من التشبيهات الآتية مؤكّداً:

١ ـ قال أبو طالب الرقي:

وكأن أجرام النجوم لوامعاً ... درر نشرن على بساط أزرق

٢ ـ وقال الصنوبري:

وكأن محمر الشقيـ ... ـق إذا تصوّب أو تصعد

أعلام ياقوت نشر ... ن على رماحٍ من زبرجد(١)

٣ ـ وقال بشّار:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوي كواكبه(٢)

تمرين (١١)

اجعل كل تشبيه من التشبيهات الآتية مرسلاً:

١ ـ قال شاعر:

أنت نجمٌ في رفعةٍ وضياءٍ ... تجتليك العيون شرقاً وغرباً

٢ ـ وقال المرقش:

النشر مسكٌ والوجوه دنا ... نير وأطراف الأكفّ عَنَمُ(٣)

٣ ـ وقال أبو العلاء المعرّي:

---

(١) محمر الشقيق: ورد أحمر في وسطه سواد ينبت في الجبال، ويقال له شقائق النّعمان، وتصوّب: مالَ إلى أسفل، وتصعَّد: مالَ إلى علوّ.

(٢) المثار ـ بضم الميم ـ من آثار الغبار هيجه، تهاوى: أي تتهاوى وتتساقط.

(٣) النشر: الرائحة الطيبة، والعنم: شجر له ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب.

إن الـشـبـيـبـة نـار إن أردت بـهـا ... أمـراً فـبـادره إنّ الـدّهـر مـطـفـيـهـا

تمرين (١٢)

كوّن تشبيهات مرسلة بحيث يكون كل مما يأتي مشبّهاً:

المقاتل في صموده ـ الدنيا في سرعة انقضائها ـ القصيدة الرائعة.

تمرين (١٣)

كوّن تشبيهات مؤكّدة بحيث يكون كلّ مما يأتي مشبّهاً به:

الريح العاصفة ـ أُمّ رؤوم ـ حنظل.

○ وجه الشَّبه:

وجه الشبه هو المعنى الذي يشترك فيه طرفا التشبيه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبّه به منه في المشبّه، نحو قول الشاعر:

والـلّـيـل فـي لـون الـغـراب كـأنّـه ... هو في حلوكته وإن لـم ينعب[(١)]

فالحلوكة هي المعنى المشترك بين المشبّه (اللّيل) والمشبّه به (لون الغراب). ولون الغراب في حلوكته أقوى وأظهر منه في اللّيل، ولذلك لا نشبّه الشيء إلا بالشيء أقوى وأشهر يتجلّى فيه وجه الشبه بصورة قويّة.

وقال البحتري:

قـصـور كـالـكـواكـب لامـعـات ... يـكـدن يُضِئْن لـلسّـاري الـظـلاما

فاللّمعان هو المعنى المشترك أو الصفة الجامعة بين المشبه (القصور) والمشبّه به (الكواكب)، ولمعان (الكواكب) أقوى وأشهر وأظهر منه في المشبّه (القصور).

---

(١) النعيب: صوت الغراب. والحلكة: السواد.

تمرين (١٤)

أظْهِرْ ما في الأبيات الآتية وجوه الشّبه:

١ ـ قال شاعر يفتخر:

فإذا ركبت فإنّني ... زيد الفوارس في الجلاد
وإذا نطقت فإنّني ... قس بن ساعدة الإياديّ

٢ ـ وقال آخر يمدح:

أنت نجمٌ في رفعةٍ وضياء ... تجتليك العيون شرقاً وغرباً

٣ ـ وقال آخر في المديح أيضاً:

لك سيرة كصحيفة آل ... أبرار طاهرة نقيّة

٤ ـ وقال آخر:

العمْرُ مثل الضّيف أو ... كالطّيف ليس له إقامةً

٥ ـ وقال آخر:

وما المرء إلا كالهلال وضوئه ... يوافي تمام الشهر ثم يغيب

تمرين (١٥)

كوّن تشبيهات يشتمل كلّ منها على وجه من وجوه الشّبه الآتية:

الصفاء، العمق، الضّياء، الضراوة، الظلام، لفح، النار.

○ التشبيه باعتبار وجهه:

ينقسم التشبيه باعتبار وجهه إلى تشبيه مجمل، وتشبيه مفصّل.

١ ـ التشبيه المجمل والمفصل:

أ ـ فالتشبيه المجمل: هو الذي لم يذكر فيه وجه الشّبه، نحو قول الشاعر:

إنما الدنيا كبيت ... نسجته العنكبوت

ففي البيت تشبيه الدنيا ببيت نسجته العنكبوت، ووجه الشبه الجامع بينهما محذوف وهو الوهن وعدم الثبات والبقاء، لهذا فهو تشبيه مرسل.

وقول الآخر:

وكأن إيماض السيوف بوارق وعجاج خيلهم سحاب مظلم[1]

ففي البيت تشبيهان: تشبيه إيماض السيوف بالبرق، في الظهور وسرعة الخفاء، وتشبيه عجاج الخيل بالسحاب المُظلم في سواده وانعقاده في الجوّ. ووجه الشّبه في كليهما محذوف، ولهذا فهو تشبيه مجمل.

ب ـ **والتشبيه المفصل**: هو ما ذُكِر فيه وجه الشبه، وذلك نحو قول الشاعر:

أنت كالبحر في السماحة والشـ ـمس علوّاً والبدر في الإشراق

فهذا البيت يشتمل على ثلاث تشبيهات ذُكر في كلٍّ منها وجه الشبه، وهو في التشبيه الأوّل «السماحة»، وفي الثاني «العلوّ»، وفي الثالث «الإشراق».

وقول الآخر:

كم وجوه مثل النهار ضياءً لنفوس كاللَّيْلِ في الإظلام

فالبيت فيه تشبيهان: وجه الشبه الأوّل «ضياء»، وفي الثاني «الإظلام»، وكلاهما مذكور في التشبيه، ولهذا فهو تشبيه مفصل.

تمرين (١٦)

بيّن التشبيه المجمل من المفصّل فيما يأتي:

١ ـ قال المعرّي في المديح:

أنت كالشمس في الضياء وإن جاوزت كيوان في علوّ المكان

٢ ـ وقال المتنبّي في مدح كافور:

إذا نلتُ منك الوُدَّ فالمال هيِّنٌ وكل الّذي فوق التراب تراب

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرحمن: ٢٤].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧].

٥ ـ وقال آخر:

أنت كاللّيث في الشجاعة والإقدام والسّيف في قراع الخطوب

(١) الإيماض: اللّمعان. والبوارق: جمع بارق وهو البرق. والعجاج: الغبار.

٦ ـ وقال شوقي:

فأنت غمام والزّمان خميلة ... وأنت سنانٌ والزّمان قناة

٧ ـ وقال آخر:

كأن أخلاقك في لُطفها ... ورقّة فيها نسيم الصَّباح

تمرين (١٧)

اجعل التشبيهات المجملة الآتية تشبيهات مفصّلة:

١ ـ الناس كأسنان المشط.

٢ ـ جبين فلان كصفحة المرآة.

٣ ـ حدائق مدينتنا كأنها الجنان.

٤ ـ العلماء سرج الأُمّة.

٥ ـ حجّته كالشمس.

٦ ـ له عزيمة كأنها السيف.

تمرين (١٨)

كوِّن تشبيهات مجملة بحيث يكون فيها كلٌّ مما يأتي مشبّهاً:

المعلّم ـ الصديق ـ الدَّمع ـ الجواد ـ الفارس.

○ التشبيه البليغ:

هو ما ذُكِر فيه الطرفان فقط، وحُذِف منه الوجه والأداة، وسبب تسميته بذلك أن حذف الوجه والأداة يُوهم اتّحادَ الطرفين وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبّه إلى مستوى المشبّه به، وهذه هي المبالغة في قوّة التشبيه. أما ذكر الأداة، فيُفيد ضعف المشبّه وعدم إلحاقه بالمشبّه به، كما أن ذكر الوجه يفيد تقييد التشبيه وحصره في جهةٍ واحدة، ومن أمثلته قول الشاعر:

فالأرض ياقوتة والجوّ لؤلؤٌ ... والنّبت فيروزجٌ والماءُ بِلَّوْرُ

ففي البيت تشبيهات أربعة، فقد شبَّه الأرض بالياقوتة، والجوّ باللؤلؤ، والنّبت بالفيروزج، والماء بالبلّور. وكل هذه التشبيهات جمعت إلى حذف الأداة وجه الشبه، وكل تشبيه من هذه بليغ.

وقول الآخر:

فاقضوا مآربكم عجالاً إنما ... أعماركم سفر من الأسفار

فقد شبّه الشاعر الأعمار بسفرٍ من الأسفار، وإذا تأمّلنا هذا التشبيه نجده قد جمع إلى حذف الأداة وجه الشبه، فهو بليغ. ومن التشبيه البليغ المصدر المضاف المبيّن للنوع، نحو قولنا: جاد جود حاتم طيء.

أو مضاف إلى المشبّه، نحو: تدفّق كلامه شهداً، ومن التشبيه البليغ إضافة المشبّه للمشبّه به بحيث يكون الثاني بياناً للأوّل، نحو: كلام الشهد، أي كلام هو الشهد، أو بُيِّنَ المشبّه بالمشبّه به، نحو: تدفّق كلامٌ من شهد.

تمرين (١٩)

بيِّن التشبيه البليغ من أنواع التشبيه الأخرى فيما يأتي مع ذكر السّبب:

١ ـ قال شوقي في مديح رسول الله ﷺ:

أسرى بك الله إذ ملائكه ... والرّسل في المسجد الأقصى على قدم

لما خطرت بهم التفوا بسيّدهم ... كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم

٢ ـ وقال شوقي:

أمسى كأنه من جلالة أُمّة ... وكأنه من إنسه بيداء

٣ ـ وقال ابن التعاويذي:

ركبوا الدجى والسروج أهلّة ... وهم بدور والأسنّة أنجمُ

٤ ـ وقال المتنبّي في الرثاء:

وما الموت إلا سارق دَقَّ شخصه ... يصول بلا كفٍّ ويسعى بلا رجل

٥ ـ نصيحة من ذهب.

٦ ـ وقال ابن المعتزّ يصف السماء بعد تقشع سحابة:

كأن سماءنا لمّا تجلّت ... خلال نجومها عند الصباح

رياض بنفسجٍ خضل نداه ... تفتح بينه نور الأقاحي

٧ ـ وقال ابن الرومي في المشيب:

أول بدء المشيب واحدة … تشعل ما جاورت من الشعر
مثل الحريق العظيم تبدؤه … أوَّلُ صوْلٍ صغيرة الشرَرِ

٨ ـ وقال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على … حُبِّ الرّضاع وإن تفطمه ينفطم

٩ ـ وقال المعرّي:

رُبَّ ليلٍ كأنه الصبح في الحُسْن … وإن كان أسود الطيلسان(١)

١٠ ـ وقال آخر:

وسهيل كوجنة الحبِّ في اللّو … ن وقلب المُحبّ في الخفقان

١١ ـ وقال آخر:

أنا نارٌ في مرتقى نظر الحا … سِدِ ماءٌ جارٍ مع الإخوان

١٢ ـ وقال البحتري:

هو بحر السماح والجود فازدد … منه قرباً تزدد من الفقر بُعْدا

١ ـ وقال الشريف الرضيّ:

أرسى النّسيم بواديكم ولا برحت … حوامل المُزْن في أجداثكم تضع
ولا يزال جنين النبت ترضعه … على قبوركم العَرّاصة الهمع(٢)

وقال آخر:

والرّيح تعبث بالغصون وقد جرى … ذهب الأصيل على لجين الماء

١٥ ـ غدره غدر الذئاب.

١٦ ـ حقد من سموم الأفاعي.

---

(١) الطيلسان: كساءٌ واسع يلبسه الخواصّ من العلماء، وهو من لباس العجم جمعه طيالس وطيالسة.

(٢) الأجداث: القبور. العراصة: السحابة التي صارت كالسقف ذات رعد وبرق. والهمع: اسم لما يهمع، أي يسيل.

تمرين (٢٠)

اجعل كل تشبيه من التشبيهين الآتيين بليغاً:

١ ـ قال ابن الرومي في تأثير غناء مغنٍّ:

فكأن لذّة صوته ودبيبها   سِنَةٌ تمشي في مفاصل نُعَّس[١]

٢ ـ وقال المتنبي في المديح:

كالبحر يقذف للقريب جواهراً   جوداً ويبعث للبعيد سحائبا

تمرين (٢١)

كوّن تشبيهات بليغة بحيث يكون فيها كل مما يأتي مشبّهاً به:

جنّة الخلد ـ لآلىء ـ نسيم ـ زهرة ناضرة.

تمرين

تحدّث بإيجاز عن فائدة القراءة ودورها العظيم في حياة الإنسان، وهات في غضون ذلك بأربعة تشبيهات.

تمرين (٢٢)

اشرح بإيجاز قول شوقي وبيّن سبب سرّ جمال التشبيه البليغ:

وما الحياة إذا أظلمت وإن خدعت   إلّا سَرَابٌ على صحراء يلتمع

○ تشبيه التمثيل وغير التمثيل:

أ ـ **فتشبيه التمثيل** هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، أمرين أو أُمور من قبل العقل بضرب من التأول، وهذه بعض الأمثلة توضح مفهومه:

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

---

(١) السِّنة: النعاس.

فالمشبّه حال من ينفق قليلاً في سبيل الله، ثم يلقى عليه جزاءً جزيلاً.
والمشبّه به حال من بذر حبّة فأنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة، ووجه التشبيه هو صورة من يعمل قليلاً فيجني من ثمار عمله كثيراً.

وقال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ۝١٧ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾ [البقرة: ١٧، ١٨].

فقد شبّه الله تعالى حال المنافقين تبدو لهم الآيات بيّنات، والدلائل واضحات فيرونها ويلمحون هدايتها، ثم يأبون إلا أن يعودوا إلى ما كانوا فيه من زيغ وضلال، بحال من أوقد ناراً فتمتّع بضوئها قليلاً، ثم لم يلبث أن أُطفئت هذه النار فغشيه الظلام الحالك.

ووجه الشبه هنا الهيئة الحاصلة من وجود هداية قصيرة يتلوها ظلام الحيرة والارتباك.

ومن التمثيل شعراً قول شاعر يمدح فارساً:

وتراه في ظلم الوغى فتخاله قمراً يكرُّ على الرجال بكوكب

فالمشبّه هنا هو صورة الممدوح الفارس وبيده سيفٌ بتّار شديد اللّمعان يشقّ به غبار الحرب، والمشبّه به صورة قمر يشقّ ظلمة الفضاء ويتّصل به كوكب مضيءٌ، ووجه الشبه هو الصورة المركّبة من ظهور شيء يلوح بشيء متلألىء في وسط الظلام.

وقال آخر في بخيل:

مدحتك أرجو لديك الثواب فكنتُ كعاصرٍ جنب الحجر

فالمشبّه حال من يمدح بخيلاً يرجو نواله وينتظر عطاءه، فلا ينال شيئاً.
والمشبّه به حال مَنْ يعصر الحجر يرجو انبجاس الماء منه، فلا يحصل على شيء.
ووجه الشبه هو صورة من يسعى في غير مسعى، فيفشل ويبور فعله ويخيب أمله.

ب ـ **والتشبيه غير التمثيلي**: هو ما كان وجه الشبه فيه على خلاف ما هو فيه في التشبيه التمثيلي، أي لا يكون صورة منتزعة من متعدّد، وبعبارةٍ أخرى التشبيه غير التمثيل هو ما يكون غير مركّب، أي مفرداً، وكونه مفرداً

لا يمنع من تعدّد الصفات المشتركة بين طرفي التشبيه.

وهذه بعض الأمثلة توضح مفهومه:

قال شوقي مشبّهاً الأمواج بالظلماء بعد أن استعار لها صورة الجبال:

وجبالاً موائجاً في جبالٍ   تتدجّى كأنّها الظَّلماء

فالمشبّه هنا هو الأمواج المائجه وتدجّيها، والمشبّه به هو الظَّلماء، ووجه الشبه الذي تشترك فيه الأمواج المائجة، والظلماء هو شدة الحلوكة.

وقال آخر:

في شجر السّرو منهم مثلٌ   له رُواءٌ وما له ثمر[1]

فالمشبّه في البيت هو هؤلاء الناس، والمشبّه به هو شجر السّرو، ووجه الشبه الذي تشترك فيه هؤلاء وشجر السّرو هو حسن المنظر وعدم الإنتاج.

وقال آخر:

يا هلالاً يدعى أبوه هِلَالاً   جلّ بَارِيكَ في الورى وتعالى

أنت بدرٌ حسناً وشمسٌ علوّاً   وحسامٌ حزماً وبحرٌ نَوالَا

فالمشبّه في هذا البيت هو الممدوح، والمشبّه به هو البدر مرّة والشمس مرّة ثانية، والحسام مرّة ثالثة، والبحر مرّة رابعة، ووجه الشبه الذي يشترك فيه الطرفان صفات متعدّدة لا يرتبط بعضها ببعض، وكل صفة منها يمكن الاكتفاء بها كوجه شبه، بمعنى أنه لو حذف بعضها دون بعض، أو قدَّم بعضها على بعض ما اختلّ التشبيه.

تمرين (٢٣)

ميّز تشبيه التمثيل من غير التمثيل فيما يأتي:

١ ـ قال البوصيري في وصف الصحابة ﷺ:

كأنهم في ظهور الخيل نَبْتُ ربًا   من شدَّةِ الحزم لا من شدّة الحُزُمِ[2]

---

(١) السّرو: شجرٌ حسن الهيئة قويم الساق. والرواء: الحسن.

(٢) أي أن ثباتهم فوق خيولهم ناشىءٌ من قوّة حَزْمِهِم وحيطتهم، لا من إحكام أحزمة السروج.

٢ ـ قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [العنكبوت: ٤١].

٣ ـ قالت الخنساء في أخيها صخر:

أَغَرُّ أبلجٌ تأتمّ الهُداة به ... كأنّه علمٌ في رأسه نار

قال صاحب كليلة ودمنة:

يبقى الصالح من الرجال صالحاً حتى يصاحب فاسداً، فإذا صاحبه فسد، مثل مياه الأنهار تكون عذبة حتى تخالط ماء البحر، فإذا خالطته ملحت.

٥ ـ قال شاعر في وصف رجلين اتّفقا على الوشاية بين الناس:

كشقي مقصٍ تجمعتما ... على غير شيء سوى التفرقة[١]

٦ ـ وقال شاعر:

ومكلّف الأيّام ضدّ طباعها ... متطلّب في الماء جَذْوَة نار

٧ ـ وقال البحتري يصف قصراً فوق هضبة:

في رأس مشرفة حصاها لؤلؤ ... وترابها مسكٌ يُشاب بعنبر

٨ ـ وقال في المديح:

وأشرق عن بشرٍ هو النور في الضحى ... وصافى بأخلاق هي الظلّ في الصبح

٩ ـ وقال بشار:

كأن مثار النّقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

١٠ ـ وقال آخر:

كأن سهيلاً والنجوم وراءه ... صفوف صلاةٍ قام فيها إمامها[٢]

تمرين (٢٤)

اجعل كلّاً مما يأتي مشبّهاً في تشبيه تمثيل:

١ ـ الواعظ الذي يلقي موعظته إلى مَنْ لا يستحقّها.

٢ ـ القَنُوط وقد أحسّ دبيب الأمل في صدره.

(١) الشف ـ بكسر الشين ـ: الجانب.

(٢) سهيل: نجمٌ بهيّ طلوعه على بلاد العرب في أواخر القيظ.

٣ ـ الشمس وقد أوشكت على المغيب.

٤ ـ العالم الذي لا ينتفع بعلمه.

٥ ـ الذي يدخل المعارك ويواجه الأبطال ضاحكاً، وهو يروعهم.

تمرين (٢٥)

اجعل كُلّاً مما يأتي مشبّهاً به في تشبيه تمثيل:

١ ـ الحبة الصالحة وقد أُلقيت في الأرض السبخة ويرجى نباتها.

٢ ـ ليل يطارده سيف الفجر.

٣ ـ الماء الزلال في فم المريض.

٤ ـ النار تزيد الذهب نقاء.

٥ ـ السهم يخرج من قوسه فيتعذر ردّه.

تمرين (٢٦)

إشرح قول الشاعر الآتي، وبيّن ما فيه من أسرار جمال تشبيه التمثيل:

فإنك واطّراحك وصل سعدى ... لأخرى في مودّتها نُكوبُ

كثاقبة لحلي مستعار ... لأذنيها فشانهما الثقوب

فردّت حلي جارتها إليها ... وقد بقيت بأذنيها ندوب

تمرين (٢٧)

صف بإيجاز غديراً مررت به وقد توسّط طبيعة خلابة، وأجهد فكرك على أن تأتي بثلاثة تشبيهات تمثيلية في وصفك.

○ التشبيه الضمني:

هو تشبيه لا يُوضع فيه المشبّه والمشبّه به في صورة التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب أي السِّياق.

وهذا النوع من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أُسند إلى المشبّه مُمكن.

وهذه أمثلة تُوضح ماهيّته:

قال شاعر يصف جود ممدوحه:

علا فما يستقرّ المال في يده   وكيف تُمسك ماء قنّة الجبل

فهو يشبّه كثرة إنفاق ممدوحه وعدم استقرار المال في يده، بقنّة الجبل في عدم مسك الماء واستقراره عليها، والتشبيه هنا ضمنيّ؛ لأنه لم يصرّح فيه بذكر الطرفين على صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يفهم ضمن القول وسياق الكلام.

وقال الطُّغرائيّ:

أخاك أخاك فهو أجلُّ ذخر   إذا نابتك نائبة الزّمان
وإن رأيت إساءته فَهَبْهَا   لِما فيه من الشِّيَم الحِسان
تريد مهذباً لا عيب فيه   وهل عود يفوح بلا دخان

فقد شبّه الشاعر استحالة وجود إخوان مهذّبين وأصحاب شِيَم ولا يصدر منهم إساءة، باستحالة وجود عود يفوح برائحة طيبة ولا يصدر منه دخان. والتشبيه هنا ضمنيّ؛ لأنه لم يأتِ على صورة من صوره المعروفة، وإنما يلمح في سياق الكلام.

وقال أبو العتاهية:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها؟   إن السفينة لا تجري على اليبس

فالشاعر يشبه مَنْ يرجو النجاة مِن أهوال الآخرة وعذابها ولا يسلك مسالكها بالعمل الصالح وطاعة الله تعالى، بسفينة تحاول الجري على اليبس، والتشبيه هنا ضمني يُفهم من سياق الكلام.

وقال المتنبي:

لا يعجبنّ مضيماً حسنُ بِزَّته   وهل يروق دفيناً جودة الكفن[1]

فالمتنبي يشبّه حال المضيم لا يفرح بيُسره وحسن لباسه وهو في أسر الذلّ، بحال الميت لا يفرح بما عليه من الأكفان الحِسان، والتشبيه كما نرى ضمنيّ يُفهم من سياق الكلام.

---

(١) مضيماً: مظلوماً. بزّته: لباسه.

تمرين (٢٨)

بيِّن المشبه والمشبّه به ونوع التشبيه فيما يأتي مع ذكر السبب:

١ ـ قال أبو تمام:

إصبر على مضض الحسو ... د فإنّ صبرك قاتله
النار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

٢ ـ وقال أبو الطيب:

أعيا زوالك عن محلٍّ نلتهُ ... لا تخرج الأقمار عن هالاتها[(١)]

٣ ـ وقال شوقي:

الجهل لا تحيى عليه جماعة ... كيف الحياة على يدي عزريلا[(٢)]

٤ ـ وقال أيضاً:

لا يعجبنّكم ساعٍ بتفرقةٍ ... إنّ المقصّ خفيف حين يقطع

٥ ـ وقال الطّغرائي:

كونوا جميعاً إذا اعترى ... خطب ولا تتفرّقوا آحادا
يأبى القداح إن اجتمعن تكسّراً ... وإذا افترقن تكسّرت أفرادا

٦ ـ وقال:

لا تيأسن إذا ما ذا أدب ... على خمولك أن ترقى إلى الفلك
بينا ترى الإبريز مطّرحاً ... في الأرض إذا صار إكليلاً على ملك

٧ ـ وقال أبو الطيب:

فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك دم الغزال

٨ ـ وقال أبو فراس:

سيذكرني قومي إذا جدّ جِدُّهم ... وفي اللّيلة الظلماء يفتقد البدر[(٣)]

---

(١) الهالة: دائرة من شعاع تحيط بالقمر.
(٢) عزريل أو عزرائيل: اسم ملك الموت.
(٣) جدّ جِدُّهم: اشتدّ الأمر بهم. يفتقد: يُطلب عند غيبته.

٩ ـ وقال المتنبي:

ومن الخير بطء سيبك عني ... أسرع السُّحْبِ في المسير الجهام(١)

تمرين (٢٩)

حوِّل التشبيهات الصريحة الآتية إلى تشبيهات ضمنية:

١ ـ قال البحتري:

دانٍ إلى أيدي العفاة وشاسع ... عن كلِّ ندٍّ في الندى وضريب(٢)
كالبدر أفرط في العلوِّ وضوؤه ... للعصبة السارين جدّ قريب

٢ ـ وقال ابن لنكك البصري:

إذا أخو الحسن أضحى فعله سمجاً ... رأيت صورته من أقبح الصور(٣)
وَهَبْه كالشمس في حُسْن ألم ترنا ... نفرُّ منها إذا مالت إلى الضرر

٣ ـ وقال ابن الرومي في المشيب:

أول بدء المشيب واحدة ... تشعل ما جاورت من الشعر
مثل الحريق العظيم تبدؤه ... أوَّل صوْلٍ صغيرة الشرر(٤)

٤ ـ وقال صاحب كليلة ودمنة:

فضل ذي العلم وإن أخفاه كالمسك يُسْتَرُ، ثم لا يمنع ذلك رائحته أن تفوح.

٥ ـ وقال:

المودّة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها، كآنية الذهب التي هي بطيئة الانكسار هيِّنة الإعادة، والمودّة بين الأشرار سريعٌ انقطاعها بطيءٌ اتّصالها، كآنية الفخار يكسرها أدنى شيء ولا وَصْل لها.

تمرين (٣٠)

حوِّل التشبيهات الضمنية الآتية إلى تشبيهات صريحة:

١ ـ قال البحتري:

---

(١) الجهام: السحاب لا ماء فيه.
(٢) العفاة: المحتاجون.
(٣) سمجاً: قبيحاً.
(٤) الصول: مصدر صال يصول بمعنى وثب وسطاً.

ضحوك إلى الأبطال فهو يروعهم ... وللسيف حدّ حين يسطو ورونق

٢ ـ وقال ابن الرومي:

قد يشيب الفتى وليس عجيباً ... أن يرى النَّوْر في القضيب الرطيب

٣ ـ وقال البحتري يمدح الفتح بن خاقان:

وقد زادها إفراط حسن جوارها ... لأخلاق أصفار من المجد خُيَّب[1]

وحسن دراري الكواكب أن تُرَى ... طوالِعُ في داج من الليل غيهبِ[2]

٤ ـ وقال جبران في مطلع قصيدة له بعنوان: «البلاد المحجوبة»:

هو ذا الفجر فقومي ننصرف ... عن ديار ما لنا فيها صديق[3]

ما عسى يرجو نباتٌ يختلف ... زهره عن كل ورد وشقيق[4]

تمرين (٣١)

كوِّن تشبيهاً ضمنياً من كل طرفين مما يأتي:

١ ـ القلوب إذا تنافر ودّها والزجاجة إذا كسرت...

٢ ـ العالم المتواضع لا يزيده تواضعه إلا رفعة وشرفاً، والشعلة إذا نكست...

٣ ـ الكريم الذي يساعد المحتاجين في الخفاء، والجدول لا تسمع له خريراً...

تمرين (٣٢)

إشرح قول الطُغرائي وبيِّن نوع التشبيه الذي جاء فيه:

يسود الفتى قومه بالفعال ... وليس بأكرمهم محتدّا[5]

ومن جوهر السيف صار الحديد ... بقيمة أضعافه عسجدا

---

(١) الأصفار: الصفر ـ مثلثة الصاد ـ الخالي.

(٢) الدراري: النجوم العظام التي لا تُعرف أسماؤها. والغيهب: المظلم.

(٣) الفجر: هنا الأمل، فقومي يخاطب نفسه. ديار: يقصد العالم الفاسد.

(٤) شقيق: شقائق النعمان، نباتٌ زهره أحمر منقّط بنقط سوداء، مفرده «شقيقة».

(٥) المحتد: الأصل.

○ التشبيه المقلوب:

هو جعل المشبّه مشبّهاً به بادِّعاء أن وجه الشبه فيه أقوى، وأتمّ، وأظهر.

وهذه بعض الأمثلة تُوضح مفهوم هذا النوع من التشبيه:

قال شاعر:

والبدر في أفق السماء كغادة   بيضاء لاحت في ثياب حداد[1]

فالمشبّه هنا هو البدر، والمشبّه به هو غادة بيضاء، وهذا تشبيه مقلوب؛ لأن المعهود تشبيه الغادة بالبدر؛ لأن وجه الشبه هو البياض أقوى في البدر من الغادة، ولكن الشاعر وتفَنُّناً منه في التعبير، عدل عن المعهود وقلب التشبيه للمبالغة، بادّعاء أن وجه الشبه أقوى في الغادة منه في البدر.

٢ ـ وقال محمد بن وهيب:

وأرض كأخلاق الكريم قطعتها   وقد كحل الليل السماك فأبصرا

فالمشبّه في البيت هو الأرض، والمشبّه به أخلاق الكريم، وهذا تشبيه مقلوب؛ لأن العادة في عُرف الأدباء تشبيه الأخلاق بالأرض؛ لأن وجه الشّبه هو السّعة أقوى في الأرض منه في الأخلاق، ولكن الشاعر ورغبةً منه في المبالغة تعمّد تشبيه الأرض الواسعة بخلق الكريم بادّعاء أنه في السعة أكمل من الأرض المتباعدة.

٣ ـ شِعْرٌ كأن الدُّرر كلماته.

فالمشبّه هنا الشعر وكلماته، والمشبّه به الدُّرر، وهذا تشبيه مقلوب؛ لأن المعروف في العادة أن تشبّه كلمات الشعر بالدرر؛ لأن وجه الشبه وهو غلاء القيمة أقوى في الدّرر منه في كلمات الشعر، ولكن الشاعر ورغبةً منه في المبالغة عدل عن العادة، وشبّه الدرر بالشعر وكلماته بادّعاء أن وجه الشبه أقوى في الشعر وكلماته منه في الدّرر.

---

(١) حداد: حزن.

٤ ـ كأنّ تَوَقُّد النار لهيب غضبه.

فالمشبّه توقد النار والمشبه به غضب الرجل، وهذا تشبيه مقلوب، فلا شكّ أنّ لهيب النار في توقدها أقوى من حرارة الغضب، فكان المعهود أن يشبّه الغضب وحرارته بتوقّد النار ولهيبها، ولكننا قلبنا التشبيه.

تمرين (٣٣)

اذكر سبب كون التشبيه مقلوباً فيما يأتي:

١ ـ قال الصاحب بن عباد:

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه ... فكأنما أهدى له أخلاقه

٢ ـ وقال أبو نواس:

لدى نرجس غضّ القطاف كأنّه ... إذا ما منحناه العيون عيون(١)

٣ ـ وقال ابن المعتزّ:

والأقحوان كالثنايا الغُرُّ ... قد صقلت أنواره بالقطر(٢)

تمرين (٣٤)

حوّل التشبيهات الآتية إلى تشبيهات مقلوبة وبين أيّها أبلغ:

١ ـ قال شاعر:

كأن أخلاقك في لطفها ... ورقّة فيها نسيم الصباح

٢ ـ وقال آخر:

أنت كاللّيث في الشجاعة والإقدام ... والسيف في قراع الخطوب

٣ ـ وقال البحتري:

وكانت يد الفتح بن خاقان عندكم ... يد الغيث عند الأرض حرقها المحل

٤ ـ وقال امرؤ القيس:

وليلٍ كموج البحر أرخى سدوله ... عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

(١) النرجس: الواحدة نرجسة نبت من الرياحين، له زهر مستدير أبيض أو أصفر.

(٢) الثنايا: جمع ثنية، وهي أسنان مقدم الفم، ثنتان من فوق وثنتان من أسفل. الغُرّ: جمع غرّة، وهو البياض.

تمريم (٣٥)

حوِّل التشبيهات المقلوبة الآتية إلى تشبيهات غير مقلوبة:

١ ـ كأن الجبال في ضخامتها السفن الحديثة.

٢ ـ كأن السيف في مضائه الشهم الماضي في الأُمور.

٣ ـ وقال ابن المعتز:

والصبح في طرّة ليل مُسفر ... كأنه غرّة مهر أشقر

٤ ـ وقال البحتري في وصف بركة المتوكّل:

كأنها حين لجت في تدفّقها ... يد الخليفة لما سال واديها

تمرين (٣٦)

كوِّن تشبيهاً مقلوباً من كل طرفين من الأطراف الآتية مع وضع كل طرف مع ما يناسبه:

لمع السيف ـ البخيل في شحّه ـ الصخر في صلابته ـ اللئيم في خبث طويّته ـ الأحلام الهائمة ـ الشيب في بياضه ـ قاسي القلب ـ الثعلب في روغانه ـ الأرض المجدبة ـ الأماني الكاذبة.

تمرين (٣٧)

هات تشبيهات مقلوبة في وصف رجل صالح: في أخلاقه، وطباعه، وحسن سيرته، ومضاء عزيمته، وشجاعته.

○ أغراض التشبيه:

أغراض التشبيه منوّعة، وهي تعود في الغالب إلى المشبّه، وقد تعود إلى المشبّه به. وهذه الأغراض هي:

١ ـ **بيان إمكان المشبه**: وذلك حين يُسْنَد إليه أمرٌ مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له.

مثال ذلك قول ابن الرومي في مدح إسماعيل بن بلبل:

وكم أبٍ قد عَلَا بابنٍ ذي شرف ... كما علا برسول الله عدنان

فقد أسند ابن الرومي إلى المشبّه ـ ممدوحه ـ أمراً مستغرباً، وهذا الأمر المستغرب هو علوّ الأب بالابن في الشرف، لكن ابن الرومي لما رأى غرابة دعواه وأنّ هناك من قد يُنكر وجودها احتجّ على صحتها بتشبيهٍ، وذلك بذكر علوّ عدنان بالرسول ﷺ، وهكذا يكون ابن الرومي قد أزال الغرابة من الأذهان، أي إمكان ارتفاع شأن الأول بالآخر.

وقال البحتري:

ضحوك إلى الأبطال وهو يروعهم ... وللسيف حدّ حين يسطو ورونق

فقد وصف البحتري ممدوحه بأنه يلقى الشجعان بوجهٍ ضاحك، وهو يروّعهم في الوقت ذاته ببأسه وسطوته، وهذا الأمر لا شكّ غريب (أن يكون المرء ضاحكاً ومروّعاً) لذلك لجأ الشاعر إلى التشبيه يزيل به الغرابة ويثبت عن طريقه إمكانية التحقّق، فشبّه الممدوح في ضحكه وترويعه بالسيف له عند القتال والضرب رونق وفتك.

٢ ـ **بيان حال المشبّه**: وذلك حينما يكون المشبه مجهول الصفة غير معروفها قبل التشبيه، فيفيده التشبيه الوصف.

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

الدهر كالبحر لا ينفكّ ذا كدر ... وإنما صفوه بين الورى لمع

فالمشبه هنا هو الدهر، والمشبّه به هو البحر في كدره، وعدم دوام صفائه. فالمشبّه وهو الدهر مجهول الحال؛ لأن للدهر أكثر من صفة، ولذلك التمس الشاعر له مشبهاً به هو البحر في كدره وعدم دوام صفائه لبيان حاله.

وقال ابن الرومي:

حبر أبي حفص لُعَابُ اللَّيْلِ ... يسيل للإخوان أيّ سَيْل

فالمشبّه هنا هو حبر أبي حفص أو مداده، والمشبّه به هو لعاب اللّيل، أي سواده، فالمشبّه وهو الحبر مجهول الحال أو الصفة؛ لأن للحبر أكثر من لون، ولذلك التمس ابن الرومي له مشبّهاً به هو لعاب الليل الأسود لبيان حاله.

٣ ـ بيان مقدار حال المشبّه: أي مقدار حاله في القوّة والضعف، والزيادة والنقصان، وذلك إذا كان المشبّه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، ثم يأتي التشبيه لبيان مقدار هذه الصفة، وذلك نحو قول الشاعر:

والليل في لون الغراب كأنه ... هو في حلوكته وإن لم ينعب

فالشاعر يصف لون اللّيل بأنه حالك، ولبيان مقدار هذه الصفة شبّهه بالغراب في حلوكته وشدّة سواده.

وقال البوصيري:

والنفس كالطفل إن تُهمله شبّ على ... حبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

فالبوصيري يصف تحكّم العادة في النفس البشريّة إنْ هي لم تراعى بالتربية والمراقبة، ولبيان مقدار حال قوّة تحكّم هذه العادة في النفس اضطرّ إلى التشبيه، فشبّه النفس في ذلك بالطفل إن أُهْمِل يشبُّ على حبِّ الرضاع، وإن مُنِع عن الرضاع ينفطم.

٤ ـ تقرير حال المشبّه: أي تمكين حاله في نفس السامع وتقوية شأنه لديه، كما إذا كان ما أُسند إلى المشبّه يحتاج إلى التأكيد والإيضاح، ومن أمثلة ذلك قول أبي الطيّب المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه ... ما لجرح بميّت إيلام

فالشاعر يذكر أن الذي اعتاد الهوان يسهل عليه تحمّله ولا يتألّم له، وقد أراد المتنبي أن يقرّر هذه الحال ويُثبتها في الأذهان، فشبّه هذا الذي اعتاد على الذلّ وسَهُل عليه تحمُّله، بالميت إذا جُرِح لا يشعر بألم الجرح.

وقال المتنبي أيضاً:

إنّ القلوب إذا تنافر وُدُّها ... مثل الزجاجة كسرها لا يُجْبَرُ

فالمتنبي يتحدّث عن قلوب الإخوان والخلّان، وأنه إذا تنافر ودّها فإنه من المستحيل أن تعود إلى حالها الأول صفاءً وصدقاً، وقد أراد الشاعر أن يقرّر هذه الحالة ويُثبتها في نفس السامع بإبرازها فيما هي فيه أظهر وأقوى، فشبّهها بالزجاجة التي إذا انكسرت يستحيل جبرها وردُّها إلى صُنْعِها الأول شكلاً وإتقاناً.

٥ ـ **تزيين المشبّه**: ويقصد به تحسين المشبّه والترغيب فيه عن طريق تشبيهها بشيء حسن الصورة أو المعنى.

ومن أمثلة ذلك قول الشاعر الأندلسي ابن اللبانة:

بلدٌ أعارته الحمامة طوقها　　وكساه حلّةَ ريشه الطاووس
فكأن أنهار المياه سلافة　　وكأن ساحات الدّيار كؤوس

وقال شاعر:

انظر إلى حُسْنِ هِلال بدا　　يهتك من أنواره الحندسا[1]
كمنجلٍ قد صيغ من فضّةٍ　　يحصد من زهر الدُّجى نرجسا[2]

٦ ـ **تقبيح المشبّه**: وذلك إذا كان المشبّه قبيحاً قبحاً حقيقيّاً، أو اعتبارياً، فيُؤتى به بمشبّه به أقبح منه يولّد في النفس صورة قبيحة عن المشبّه تدعو إلى التنفير منه.

ومن أمثلة هذا الغرض من أغراض التشبيه قول السريّ الرفاء في وصف منزله:

لي منزلٌ كوجار الكلب أنزله　　ضنك تقارب قطراه فقد ضاقا

فهو يشبّه منزله الضيّق الذي تقارَبَ قطراه، أي جانباه، بوجار الكلب وحجره.

وقال ابن الرومي:

أبديت صفحة قسوة وخشونة　　من دون تافه نيلك المطلوب
فكأنك الينبوت في إيذائه　　شوكاً يذود به عن الخروب

فابن الرومي يشبّه هنا شخصاً فظّاً غليظ القلب حين يطلب منه أقلّ معروف ممكن بشجر الخرّوب الذي لا يُعادل شوكة ما يجني من ثمره الأسود المعوج الصّلب.

---

(١) الحندس: اللّيل الشديد الظلمة، ويهتك: يشقّ ويمزّق.
(٢) الزَّهر: نورٌ كل نبات الواحدة زهرة، والنرجس: نبات له زهر أبيض.

تمرين (٣٨)

بيِّن الغرض من كل تشبيه فيما يأتي:

١ ـ قال أبو تمام:

وإذا أراد اللّه نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ... ما كان يعرف طيب عرف العود

٢ ـ وقال شاعر:

كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجومُ سماءٍ خرّ بينها البدر

٣ ـ وقال الإمام عليّ رضي الله عنه :

إنه لم يبق من الدنيا إلا كإناخة راكب أو صرّ حَالِبٍ.

٤ ـ وقال شاعر:

ومكلّف الأيام ضدّ طباعها ... متطلّب في الماء جذوة نار

٥ ـ وقال آخر:

وقصائد مثل الرياض أضعتها ... في باخلٍ ضاعت به الأحساب

٦ ـ وقال آخر:

إني وتزييني بمدحي معشراً ... كمعلّق درًا على خنزير

٧ ـ وقال صاحب كليلة ودمنة:

فضل ذي العلم وإن أخفاه، كالمسك يُسْتَرُ ثم لا يمنع ذلك رائحته أن تفوح.

وقال أيضاً:

الأدب يذهب عن العاقل السكر، ويزيد الأحمق سكراً، كالنهار يزيد البصير بصراً، ويزيد الخفاش سوء بصر.

٩ ـ وقال ﷺ: «أُمّتي كالمطر لا يُدرى أوّله خير أم آخره».

١٠ ـ قال إبراهيم ناجي من قصيدته «العودة»:

رفرف القلب بجنبي كالذبيح ... وأنا أهتف يا قلب اتَّئِدْ
فيُجيب الدّمع والماضي الجريح ... لِمَ عدنا ليت أنّا لم نَعُدْ

١١ ـ وقال شاعر:

كلف في شحوب وجهك يحكي ... نكتاً فوق وجنة برصاء

١٢ ـ وقال ابن المعتزّ يصف الهلال:

أهـلاً بـفـطـر قـد أنـار هـلالـه | فـالآن فَـاغْـدُ عـلـى الـشـراب وبكّـر
انـظـر إلـيـه كـزورق مـن فـضّـة | قـد أثـقـلـتـه حـمـولـه عـنـبـر

تمرين (٣٩)

كوّن تشبيهات الغرض منه بيان مكان المشبّهات الآتية:

١ ـ المربّي يقسو ويرحم.

٢ ـ النزاعات العظيمة تُثيرها كلمة.

٣ ـ الرجل العظيم بعيد المنزلة، قريب للمحاويج.

تمرين (٤٠)

كوّن تشبيهات الغرض منه بيان حال المشبّهات الآتية:

١ ـ الرجل العظيم وسط مَنْ دونه في المنزلة.

٢ ـ الظُّلْمُ تلاحقه أصوات الحقّ فتهزمه.

٣ ـ الكتاب النافع دوماً.

تمرين (٤١)

كوّن تشبيهات الغرض منها بيان مقدار حال المشبّهات الآتية:

١ ـ الماء الزُّلال.

٢ ـ زئير الأسد الغاضب.

٣ ـ المقيم على ألم هَمٍّ دفين.

تمرين (٤٢)

كوّن تشبيهات الغرض منها بيان تقرير حال المشبّهات الآتية:

١ ـ المشتغل بما لا فائدة منه.

٢ ـ مقتفي أثر أمل يستحيل إدراكه.

٣ ـ الجامع لكل شيء لا يميّز الجيد من الرّديء.

تمرين (٤٣)

كوِّن تشبيهات الغرض منها تزيين المشبّهات الآتية:

١ ـ النجوم خلال السماء.

٢ ـ الكلمة الطيّبة تُثمر في النفوس الطيّبة.

٣ ـ الجواد في سخائه.

تمرين (٤٤)

كوِّن تشبيهات الغرض منها تقبيح المشبّهات الآتية:

١ ـ الصوت المنكر.

٢ ـ احتيال المرء.

٣ ـ البخيل في شُحِّهِ.

تمرين (٤٥)

إشرح بإيجاز الأبيات الآتية وبيِّن الغرض من كل تشبيه فيها:

قال أبو الفرج الساوي:

هي الدنيا تقول بِمِلْءِ فيها ... حَذارِ حَذارِ من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسامٌ ... فقولي مُضحك والقول مبكي
هي الدنيا أشبهها بشهدٍ ... يسمّ، وجيفة طلبت بمسك
هي الدنيا كمثل الطفل بينا ... يقهقه إذ بكى من بعد ضحك

❐ بلاغة التشبيه وأثره في النفس ❐

يكثر التشبيه في كلام العرب، وهو من الوسائل التي استعان بها الأدباء على تصوير الأشياء وإبرازها في أحسن الصور وأبهاها، وأولاها بالقبول وأحقّها بالميل.

قال المبرد في الكامل: التشبيه جارٍ كثيراً في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم، لم يَبْعد.

وقال أبو هلال العسكري في الصناعتين: التشبيه يزيد المعنى وضوحاً،

ويكسبه تأكيداً، ولهذا أطبق جميع المتكلّمين من العرب والعجم عليه ولم يستغني أحد عنه.

والتشبيه لم يفقد قيمته الفنية السامية بسبب اطّراده وسهولة بنائه وما يهدّده من جمود قد يلحقه من جرّاء التقليد والقوالب الجاهزة، بالعكس لم يحرمه منثور ولا منظوم، فلا تكاد تخلو منه الفقرة من الفقرات ولا القطعة من الأبيات.

وسِرُّ هذا أن للخيال نصيباً كبيراً فيه، فهو يفتن حتى لا يقف عند غاية، وإنه يعمل عمل السِّحر في إيضاح المعاني وجلائها، فهو ينتقل بالنفس من الشيء الذي تجهله، إلى شيءٍ قديم الصحبة، طويل المعرفة، وغيرُ خافٍ ما لهذا من كثير الخطر، وعظيم الأثر.

انظر إلى قول أبي العلاء المعرّي:

إن الشبيبة نار إن أردت بها أمراً فبادره إنَّ الدهر مُطْفيها

تجده جعل عزيمة الشباب الوثابة المتحفّزة للعمل كالنار يمتدّ لهيبها، ويشتدّ أُوارها، لكنها لا تلبث حتى تخمد جذوتها، وينطفىء ذلك اللّهب المتّقد، ومن ثمّ طلب إلى الشباب البدار إلى نَيْل المآرب، وعدم التواني في دَرْك المقاصد.

وتأمّل قول المعري أيضاً يصف نجماً:

يسرع اللَّمْحُ في احمراره كما تسـ ـرع في اللَّمْح مقلة الغضبان

تجد روعة التشبيه قد أخذتك، فإنّ تشبيه لمحات النجم وتألّقه مع احمرار ضوئه بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة التي لا تنقاد إلا لأديب.

وهكذا، فكلما كان عمل الخيال أكثر كانت صورته أعجب، والنفس به أطرب، ولن تجد تلك الروعة وذلك الجمال في تشبيه المحسوسات بعضها ببعض، فتشبيه ابن المعتزّ للشمس بالدرهم المضروب في قوله:

وكأن الشمس المنيرة دينار جلَتْه حدائد الضّرائب

وللهلال بالزورق من الفضّة التي حمولته من عنبر في قوله:

فانظر إليه كزورق من فضّة قد أثقلته حمولة من عنبر

أقلّ جمالاً من ذاك الذي تقدَّم، وليس له في النفس أريحيّة، ولا تأخذنا منه هزّة.

ومن أسرار الخيال في التشبيه: إيهام النفس ومخاتلتها والتماس من العلل والأسباب ما يُريحها ويُؤنسها، وهذا يأتي عن طريق وجه الشبه المتخيّل.

وأوّل ذلك إجراء قياس بين أمرين لا في علّة صحيحة ثابتة بينهما، بل في علّة يتخيّلها الشاعر تخيّلاً ويُوهم مماثلة المشبّه للمشبّه به عن طريق هذه العلّة، وذلك على نحو ما نرى في قول أبي تمّام:

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسَّيْل حرب للمكان العالي

فهو تخيّل للسامع أن الكريم رفيع المنزلة، وأن الغنيّ كالغيث بالنسبة لحاجة الناس إلى كلٍّ منهما، والغيث لا يثبت على الأماكن المرتفعة، فكذلك الْغِنَى لا يبقى ملازماً لهذا الممدوح. من هنا لا يمكن أن يستنكر خلوّ الرجل الكريم من الغنى، فقِمَم الجبال وهي أشرف الأماكن وأعلاها لا يستقرّ فيها ماء السيل.

ومن هذا النوع من التصوير في التشبيه ما يلجأ إليه الشعراء والأدباء في حال إثبات فضيلةٍ لشيء أو ذمّه من التعلق بصفة مشتركة بين الأمرين وادّعائها فيه من حُسْنٍ أو قُبح للآخر، لكن هذه الصفة إن صَلُحت للمدح أو الذمّ في أحدهما لا تصلُح للآخر في الحقيقة. مثال ذلك قول البحتري في تفضيل الشيب:

وبياض البازي أصدق حسناً إن تأمّلت من سواد الغراب

فقد زعم البحتري أن الفضيلة في البازي إنما هي لِمَا فيه من البياض، وأن النقص قد لحق الغراب لِمَا فيه من السواد. وعلى هذا يفضل الشيب بما فيه من البياض على الشباب الذي يخلو من هذا اللّون، ومن المعروف أن

الشيب لم يكره لمجرد اللّون، كما أن البازي لم يفضّل لمجرّد اللّون، ولكنها العلل المتوهمة التي يتلطّف الشعراء بإيرادها، ليحسّنوا ما خلا من الحسن، ويقبّحوا الحسن الجميل.

ومن أسرار التخيّل في التشبيه المبالغة وإلى الحدّ الذي يجعل الأوصاف التي هي طبيعة في الشيء أو واجبة له إنما حصلت فيه بسبب الممدوح أو المعني بالحديث. وقد مثّلوا لهذا النوع بقولهم: إن الشمس تستعير منه النور وتستفيده، وقولهم: إن القمر يكتسب منه الجمال أو يجعلهما سارقين لهذه الأمور من ممدوحه، مثل قول ابن بابك:

ألا يا رياض من أبرق الحمى نسيمك مسروق ووصفك مُنْتَحل
حكيت أبا سعدٍ[١] فنشرك نشره ولكن له صِدْق الهوى ولك المَلَل

فانظر إلى الشاعر كيف بالغ في نسبة الرائحة الطيبة إلى ممدوحه وادّعى أن الرياض النَّضِرة قد سرقت نسيمها وانتحلت جمالها من ممدوحه أبي سعيد، ولا شكّ أن الأصل في ذلك تشبيه أبي سعيد بالرياض في جمالها وطِيب نسيمها، لكن الشاعر أخرج ذلك مخرج المبالغة مستخدماً التخييل في ذلك.

هذه هي بلاغة التشبيه وبعضٌ مِنْ أسراره من حيث مبلغ طرافته، وبُعْدِ مرماه، ومقدار ما فيه من خيال، ولو أردنا أن نُورد لك بقيّة ما فيه من أسرارٍ لطال الكلام.

(١) ممدوح الشاعر.

الحقيقة والمجاز

الحقيقة والمجاز

الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع الذي يكون فيه التخاطب.

أما المجاز، فهو اللفظ المُستعمل في غير ما وُضِع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

وهذان المثالان يوضحان ذلك:

قال المتنبّي وقد قابله ممدوحه وعانقه:

فلم أرَ قبلي مَنْ مشى البحر نحوه ... ولا رجلاً قامت تعانقه الأُسد

فإطلاق «البحر» على الممدوح مجاز، وإطلاق «الأسد» عليه مجاز أيضاً؛ فلفظ «البحر» له دلالتان: إحداهما حقيقية، وهي هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح، والآخر مجازياً وهي الممدوح. وللفظ «الأسد» دلالتان أيضاً، إحداهما هذا الحيوان المفترس المعروف وهي حقيقيّة، والأخرى ممدوح المتنبي وهي مجازية.

وإذا تأمّلت رأيت أنّ هناك صلة وعلاقة بين المعنى الأصليّ الحقيقيّ للفظين: (بحر، أسد)، والمعنى العارض الذي اسْتُعمل فيه. وهذه العلاقة هي المشابهة؛ لأن الممدوح في جُوده يشبه البحر في عطائه، وهو في شجاعته يشبه الأسد في جرأته، ولا يمكن أن يلتبس عليك الأمر فتفهم من (مشى البحر) المعنى الحقيقي للبحر؛ لأن البحر الحقيقي لا يمشي، فكلمة تمشي إذاً تمنع من إرادَة المعنى الحقيقي، ولهذا تسمّى قرينة دالّة على أن المعنى المقصود هو المعنى الجديد العارض.

كما أنه لا يمكن أن يلتبس عليك الأمر، فتفهم من «تعانقه الأُسد» المعنى الحقيقي للأسد؛ لأن الأُسد الحقيقية لا تُعانِق، فكلمة تعانقه إذاً تمنع

من إرادة المعنى الحقيقي، ولهذا تسمّى قرينة دالّة على أن المعنى المقصود هو المعنى الجديد العارض.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

فلفظ «الظلمات» في الآية له دلالتان: إحداهما حقيقية، وهي هذا اللّون الأسْوَد الذي يخيّم على الأرض ليلاً، والأخرى مجازية وهي الكفر. وللفظ «النور» في الآية له دلالتان أيضاً: إحداهما حقيقيّة، وهي هذا الضياء الذي نعرفه في الأرض نهاراً وما نراه في الكواكب وغيرها، والأخرى مجازيّة وهي الإيمان.

وإذا تأمّلت رأيت أن هناك صلة وعلاقة بين المعنى الحقيقي الأصلي للفظ «الظلمات»، وكذلك للفظ «النور» و«الإيمان»، وهذه العلاقة هي المشابَهة؛ لأن الكفر يشبه الظلمة التي يتسكّع فيها الخابط ويضِلُّ القاصد، والإيمان يشبه النور الذي يؤمّه الحائر، ويهتدي به الجائر.

ولا يمكن أن يلتبس عليك الأمر فتفهم من (الظلمات) المعنى الحقيقي، وكذلك بالنسبة للنور؛ لأن القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لهذين اللفظين هي أن الحالة المفهومة من سياق الكلام تدلّ على أن المقصود المعنى العارض؛ لأن عاقبة الإيمان مُضيئة بالنعيم والثواب، وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب.

تمرين (٤٦)

بيِّن أمِنَ الحَقِيقَةِ أمْ مِنَ المجاز الكلمات التي تحتها خطٌّ في الأمثلة التالية:

١ ـ قال أبو الطيب حينما أنذر السحاب بالمطر وكان مع ممدوحه:

تعرض لي السحاب وقد قفلنا ... فقلت إليك إن معي السحابا

٢ ـ وقال في المديح أيضاً:

فلا زالت الشمس التي في سمائه ... مطالعة الشمس التي في لثامه[1]

(١) المطالعة: هنا المشاركة في الطلوع، أي لا زال باقياً بقاء الشمس، فكلّما طلعت السماء كان وجهه طالعاً بإزائها.

٣ ـ وقال التهامي في رثاء ابنه:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذلك عمر كواكب الأسحار

٤ ـ وقال شوقي:

لَبِثَتْ مصر في الظلام إلى أن قيل: مات الصَّباحُ والأضواء

تمرين (٤٧)

استعمل الأسماء الآتية استعمالاً حقيقياً مرّة، ومجازياً أخرى لعلاقة المشابهة:

الغيث ـ الصقر ـ البدر ـ السيف ـ الذئب ـ البرد ـ النجوم ـ السرج ـ الحنظل ـ الجبال.

○ أقسام المجاز:

يقسم علماء البلاغة المجاز قسمين:

١ ـ المجاز العقلي.

٢ ـ المجاز اللغوي، وهو نوعان:

أ ـ الاستعارة.

ب ـ المجاز المرسل.

○ المجاز العقلي:

هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقيّ.

والإسناد المجازي يكون إلى سبب الفعل، أو زمانه، أو مكانه، أو مصدره، أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول، أو المبني للمفعول إلى الفاعل.

وهذه طائفة من الأمثلة تبيّن المجاز العقلي في كلٍّ منها وعلاقته:

أ ـ أمثلة للمجاز العقلي والعلاقة السببية:

أي إسناد الفعل إلى غير فاعله.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠].

ففي إسناد بناء الصّرح إلى هامان وزير فرعون مجازٌ عقلي علاقته السببية؛ لأنّ هامان لم يبنِ الصَّرح بنفسه، وإنما بناه عمّاله، ولكن لمّا كان هامان سبباً في البناء أُسند الفعل إليه.

وقال المتنبي:

والهمّ يخترم الجسيم نحافةً ويشيب ناصية الصبيّ ويهرم(١)

ففي إسناد الاخترام، أي الإهلاك، إلى الهمّ مجازٌ عقليّ علاقته السببية؛ لأن الهمّ لا يهلك الجسم، وإنما الذي يهلكه هو المرض الذي سببه الهمّ.

وفي إسناد الفعل (يشيب) إلى ضمير الهمّ مجاز عقليّ علاقته السببية؛ لأن الهمّ لا يشيب الرأس، وإنما الذي يشيبه هو الضعف في جذور الشَّعر الناشىء عن الهمّ.

والعرب تقول: ريحٌ عقيم.

ففي إسناد العقم إلى الرِّيح إسناد إلى غير فاعله الحقيقي؛ لأن الرِّيح في الحقيقة ليست عقيمة، وإنما النبات الذي تمرّ عليه فلا يُنْتِج هو العقيم. ولمّا كانت الريح سبباً في هذا العقم، أسند العقم إليها على سبيل المجاز العقلي لعلاقة السببية.

ب ـ أمثلة للمجاز العقلي والعلاقة الزمانية:

قال شاعر:

ولما رأيت الخيل تَتْرَى أثائجا عَلِمْتُ بأن اليوم أحمس فاجر(٢)

ففي إسناد الفجور إلى اليوم إسناد إلى غير ما هو له؛ لأن اليوم لا يفجر، وإنما يفجر الناس فيه. ولمّا كان ما يقع فيه من فجور أُسند إليه. وعلى هذا، فالمجاز عقلي علاقته الزمانية.

وقال آخر:

---

(١) يخترم: يهلك. والناصية: شعر مقدَّم الرأس.

(٢) تترى: تتابع. الأثائج: الصائحات. الأحمس: الصّلب الشديد. الفاجر: المنبعث من المعاصي.

هي الأُمور كما شاهدتها دُوَلٌ   من سرَّه زمنًا ساءته أزمان

ففي إسناد الإساءة والسرور (إلى الزّمان مجاز عقليّ علاقته الزمانية؛ لأن الزمان لا يسيء ولا يسرّ، وإنما يقع فيه السرور والإساءة.

والعرب تقول: يومٌ عاصف.

ففي إسناد العصف إلى اليوم إسناد إلى غير فاعله الحقيقيّ؛ لأن اليوم لا يعصف، وإنما عصوف ريحه يكون فيه. ولمّا كان ما يقع فيه من عصوف أُسْند إليه. فالمجاز عقلي علاقته الزمانية.

جـ ـ أمثلة للمجاز العقلي والعلاقة المكانية:

قال شاعر:

وكل امرىء يولي الجميل محبّب   وكل مكان ينبت العزّ طيّب

فقول الشاعر: «كل مكان ينبت العزّ» مجاز عقلي، فقد أُسند فيه الفعل إلى غير فاعله الحقيقيّ؛ ذلك لأن العزّ يَنْبُتُ في المكان ولا يُنبته المكان. وعلى هذا، فالمجاز عقلي والعلاقة مكانية.

وقال شوقي:

أيَرَى العجم من بني الظلّ والماء   عجيباً أن تُنجب البَيْداء

فقول شوقي: «تُنجب البيداء»، أي الصحراء، مجازٌ عقلي، فقد أُسند فيه الفعل إلى غير فاعله الحقيقي؛ وذلك لأن الذي يُنجب هُمْ ساكنوها، وليست البيداء. وعلى هذا، فالمجاز عقلي والعلاقة مكانية.

والعرب تقول: بيتٌ ساكن.

ففي إسناد الإسكان إلى البيت مجاز عقلي، فقد أُسند فيه الفعل إلى غير فاعله الحقيقي؛ لأن البيت هو مكان الإسكان وليس هو الساكن، بل الساكن هم الناس. وعلى هذا، فالمجاز عقلي والعلاقة مكانية.

د ـ أمثلة للمجاز العقلي والعلاقة المفعولية[1]:

---

(١) وفيها يسند المبني للفاعل إلى المفعول، وإن شئت فقل: يسند الوصف المُسند للفاعل إلى المفعول.

قال شاعر:

إنَّ البَلِيّة من تَمَلُّ كلامَه   فانقع فؤادك من حديث الوامق[1]

فالمجاز في قوله: «حديث الوامق» وعلاقته المفعولية؛ إذ المراد سرّ نفسك بمحادثة المومِوق، أي المحبوب.

وقال آخر:

لقد لمتنا يا أُم غيلان في السّرى   ونِمْت وما ليل المطيّ بنائم

فالمجاز هو في قوله: «وما ليلي المطيّ بنائم»، فإسناد النوم إلى ليل المطيّ مجاز غير حقيقي؛ لأن ليل المطيّ لا يحدث منه النوم على الحقيقة، وإنما يقع فيه الفعل، أي ينام فيه. إذن الليل ليس بنائم، وإنما هو منوّم فيه. وعلى هذا، ففي كلمة نائم مجاز علاقته المفعولية.

والعرب تقول: شرف صاعدٌ.

فإسناد الصعود إلى الشرف مجاز غير حقيقيّ؛ لأن الشرف لا يصعد على الحقيقة، وإنما يُصعد به إلى المراتب العليا. إذن الشرف ليس بصاعد، وإنما هو مصعود به. وعلى هذا، ففي كلمة «صاعد» مجاز علاقته المفعولية.

هـ ـ أمثلة للمجاز العقلي والعلاقة الفاعلية[2]:

قال الحُطَيئة:

دع المكارم لا ترحل لبُغْيتها   واقْعُدْ فإنَّك أنت الطّاعم الكاسي

فالمجاز في قوله: «أنت الطاعم الكاسي» وعلاقته الفاعلية، فقد أسند طاعم وكاسي، وهما مبنيّان للفاعل إلى ضمير الشخص المهجوّ، وهو مطعوم مكسوّ.

والعرب تقول: عيشة راضية.

---

(١) انقع من نقع بالشراب استشفى منه، وكذا بالخبر.

(٢) وفيها يسند المبني للمفعول إلى الفاعل، وإن شئت فقل: يسند الوصف المسند للمفعول إلى الفاعل.

وأصل الكلام رضي المرء عيشته، فأسند الفعل إلى غير فاعله الحقيقي، فصار عيشة راضية[1]؛ فآل الأمر إلى أن صار المفعول «عيشته» فاعلاً. وعلى هذا، فالمجاز عقلي علاقته الفاعلية.

والعرب تقول أيضاً: سيل مفعم.

فالسيل هو الذي يُفعم، أي يُملأ، وأصله أفعم السيل الوادي أي ملأه؛ فالفاعل الحقيقي الذي أسند إليه الإفعام هو السيل، لكن الفعل أُسند إلى غير فاعله الحقيقيّ، وقيل: «سيل مفعم»؛ فالإسناد هنا مجاز وهو مجاز عقلي علاقته الفاعلية.

و ـ أمثلة للمجاز العقلي والعلاقة المصدرية:

قال شاعر:

قد عَزَّ عِزُّ الألى لا يبخلون على ... أوطانهم بالدَّم الغالي إذا طُلِبَا

فالفعل «عَزَّ» لم يسند إلى فاعله الحقيقي، وإنما أُسند إلى مصدره «عِزُّ»، ذلك بجعل ما هو مصدر في المعنى فاعلاً لفظيّاً على سبيل المجاز؛ فالفعل في البيت قد أُسند إلى غير ما هو له لعلاقة المصدرية، وهذا مجاز عقلي علاقته المصدرية.

وقال آخر:

تكاد عطاياه تجنّ جنونها ... إذا لم يعوِّذها بِرُقْيَةِ طالب

فالمجاز في قوله: «تجنّ جنونها» حيث لم يُسْنِد الفاعل الحقيقيّ، وإنما أُسند إلى مصدره، وذلك بجعل ما هو مصدر في المعنى لفظاً حقيقيّاً على سبيل المجاز، فإسناد الفعل «يجنّ» إلى المصدر «جنون» وعدم إسناده إلى الفاعل الحقيقي «عطايا» مجاز علاقته المصدريّة.

والعرب تقول: شعر شاعر.

---

(١) أي: رضيت العيشة، ثم أخذ من الفعل المبني للفاعل، اسم فاعل وأسند إلى ضمير العيشة.

فقد أسند شاعر إلى ضمير المصدر، وحقّه أن يسند للفاعل، أي الشاعر؛ لأنه هو الفاعل الحقيقي وليس الشعر. وعلى هذا، فالمجاز عقلي وعلاقته المصدرية.

تمرين (٤٨)

في الأمثلة التالية مجازات عقلية علاقاتها سببية، وزمانية، ومكانية، بَيِّنْها مع الإيضاح:

١ ـ قال شاعر:

الدَّهر يفترس الرجالَ فلا تكن ... ممن تطيشهم المناصب والرّتب

٢ ـ وقال آخر:

يُغَنِّي كما صدحت أيكة ... وقد نبّه الصبح أطيارها

٣ ـ وقال آخر:

نعم المعين على المروءة للفتى ... مالٌ يصون عن التبذّل نفسه

٤ ـ وقال شوقي:

إن الديار تريق ماء شؤونها ... كالأُمّهات وتندب الأحياء

٥ ـ ذاك مَشْرَبٌ عذب.

٦ ـ وقال شوقي:

بايعته القلوب في صلب سيتي ... يوم أن شاقها إليها الرجاء[(١)]

تمرين (٤٩)

في الأمثلة التالية مجازات عقلية علاقاتها: مفعولية وفاعلية ومصدرية، بَيِّنْها مع الإيضاح:

١ ـ قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق: ٥، ٦].

وقال أوس بن حجر:

خلت علي ليلة ساهرة ... بصحراء شرج إلي ناظر

---

(١) سيتي: اسم اثنين من فراعنة السلالة ١٩.

٤ ـ شاق شوقه إلى الفوز في الامتحان.

٥ ـ وضع فلاناً الطمعُ ودناءةُ النّسب.

٦ ـ عظمت عظمته.

تمرين (٥٠)

بيِّن كل مجاز عقليّ وعلاقته في الأمثلة التالية:

١ ـ قال شوقي:

شـادِ مـا لـم يَـشِـدْ زمـان ... ولا أنـشـأ عـصـرٌ ولا بـنـى بـنـاء

٢ ـ وقال شاعر:

محا البَيْن ما أبقت عيون المها مِنِّي ... فشِبْت ولم أقضِ اللبانة من سنّي

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٤٣].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة: ١٣].

٦ ـ زرنا حديقة غنّاء.

٧ ـ وقال شاعر:

ومِنْ نكد الدنيا على الحرّ أن يرى ... عدوًّا له ما من صداقته بُدُّ

٨ ـ منزلٌ عامرٌ بنعم الله تعالى.

٩ ـ ومن أقوال العرب: عجبٌ عاجب.

١٠ ـ وقال ابن البراق:

تقول سلمى لا تعرض لتلفة ... ولَيْلُك من لَيْلِ الصعاليك نائم

١١ ـ وقال أبو الطيّب:

وتُحيي له المالَ الصوارمُ والقنَا ... ويقتل ما يحيي التبسّم والجدا

١٢ ـ أهلك الناس الدينار والدّرهم.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧].

١٤ ـ وقال شاعر:

الدَّهْرُ لازِمٌ بين فرقتنا ... وكذلك فرّق بيننا الدّهر

١٥ ـ هذا مركب فارةٌ.

١٦ ـ قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ۝﴾ [النازعات: ١٠].

١٧ ـ وقال تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝﴾ [العلق: ١٦].

١٨ ـ وتقول العرب: ناقةٌ حلوب.

١٩ ـ وتقول أيضاً: طريقٌ سائر.

٢٠ ـ هذا يومٌ عصيب.

تمرين (٥١)

هات ست مجازات عقلية علاقاتها ما يلي:

١ ـ السببية. ٢ ـ الزمانية. ٣ ـ المكانية. ٤ ـ المفعولية. ٥ ـ الفاعلية. ٦ ـ المصدرية.

تمرين (٥٢)

إشرح قول الشاعر وبيِّن ما فيه من مجازٍ عقليّ:

أرى الشعر يحيي الناس والمجد بالذّي ... تبقيه أرواح له عطرات

فما المجد لولا الشّعر إلا معاهد ... وما النّاس إلا أعظُمٌ نخرات

○ **المجاز المرسل:**

هو كلمة استعملت في غير معناها الأصلي، لعلاقة[١] غير المشابهة مع قرينة[٢] مانعة من إرادة المعنى الأصلي. وسُمّي مرسلاً لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة، أو لأن له علاقات شتّى منها:

السببية، المسبّبية، الجزئية، الكليّة، اعتبار ما كان، اعتبار ما يكون، المحلّية، الحاليّة.

وهذه طائفة من الأمثلة تبيّن المجاز المرسل في كلٍّ منها وعلاقتها:

---

(١) يُعرّف البلاغيون العلاقة بأنها الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فيصح الانتقال من الأوّل إلى الثاني.

(٢) أما القرينة، فعرّفها البلاغيون أيضاً بأنها الأمر الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وهي إما قرينة عقلية أي حالية، وإما قرينة لفظية.

أ ـ **علاقة السببية**: وذلك بأن يطلق المتكلّم لفظ السبب ويريد المسبّب، نحو قولهم:

رعى جوادي الغيث.

فالمجاز هنا في الغيث؛ لأنه لا يرعى، وإنما يرعى «النبات» الذي كان الغيث سبب ظهوره ونمائه. ومن أجل ذلك سمّي النبات غيثاً، فإطلاق الغيث على النبات مجاز مرسل علاقته «السببية».

وقال السموأل:

تسيل على حدِّ السيوف نفوسنا   وليست على غير السيوف تسيل

فالمجاز في البيت في لفظة «نفوسنا»؛ لأن النفوس لا تسيل، وإنما تسيل الدماء على حدِّ السيوف، لكن ولمّا كان وجود النفس في الجسم سبباً في وجود الدّم فيه، فإطلاق النفوس على الدَّم التي هي سبب في وجوده مجاز مرسل علاقته «السببية».

وقال المتنبي:

لـه أيـادٍ عـلـيّ سـابـغـة   أُعُـدُّ مـنـهـا ولا أُعَـدِّدُهَـا

فالمجاز هنا غير لفظة «أياد»، فقد ذكر الأيادي وهو يريد النِّعم، لما بينهما من علاقة السببية؛ إذ الأيادي هي التي تمنح النّعم، فإطلاق الأيادي على النّعم لأنها هي سبب منحها مجاز مرسل علاقته «السببية».

ب ـ **علاقة المسبّبية**: وذلك بأن يذكر المسبّب، ويكون المقصود هو المسبّب، نحو قولنا: أمطرت السماء نباتاً.

فالمجاز هنا في لفظة نباتاً؛ لأنه لا ينزل من السماء، وإنما الذي ينزل هو الغيث. ولمّا كان النبات مسبّباً عن الغيث، فهذا مجاز مرسل علاقته «المسبّبية».

قال تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فالمجاز في الآية في لفظة «الشهر»؛ لأنه لا يشاهَد، وإنما الذي يُشاهَد الهلال الذي يظهر أوّل ليلة في الشهر، والهلال سبب في وجود الشهر، فإطلاق الشهر عليه مجاز مرسل علاقته المسبّبية.

وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الأعراف: ٤].

فالمجاز في الآية في قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾، ويكون المراد والله أعلم أردنا إهلاكها، فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون؛ لقوله تعالى: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾، قرينة مانعة من أن يكون الإهلاك قبل مجيء البأس. وقد ذكر سبحانه وتعالى الإهلاك مسبّب عنها. وعلى هذا، فالمجاز مرسل والعلاقة «مسبّبية».

جـ ـ علاقة الجزئية: تحدّث هذه العلاقة حين يطلق الجزء، ويراد الكل، وهذا نحو قولنا: سأُجازيك بما قدَّمت يداك.

فالمجاز هنا في كلمة «يداك»؛ لأن الذي عمل العمل الذي يستحقّ عليه الجزاء إنما هو النفس والجسم لا اليدان وحدهما، فإطلاق اليدين وهما الجزء على النفس والجسم وهما الكلّ وهو المراد، مجاز مرسل علاقته «الجزئيّة».

وقال البارودي في مطلع قصيدة له بعنوان: «في سرنديب»:

لكل دمعٍ جرى من مقلةٍ سببُ ... وكيف يملك دمعُ العَيْن مكتسب

فالمجاز في لفظة «مقلة»، وهي شحمة العين؛ لأن الدمع لا يجري من هذا الجزء من العين وحده، وإنما يجري من العين كلّها، فإطلاق المقلة وهي جزءٌ على العين وهي الكل وهو المراد بالقول، مجاز مرسل علاقته الجزئية.

وقال شوقي:

فجابوا العباب على عودٍ وساريةٍ ... وأوغلوا في الفلا كالأُسد وحدانا[(١)]

فإطلاق الشاعر «العود والسارية» وهي الجزء على السفينة وهي الكل وهو المراد، مجاز مرسل علاقته الجزئية.

د ـ علاقة الكلّية: تحدث هذه العلاقة حين يُطلق الكلّ ويُراد الجزء، نحو: سكنت الجزائر.

فالمراد أنّني سكنت منزلاً من منازلها ولم أسكن في القطر جميعه،

---

(١) العباب: البحر المتلاطم الأمواج. الفلا: البَيْداء.

فإطلاق الجزائر وهي الكلّ، وإرادة البعض منها مجاز مرسل علاقته «الكلّية».

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ [المائدة: ٣٨].

فالمجاز في ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ أراد باليد البعض الذي هو إلى المرفق والذي إلى الرسغ، فقد عبّر بالكل، وأراد الجزء، فالمجاز مرسل والعلاقة كلّية.

ونحو قولنا:

في الحصة الأدبية بين الساعة الثامنة والتاسعة صباحاً قرأنا شعر أبي الطيب المتنبّي.

فالمراد أننا قرأنا قصيدة من شعر أبي الطيّب ولم نقرأ شعره جميعه في ساعةٍ واحدة، فإطلاق «الشعر» وهو الكلّ وإرادة البعض منه «قصيدة» مجاز مرسل علاقته الكلّية.

هـ ـ **علاقة اعتبار ما كان**: وذلك كأن يعبّر عن أمرٍ من الأُمور بشيءٍ لا يتّفق وحالته الحاضرة الماثلة، ولكن يُنظر إلى ما كان عليه، وهذا نحو قولنا:

شربت البنّ.

والمراد شربت قهوة كان أصلها بنّاً؛ فإطلاق البنّ على القهوة مجاز مرسل علاقته «اعتبار ما كان».

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: ٧٤].

فالمجاز في ﴿مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا﴾، ومن المعلوم والواضح أن الإنسان إذا جاء ربّه وأوقف للحساب لا يكون مجرماً؛ لأن أعماله تنقطع وتنتهي بموته، ولكن الآية عبّرت بالمجاز بالنظر إلى ما كان عليه هذا العبد من الإجرام في دنياه؛ فالمجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما كان.

كنت في مدينة الأصنام[1].

---

(١) مدينة عريقة في الجزائر.

والمراد مدينة الشلف قبل تغيير الاسم، فالمجاز مرسل والعلاقة اعتبار ما كان.

و ـ **علاقة اعتبار ما يكون**: وفيها يسمّى الشيء باسم ما يؤول إليه. ومن أمثلة ذلك قولنا:

علماء البلاد يتعلّمون في المدارس الابتدائيّة.

فالمجاز هنا في كلمة «علماء»؛ لأن العالم يستحيل أن يتعلّم في المدارس الابتدائيّة، وإنما المراد في القول الأطفال الذين يتعلّمون وحين يكبرون يصبحون علماء. ولهذا، فإطلاق العلماء وإرادة تعلّمهم وهم صغار مجاز مرسل علاقته «اعتبار ما يكون»، أي اعتبار ما يؤولون ويتحوّلون إليه في المستقبل.

قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠١].

فالمجاز في (غلام حليم)؛ لأن الغلام عند ولادته لا يُدرِك، فلا يتّصف بالحِلْم أو غيره من الصفات، ولكنه يكون حليماً حينما يكبر ويبلغ مبلغ الرجال. ولهذا، فإطلاق الغلام الحليم وإرادة الرجل الحليم مجاز مرسل علاقته «اعتبار ما يكون»، أي اعتبار ما يكون أي اعتبار ما يؤول ويتحوّل إليه في المستقبل.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فالقصاص، وهو المساواة في العقاب والجزاء لم يفرض فيمن قتل قبل نزول الآية الكريمة، وإنما فرض فيمن سيقتل بعد نزولها؛ فالمجاز في كلمة «القتلى» أي الذين سيقتلون بعد نزول الآية. ومن هنا، فإطلاق القتلى وإرادة مَنْ سيقتلون بعد نزول آية القصاص مجاز مرسل علاقته «اعتبار ما يكون».

ز ـ **علاقة المحلّية**: وفي هذه الحالة من المجاز يذكر المحل، ويكون المراد الحال فيه، نحو قولنا: سقينا الأرض بالدّلو.

فالدّلو لا تسقي الأرض، وإنما الذي يسقيها الماء، فإطلاق الدّلو ـ المحل ـ وإرادة الماء ـ الحال فيه ـ مجاز علاقته المحلية.

قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢].

فالمجاز في لفظة «القرية» لأنها لا تُسأل كلّها نباتها وحيوانها وجمادها وجدرانها، وإنما الذين يُسألون هم سكّانها، فالمجاز مرسل والعلاقة محلّية.

قال شاعر:

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة   وأهلي وإن ضنّوا عليَّ كِرامُ

فالبلاد لا تجورِ، وإنما الذين يجورون هم أهلها؛ فإطلاق البلاد ـ المحل ـ وإرادة الحالّين فيها، أي الأهل مجاز مرسل علاقته المحلّية.

ر ـ **علاقة الحالية**: وفيه يذكر الحال، ويكون المراد المحل، نحو قولنا: نزلت بكرماء لا يبخلون بشيء.

فالمجاز في «بكرماء»، فالكرماء لا ينزل بهم أو بساحة أنفسهم، وإنما ينزل بأرضهم أو ديارهم التي يقيمون بها، فالكرماء ـ حال ـ وأرضهم أو ديارهم محلّ لهم، فالمجاز مرسل والعلاقة حالية.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

فالمجاز في رَحْمَةِ ٱللَّهِ؛ لأن الرحمة معنى من المعاني لا يمكن للإنسان أن يحلّ فيها، وإنما يحلّ في مكانها الذي يقصد به في الآية وهي الجنّة، فالرحمة حال، والجنّة محل لها، والمجاز مرسل، والعلاقة حالية.

قال شاعر يرثي معن بن زائدة:

ألماً على «معنٍ» وقولا لقبره   سقَتْك الغوادي مربعاً ثم مربعا

فالمجاز في «معن» يُراد به قبره، فقد أطلق الشاعر الحال وهو «معن»، وأراد المحلّ الذي حلّ فيه بعد وفاته وهو القبر، بدليل قوله: «وقولا لقبره»، فالمجاز هنا مرسل علاقته «الحالية».

❀ ❀ ❀

تلك هي أهمّ علاقات المجاز المرسل، ولا بأس أن نذكر علاقات أخرى لتعميم الفائدة:

ـ علاقة الآلية: وذلك إذا ذُكِر اسم الآية وأُريد الأثر الذي ينتج عنه، نحو: (إني أتتني لسان ما أُسَرُّ بها)، أراد باللّسان الخبر واللّسان أداته، ونحو

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء: ٦١]، أي على مرأى منهم، والأعين آلة الرؤية.

ـ علاقة المجاورة: وذلك فيما إذا ذُكِر الشيء وأُريد مجاوره، نحو قولهم: «من يركب البحر لا يخشى من الغرق»، فالبحر لا يُركب، وإنما تُركب السفينة. فقد ذكر الشاعر البحر، وأراد السفينة والعلاقة بينهما المجاورة.

ـ علاقة الخصوص: وهي أن يُطلق الخصوص ويُراد به العامّ، وذلك كقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: ٤].

فقد عبّرت الآية الكريمة عن الأعداء «بالعدو» بإطلاق الخاصّ وإرادة العموم.

ـ علاقة العموم: وهي أن يُطلق العام ويُراد به الخصوص؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ۝٢٢٤﴾ [الشعراء: ٢٢٤].

فقد أطلقت الآية العام وهو «الشعراء»، والمراد طائفة منهم كانت تؤذي النبيّ ﷺ والمسلمين بالقول تهجوهم وتنال من أعراضهم وتفحش في القول وتسفّ في الهجاء، ولا يدخل في عموم الآية أُولئك الذين ناصروا الدعوة وشدّوا أزر الإسلام بشعرهم ونافحوا عنه بقصائدهم.

ـ علاقة الملزومية: وفي هذا النَّوع من المجاز يذكر الملزوم، ويكون المراد لازمه، وقد جاء هذا النوع في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ۝٣٥﴾ [الروم: ٣٥]. والآية الكريمة تنكر على هؤلاء المشركين شركهم، الذي لا يستندون فيه إلى دليل أو برهان، وقد عبّرت الآية على الدلالة بالكلام لأنها لازمة له.

ـ علاقة اللزوميّة: وهي تقابل العلاقة السابقة، ففيها يذكر اللازم ويكون المراد هو الملزوم؛ وذلك كقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤].

والمراد في الآية، والله أعلم: لولا أنه كان من المصلّين، وقد جاء التعبير عن الصلاة بالتسبيح؛ لأنه من لوازمها.

تمرين (٥٣)

في الأمثلة التالية مجازات مرسلة علاقاتها سببية، ومسبّبية عَيْنْها مع الإيضاح:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

٢ ـ ناولني الطبيب جرعة الشفاء.

٣ ـ قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يـجـهـلـنّ أحـدٌ عـلـيـنـا ... فـنـجـهـل فـوق جـهـل الـجـاهـلـيـنـا

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨].

٦ ـ كما تَدِين تُدان.

تمرين (٥٤)

في الأمثلة التالية مجازات مرسلة علاقاتها جزئية وكلّية عَيْنها مع الإيضاح:

ـ وإن حلفت لا ينقض النأي عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

ـ شربت حليب البقر.

ـ وليست أيادي الناس عندي غنيمة ... وربّ يـد عـنـدي أشَـدُّ مـن الأسـر

ـ قال ﷺ: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه».

ـ تقول بفمك ما لا تضمر في قلبك.

ـ ركبت القطار.

تمرين (٥٥)

في الأمثلة الآتية مجازات مرسلة علاقاتها باعتبار ما كان، واعتبار ما يكون عينها مع الشرح:

١ ـ انظر إلى التراب كيف يمشي خيلاء.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٢].

٣ ـ قال الأستاذ للتلميذ معجباً بفكره: أنت مفكّر الأُمّة.

٤ ـ إنه من يلق الله يوم القيامة مُصِرّاً على الذنوب والمعاصي لا يفلح.

٥ ـ قال تعالى على لسان أحد الفتيين الذين دخلا السجن مع يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ [يوسف: ٣٦].

٦ ـ أيّاً تكن، فإنك ميت.

تمرين (٥٦)

في الأمثلة الآتية مجازات مرسلة علاقاتها محلّية وحالية عيّنها مع الشرح:

١ ـ قال شوقي:

وشاهدت قيصر كيف استبده ... أو كيف أذلّ بمصر القصر

٢ ـ حفرنا الماء «البئر».

٣ ـ قال شاعر:

سل الجيزة الفيحاء عن هرمي مصر ... لعلك تدري بعض ما لم تكن تدري

٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣﴾ [الانفطار: ١٣].

٥ ـ أدخل إلى اليتامى بالهدايا تؤجر.

٦ ـ غزا القومَ عدوٌّ لا يرحم.

تمرين (٥٧)

عيِّن المجاز المرسل وعلاقته في الأمثلة التالية مع الإيضاح:

١ ـ قال إيليا أبو ماضي:

نسي الطين ساعةً أنه طيـ ... ـن حقير فصال تيهاً وعربد

وكسا الخزّ جسمه فتباهى ... وحوى المال في كيسه فتمرّد

يا أخي لا تُمِلْ بوجهك عنّي ... ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

٢ ـ قال شوقي:

فعشقناك قبل أن تأتي الرسل ... وقامت بحبك الأعضاء

٣ ـ قال ابن سينا يتحدّث عن النفس:

محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت ولم تتبرقع

٤ ـ قال شاعر:

كفى بالمرء عيباً أن تراه   له وجهٌ وليس له لسان

٥ ـ قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ [آل عمران: ٥٤].

٦ ـ قال شاعر:

ولم يبق سوى العدوا   ن دناهم كما دانوا

٧ ـ قال شوقي على لسان الأمير عمر بن عبد الرحمٰن بن عوف مخاطباً ليلى وقد أمرها أبوها بإحضار الطعام[1]:

ابن عوف: لا بل قفي   فما بي ظماء ولا بي سغب

واعلم أن القِرَى دينكم   وأن أباك جواد العرب

٨ ـ قال شاعر:

ملك شاد لكنانة مجدا   أحكمت وضع أُسّه آباؤه

٩ ـ قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ﴾ [غافر: ١٣].

١٠ ـ أنظر إلى النطفة كيف يعلو.

١١ ـ شكّ ثيابه بخنجر فأرداه قتيلاً.

١٢ ـ أنظر إلى الجيفة كيف يتكبّر.

١٣ ـ أوقد النار.

١٤ ـ قال شاعر:

إن العدوّ وإن تقادم عهده   فالحقد باقٍ في الصدور مغيب

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ [الإنسان: ٢٦].

١٦ ـ سقط المطر منهمراً فسال الوادي بقوّة.

١٧ ـ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، «يعني نعيم بن مسعود الأشجعي».

١٨ ـ قال رسول الله ﷺ لأزواجه رضي الله عنهنّ:

«أسرعكنّ لحوقاً بي ـ ويروى لحاقاً بي ـ أطْوَلُكُنَّ يداً».

١٩ ـ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤﴾ [الانفطار: ١٤].

---

(١) من مسرحية شوقي الشعرية «مجنون ليلى».

٢٠ ــ دفن العارف بالله أبو مدين بتلمسان.

٢١ ــ دخلت الشمس إلى البيت من الكوّة (يعني الشمس: الضوء).

٢٢ ــ طلع الضوء (أي الشمس).

٢٣ ــ غرس الفلاحون اليوم نخيلاً وشجراً.

٢٤ ــ مِنَ الناس مَنْ يأكل القمح ويلبس الحرير، ومنهم من يأكل الشعير ويرتدي الكتّان.

٢٥ ــ قال شاعر:

كم بعثنا الجيش جَرّا رأ وأرسلنا العيونا[١]

٢٦ ــ عِشْ عزيزاً ولا تترك أحداً يذلّ ناصيتك[٢].

٢٧ ــ قال ابن الزيات في رثاء زوجه:

ألا مَنْ رأى الطفل المفارق أُمّه بعيد الكرى عيناه تنسكبان

٢٨ ــ حمى الراعي غمامة واديه (أي عشبه).

تمرين (٥٨)

ضع كل كلمة من الكلمات الآتية في جملة بحيث تكون مجازاً مرسلاً في العلاقة التي أمامها:

١ ــ أذن ــ الجزئية.

٢ ــ المدينة المنوّرة ــ الكلّية.

٣ ــ المكتبة ــ المحلية.

٤ ــ فلاسفة ــ اعتبار ما يكون.

٥ ــ الصوف ــ اعتبار ما كان.

٦ ــ العلماء ــ الحالية.

٧ ــ الذهب ــ المسبّبية.

٨ ــ الأموال ــ السببية.

---

(١) الجيش الجرّار: الثقيل السير الكثير.

(٢) مقدّمة شعر الرأس.

بلاغة المجاز

حينما حاول البلاغيّون والنقّاد القدامى أن يتعرّفوا على ما للأسلوب المجازي من روعة بيان وقوّة تأثير، ذهبوا في البداية إلى تقرير حقيقة رأوها بديهية عقليّة، وهي أن المجاز فرعٌ على الحقيقة ولا يعدل من الأصل إلى الفرع إلّا إذا كان فيه زيادة، فإن لم يكن فيه مثل هذه الزيادة في الفائدة يكون عبثاً، ويكون الاقتصار حينئذ على الحقيقة أوْلى وأفضل؛ لأنها هي الأصل. فما هي الغايات التي يبلغها المجاز؟ وما هي الفائدة من استعماله والعدول عن الحقيقة إليه.؟

لعلّ أهم تلك الأغراض التي يبلغها المجاز ويعدل عن الحقيقة إلى استعماله للتعبير عن معنًى مِنَ المعاني، هو توكيد ذلك المعنى وتقريره في النفس؛ وذلك لأن المعنى إذا لم ينكشف للقارىء أو السامع تمام الانكشاف أثار انفعال التشوّف والتطلّع إلى معرفة دلالته المجازية التي يريدها المتكلّم، حتى إذا وصل القارىء أو السامع إلى معرفة تلك الدّلالة المجازية التي يشير إليها الاستعمال المجازيّ تحسّ النفس حينذاك باللذّة والمتعة، مما يستدعي توكيد المعنى المجازي فيها وزيادة قابليته في إثارة الانفعال المناسب.

والمجاز المرسل والمجاز العقلي بأنواعهما يؤدّيان في الغالب المعنى المقصود بإيجاز، والإيجاز هو مقصد من أهمّ مقاصد البلاغة التي قيل في أوصافها أنها «لمحة دالّة»، أو هي «إصابة المعنى وحسن الإيجاز» أو «إجاعة اللفظ وإشباع المعنى».

فإذا قلت: «عاد القائد بالنصر المبين» كان ذلك أوجز من أن تقول: «عادت جيوش القائد بالنصر المبين» أو «كرمت البلاد علماءها النابغين». فهذا أوجز من قولك: «كَرّمَ أهالي البلاد علماءها النابغين».

وإذا سمعنا أحداً يقول: «ضرسهم الزّمان وطحنتهم الأيام» كان ذلك أوجز من أن يقول: ضرستهم حوادث الزّمان وطحنتهم مصائب الأيام.

وإذا سمعنا شاعراً يقول:

يغني كما صدحت أيكة وقد نبّه الصبح أطيارها

فهذا أوجز من قوله: يغني كما صدحت أطيار الأيْكة، وأوجز من قوله: وقد نبّهتها تباشير الصباح.

وهكذا، فأنت ترى أن اللفظ فيما سبق من الأمثلة قد أجيع، وأن المعنى قد أشبع، وتلك هي الغاية من الإيجاز الذي هو لا شكّ ضربٌ عظيم من ضروب البلاغة. وهناك مظهر آخر للبلاغة في المجاز المرسل والمجاز العقليّ هو الدقة والمهارة في تخيّر العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي بحيث يكون المجاز مصوّراً للمعنى المقصود خير تصوير، كما في إطلاق الرقبة على من استعبد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٢]، فمن المعروف أن الرقبة هي موضع القيد في الحيوان أو بتعبيرٍ آخر موضع القلادة، وإذا كان الإنسان لا يملك حرّية التصرف ويسَّخر كما تسَّخر الدوابّ أُلحق بها[(١)].

كما في إسناد الشيء إلى سببه أو مكانه أو زمانه في المجاز العقلي، فإن البلاغة تُوجب أن يختار السبب القوي والمكان والزمان المختصّان؛ ففي قول الشاعر:

والهمّ يخترم الجسم نحافةً ويشيب ناصية الصبي ويهرم

ففي إسناد الاخترام إلى الهمّ لا إلى الفاعل الحقيقي وهو المرض، وكذلك الإشابة لا إلى الفاعل الحقيقي وهو الضعف في جذور الشعر الناشىء عن الهمّ، دقّة ومهارة في تخيّر العلاقة بين المعنى الأصلي

(١) ولأن الإذلال والخضوع يكون في الرقبة، فقد عدل القرآن الكريم عن التعبير بالحقيقة كالقول بعتق عبد أو تحرير عبد، أو نحو ذلك مُراعاة لأحاسيس هؤلاء الأرقّاء ومشاعرهم حتى لا تبقى العبودية سِمَة تحطّ من شأنهم بعد تحريرهم.

والمعنى المجازي، ذلك لما لِلْهَمِّ من سببٍ قويّ في إهلاك الجسم وإشابة الرأس.

وفي قول المتنبي:

صحب الناس قبلنا ذا الزَّمانا وعناهم من أمره ما عنانا
وتولوا بغصة كلّهم منـ ـه وإن سر بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليـ ـه ولكن تكدر الإحسانا
كلما نبت الزَّمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

ففي إسناد الفعل «سَرَّ» إلى الزمان لا إلى الفاعل الحقيقي، وهو الحوادث التي به، وإسناد «إحسان الصنيع» و«تكدير الإحسان» إلى الليالي لا إلى الحوادث التي تقع فيها، وإسناد إنبات القناة إلى الزمان لا إلى الحوادث التي توجد فيه مهارة في تخيُّر العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي لما للزمان ولياليه وما يأتيان به من جديد من سبب قوي في «إسْرَار الزمان» و«إحسان الصنيع» و«تكدير الإحسان»، وكذلك لما للزمان واختلاف مظاهر الطبيعة وأحوالها في إنبات أعواد الرماح.

وإذا دقّقنا النظر نرى أن أغلب ضروب المجاز المرسل والمجاز العقلي لا تخلو من مبالغة بديعة ذات أثر في جعل المجاز جميلاً رائعاً، فإطلاق الكلّ على الجزء مبالغة ومثله إطلاق الجزء وإرادة الكلّ. ففي قوله تعالى: ﴿جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ [نوح: ٧] مبالغة، وبلاغة التعبير في الآية، إنه يكشف مدى تعنّت الكفار وشدّة نفورهم من الدّعوة، وشدّة إصرارهم على عدم سماع أي شيءٍ منها، إنهم يريدون إغلاق آذانهم بإحكام شديد، وكأنهم بهذا يضعون الأصابع كل الأصابع وبكامل أجزاء الأصابع فيها.

وفي قولنا: «شربنا ماء زمزم» مبالغة، وبلاغة التعبير فيه أننا أردنا بقولنا بعض الماء لا كلّه.

وفي قول العرب: «حياة هانئة» مبالغة، وبلاغة التعبير في هذا القول هو إسناد الإحساس بالهناء إلى الحياة لا إلى الفاعل الحقيقي، وهم الأحياء من العقلاء؛ ففي إسناد الهناء إلى الحياة إشعار بعمومها سائر الأيام.

وانظر إلى قول الشاعر:

كـفـى بـالـمـرء عـيـبـاً أن تـراه لـه وجـهٌ ولـيـس لـه لـسـان

تره قد سلك طريقاً أرشد بها السامعين إلى أن من فَقَد الفصاحة والبيان، فكأنّه فَقَد اللّسان جملة، وفي هذا مِنْ كامل المبالغة ما أنت تشعر به وتذوقه.

الاستعارة

١ ـ الاستعارة ضربٌ من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

٢ ـ تُطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه، فيسمّى المشبّه به مستعاراً منه والمشبّه مستعاراً له، واللفظ مستعاراً.

٣ ـ وقرينة الاستعارة التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية.

❐ أقسام الاستعارة ❐

يقسم البلاغيون الاستعارة باعتبارات مختلفة: باعتبار الطرفين وباعتبار الجامع، وباعتبار الطرفين والجامع، وباعتبار اللفظ، وباعتبار أمرٍ خارج عن ذلك كلّه.

○ ١ ـ الاستعارة التصريحية والمكنية:

فباعتبار الطرفين تقسم الاستعارة إلى تصريحية ومكنية.

١ ـ **الاستعارة التصريحية**: وهي ما صرَّح فيها بلفظ المشبّه به، أو ما اسْتُعِير فيها لفظ المشبّه به للمشبّه.

٢ ـ **والاستعارة المكنية**: هي ما حذف فيها المشبّه به أو المُستعار منه ورمز له بشيءٍ من لوازمه.

ولبيان هذين النوعين من الاستعارة نورد فيما يلي طائفة من الأمثلة ثم نعقب عليها بالشرح والتفصيل:

أمثلة للاستعارة التصريحية:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ففي هذه الآية مجاز لغوي، أي كلمة اسْتُعملت في غير معناها الحقيقي وهي «النور»، والمقصود بها الهدى الذي جاء به الرسول ﷺ. والعلاقة المشابهة بينهما في الهداية، فكما يصل من يهتدي بالنور، دون أن يخاف أو يشعر بالوحشة، ودون أن يصطدم بما يعوق حركته، أو يحول بينه وبين الوصول إلى ما يريد، يكون الأمر بالنسبة لمن يتبع ما جاء به الرسول ﷺ من الهدى والعلم، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي للنور حالية تُفهم من سياق الكلام.

٢ ـ قال البحتري يمدح الحسن بن وهب:

ولقد بعثت العيس تحمل همّة أمضت عزائم أركب وركائب
يشرقن بالليل التَّمام طوالِعاً منه على نجم «العراق» الثواقل

ففي هذا البيت مجازٌ لغوي، أي كلمة استُعْملت في غير معناها الحقيقي، وهي «النجم»، والمقصود بها الممدوح، والعلاقة المشابهة بينهما في العلوّ والرفعة، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي لفظية، وهي إضافة النجم للعراق.

٣ ـ ونحن نقول: إذا أيقنت بمعية الله وحفظه لك فنم طول حياتك.

فالمجاز في الفعل «نم»، والمقصود به اطْمَئِنّ لعلاقة المشابهة بينهما في الهدوء والسكينة، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي لفظية، وهي «طول حياتك»؛ إذ لا يُعقل أن ينام الإنسان طول حياته.

وإذا تأمّلنا المجاز اللغوي في كلّ هذه الأمثلة الثلاثة رأينا أنها تتضمن تشبيهاً حذف منه لفظ المشبّه واستُعير بدله لفظ المشبه به ليقوم مقامه، بادّعاء أن المشبّه به هو عين المشبّه مبالغةً.

فكلّ مجاز من هذا النوع يسمّى «استعارة»، ولما كان المشبّه به مصرّحاً به في هذا المجاز سمّي «استعارة تصريحية».

أمثلة للاستعارة المكنية:

١ ـ قال تعالى على لسان زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤].

فالمجاز اللغويّ في الآية في الفعل «اشتعل»، فالذي يُفهم من الآية أن انتشار الشَّيْب في الشعر شبّه باشتعال النار فيما حولها، بجامع[١] سرعة الانبساط مع تعذّر تلافيه في كل، وقد حُذِف المشبّه به ورُمِز له بشيءٍ من لوازمه، وهو «اشتعل» على سبيل الاستعارة المكنية والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي هي إثبات الاشتعال للرأس.

٢ ـ قال البارودي:

لا يخفض البؤس نفساً وهي عالية ولا يشيد بذكر الخامل النّشب

المجاز اللغوي في كلمة «النشب»، فالذي يُفهم من البيت أن الشاعر يريد أن يشبه «النشب» بإنسان، وأصل الكلام: النشب كإنسان لا يشيد بذكر الخامل، ثم حذف المشبّه به «الإنسان»، فصار لا يشيد بذكر الخامل النشب، على تخيّل أن النشب قد تمثّل في صورة إنسان، ثم رمز للمشبّه به المحذوف بشيءٍ من لوازمه هو «لا يشيد بذكر الخامل»، والذي هو القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

٣ ـ ونحن نقول: دافع المتهم عن نفسه لرفع التهمة عنه.

فالمجاز اللغوي في «رفع التهمة»، فالذي يُفهم من القول: أننا نشبّه «التهمة» بشيءٍ ماديّ ثقيل، وأصل الكلام: التهمة كشيء ماديّ ثقيل يُرفع، ثم حُذِف المشبّه به «الشيء الماديّ الثقيل»، فصار: لرفع التهمة على تخيّل أن التّهمة قد تصوّرت في شكل شيء مادّي ثقيل، ثم رُمز للمشبّه به المحذوف بشيءٍ من لوازمه هو «رفع» والذي هو القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي.

وإذا تأمّلنا المجاز اللغوي في هذه الأمثلة الثلاثة الأخيرة رأينا فيها أن

(١) الجامع في الاستعارة هو ما يُعبّر عنه في التشبيه بوجه الشبه.

المشبّه به قد حُذِف ورُمِز له بشيءٍ من لوازمه، وعلى هذا فهذا النّوع من المجاز يسمّى «استعارة مكنية».

تمرين (٥٩)

عيِّن الاستعارة التصريحية مع إجرائها[١] فيما يلي:

١ ـ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم: ١].

٢ ـ قال تعالى في فاتحة الكتاب: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾.

٣ ـ وقال شوقي في مديحه للرسول ﷺ:

لي في مديحك يا رسول الله عرائس ... تيمّن فيك وشاقهنّ جلاء

٤ ـ وقال رحمه الله أيضاً:

دقّات القلب قائلة له ... إنّ الحياة دقائقٌ وثوان

٥ ـ وقال أحد الشعراء:

شمسٌ وبدرٌ وَلَدَا كوكبا ... أقسمت بالله لقد أنجبا

تمرين (٦٠)

عيِّن الاستعارة المكنية مع إجرائها فيما يأتي:

١ ـ قال الحجاج بن يوسف من خطبته في أهل العراق:

«إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها».

٢ ـ وقال السريّ الرفاء:

مواطنٌ لم يسحب بها الغَيُّ ذيله ... وكم للعوالي بينها من مساحب[٢]

---

(١) يُقصد بإجراء الاستعارة تحليلها إلى عناصرها الأساسية التي تتألّف منها، وهذا التحليل يتطلّب تعيين كلٍّ من المشبّه والمشبّه به في الاستعارة وعلاقة المشابهة أو الصفة التي تجمع بين طرفي التّشبيه ونوع الاستعارة، وكذلك نوع القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقيّ، والتي تكون أحياناً لفظية وأحياناً حاليّة تُفهم من السياق.

(٢) العوالي: جمع عالية هي الرماح، يقول: إن هذه الأماكن طاهرة من أدْران الغواية، وأنها منازل شجعان طالما جرت فيها الرماح.

٣ ـ وقال شاعر يتغنّى ببلاده:

بلادٌ لها مدّ السّماح جناحَه ... وأظهر فيها المجد آيته الكبرى

٤ ـ وقال إبراهيم اليازجي يؤنّب قومه على غفلتهم:

فيم التعليل بالآمال تخدعهم؟ ... وأنتم بين راحات القنا سُلُبُ

٥ ـ قال ابن المعتزّ:

ما ترى نعمة السماء على الأر ... ض وشكر الرياض للأمطار

تمرين (٦١)

عيِّن الاستعارة التصريحية والمكنية في القطع الشعرية التالية مع بيان السبب:

قال محمود سامي البارودي من قصيدة «في سرنديب»:

لو كان للمرء عقل يستضيء به ... في ظلمة الشك لم تعلق به النّوَب[١]

ولو تَبَيَّنَ ما في الغيب من حدثٍ ... لكان يعلم ما يأتي ويجتنب[٢]

لكنه غرض للدهر يرشقه ... بأسهم ما لها ريش ولا عقب[٣]

فكيف أكتم أشواقي وبي كلف ... تكاد من مسّه الأحشاء تنشعب[٤]

٢ ـ وقال الشاعر محمد مفتاح الفيتوري يتحدّث عن حرّية إفريقيا ويعلن فرحته بتلك الحرية وزوال الاستعمار:

أصبح الصبح فلا السجن ولا السجان باق[٥]

وإذا الفجر جناحان يرفان عليك[٦]

وإذا الماضي الذي كحّل هاتيك المآقي[٧]

---

(١) يستضيء: يهتدي، النوب: المصائب جمع نوبة.

(٢) ما يأتي: يفعل. يجتنب: يترك.

(٣) لكنه: أي الإنسان. غرض: هدف. يرشقه: يرميه. أسهم: جمع سهم. عقب: وتر. ويريد هنا أن الدّهر يصيبنا بسهام من نوعٍ آخر هي المصائب والأحداث، فليس لها ريش ولا ترمي بوتر.

(٤) كلف: حبٌّ شديد. مسّه: إصابته القلب. تنشعب: تنشقّ وتتمزّق.

(٥) أصبح الصبح: المراد تحققت الحرية، السجن: أي الاستعمار.

(٦) الفجر: الفجر المراد الحرّية. يرفّان: يرفرفان.

(٧) كحّل المراد: غطّاها بظلامه. المآقي: المراد العيون، والمفرد «مأقى».

والـذي شـدّ عـلـى الـدّرب وثـاقـاً بـوثـاق
والـذي ذوّب ألـحـان الأسـى فـي شـفـتـيـك
والـذي غـطّـى عـلـى تـاريـخـنـا فـي كـلّ وادي
فرحةٌ نابعةٌ من كلّ قلبٍ... يا بلادي

٣ ـ وقال جبران من قصيدةٍ له بعنوان «البلاد المحجوبة» يتطلّع فيها إلى عالمٍ أفضل:

هـو ذا الـفـجـر فـقـومـي نـنـصـرف عـن ديـارٍ مـا لـنـا فـيـهـا صـديـق[1]
مـا عـسـى يـرجـو نـبـات يـخـتـلـف زهـره عـن كـلّ وردٍ وشـقـيـق
وجـديـد الـقـلـب أنّـى يـتـألـف مـع قـلـوبٍ كـلّ مـا فـيـهـا عـتـيـق
هـو ذا الـصـبـح يـنـادي فـاسـمـعـي وهـلـمّـي نـقـتـفـي خـطـواتـه[2]
قـد كـفـانـا مـن مـسـاءٍ يـدّعـي أنّ نـور الـصـبـح مـن آيـاتـه[3]

تمرين (٦٢)

اجعل التشبيهات الآتية استعارة تصريحية ومكنية مع بيان القرينة:

١ ـ اللّسان كالسيف في الإيذاء.

٢ ـ قلب كالحجارة في القسوة.

٣ ـ انتشرت في السماء نجومٌ كالدُّرر.

٤ ـ طالعت كتاباً كالصديق في المؤانسة.

٥ ـ إن الرسول لنور يُستضاء به.

٦ ـ أنا غرس يديك.

٧ ـ كأن المداد ليلٌ أحم.

٨ ـ في البحر سفن كالأعلام في العلوّ والضخامة.

٩ ـ له أسنانٌ كالبَرَد في البريق واللّمعان.

---

(١) الفجر: المراد الأمل. قومي: يخاطب نفسه. ديار: يقصد العالم الفاسد.
(٢) الصبح: المراد الأمل الذي زاد وقَوِيَ. هلمّي: اسم فعل أمر بمعنى أسرعي. نقتفي: نتبّع ونسير.
(٣) مساء: المراد الشرّ والفساد. نور الصبح: المراد الخير.

١٠ ـ رجالٌ في مواقفهم كالرواسي في الثبات والشموخ.

١١ ـ الشيب في المفرق كالصبح في الظهور.

١٢ ـ دموعٌ مثل المطر في الغزارة.

١٣ ـ أناس كالذّئاب في الغدر.

○ ٢ ـ الاستعارة الأصلية والتبعية:

ويقسم البلاغيون الاستعارة تقسيماً آخر باعتبار لفظها إلى أصلية وتبعية.

أ ـ فالاستعارة الأصلية: هي ما كان اللفظ المُستعار أو اللفظ الذي جرت فيه اسماً جامداً غير مشتقّ.

ومن أمثلة الاستعارة الأصلية ما يلي:

١ ـ قال التهامي الشاعر راثياً ابناً صغيراً له:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره   وكذاك عمر كواكب الأسحار

ففي إجراء هذه الاستعارة يقال: شبّه الابن «بالكواكب» والعلاقة المشابهة بينهما في صغر الجسم وعلوّ الشأن، ثم استُعير اللفظ الدالّ على المشبّه به «الكواكب» للمشبّه «الابن» على سبيل الاستعارة التصريحية، وذلك للتصريح فيها بلفظ المشبّه به، والقرينة نداؤه «أي الكواكب».

وإذا تأمّلنا اللفظ المستعار، وهو «الكوكب» وجدنا أنه اسماً جامداً غير مشتقّ، ومن أجل ذلك يسمّى هذا النوع من الاستعارة «استعارة أصلية».

٢ ـ قال المتنبي يصف دخول رسول الروم على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما درى   إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

ففي إجراء الاستعارة في هذا البيت يقال:

في الشطر الأوّل منه شبّه المتنبّي ممدوحه سيف الدولة «بالبحر» بجامع العطاء، ثم استُعير اللفظ الدالّ على المشبّه به «البحر» للمشبّه «الممدوح» على سبيل الاستعارة التصريحية، وذلك للتصريح فيها بلفظ المشبّه به، والقرينة اللفظية «فأقبل يمشي في البساط».

وفي الشطر الثاني من البيت شبّه الشاعر ممدوحه «بالبدر» بجامع الرفعة،

ثم اسْتُعير اللفظ الدالّ على المشبّه به وهو «البدر» للمشبّه وهو «الممدوح» على سبيل الاستعارة التصريحية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقيّ لفظيّة، وهي: «فأقبل يمشي في البساط».

وإذا نحن تأمّلنا اللفظين المستعارين في كِلَا الاستعارتين «البحر» و«البدر» وجدناهما اسمين جامدين غير مشتقَّيْن، ومن أجل ذلك يسمّى هذا النوع من الاستعارة «استعارة أصلية».

٣ ـ قال الشاعر:

فتًى كُلَّما فاضت عيون قبيلة   دماً ضحكت عنه الأحاديث والذّكر

فإذا أجرينا الاستعارة في هذا البيت، نقول: شبّهت العيون «بالأنهار» بجامع جريان الماء في كل، ثم اسْتُعير اللفظ الدالّ على المشبّه به المحذوف، وهو «الأنهار» للمشبّه «العيون»، والمشبّه به المحذوف رُمِز له بشيءٍ من لوازمه، وهو «فاض» على طريق الاستعارة المكنية. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية، وهي: «إثبات الفيضان للعيون».

وإذا تأمّلنا اللفظ المُستعار «الأنهار» وجدناه اسماً جامداً غير مشتقّ، ومن أجل ذلك يسمّى هذا النوع من الاستعارة «استعارة أصليّة».

ب ـ **الاستعارة التبعية**: وهي ما كان اللفظ المُستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسماً مشتقّاً أو فعلاً.

ومن أمثلتها ما يلي:

١ ـ قال الشاعر:

عَضَّنَا الدَّهْرُ بِنابِهِ   لَيْتَ ما حلَّ بِنَا بِهِ

فإذا أجرينا الاستعارة في هذا البيت، نقول: شبّه وقع المصائب «بالعضّ» بجامع الإيلام في كل، ثم اسْتُعير اللفظ الدالّ على المشبّه به وهو «العضّ» للمشبّه وهو «وقع المصائب» ثم اشتقّ من «العضّ» بمعنى وقع المصائب «عضّ» الفعل بمعنى وقعت المصائب على طريق الاستعارة التبعية والقرينة «الدهر».

٢ ـ وقال أحدهم يُثني على آخر: جليلُ عملك ناطقٌ بفضلك.

ففي إجراء هذه الاستعارة في هذا القول، نقول: شبّهت «الدلالة» بالنطق بجمع إفهام الغرض في كلّ، ثم اسْتُعير اللفظ الدالّ على المشبّه به «الدلالة» للمشبّه «النطق»، ثم اشتقّ من النطق بمعنى الدّلالة المشبه «الناطق» الاسم بمعنى دالّ على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية «عملك».

٣ ـ وقال البحتري في وصف الجيش:

وإذا السلاح أضاء فيه رأى العِدا   برًّا تألّق فيه بحر الحديد

ففي لفظة «أضاء» أوّلاً استعارة تصريحيّة، وذلك للتصريح فيها بلفظ المشبّه به، واللّفظ المُستعار هنا هو فعل «أضاء»، وفي إجراء الاستعارة نقول: شبّه فيها لمعان السلاح بالإضاءة بجامع الإشراق، واسْتُعير اللفظ الدالّ على المشبّه به «لمعان السلاح» للمشبّه «الإضاءة»، ثم اشتقّ من الإضاءة بمعنى لمعان السلاح «أضاء» الفعل بمعنى لمع، والقرينة «السلاح». وعلى هذا، فالاستعارة تصريحية تبعيّة. وفي لفظة تألّق استعارة تصريحية تبعية أيضاً، فقد شبّه فيها لمع السلاح بتألّق البرق، واشتقّ من التألّق بمعنى لمع، والقرينة «بحر الحديد».

ونحن نذكر القرينة في آخر أمثلة الاستعارة التبعية ننبّه إلى شيءٍ مهم، وهو أن الاستعارة في الفعل تكون فيه بالنظر إلى فاعله، ومثال ذلك يقال فيما كانت الاستعارة فيه من قبيل المفعول به أو غير ذلك. ومعنى هذا أن القرينة المانعة من أن يكون الفعل مستخدماً فيما هو له هي الفاعل أو المفعول به.

ومن هنا يمكن النظر في الاستعارة إلى الفاعل أو المفعول به.

وحتى نجلي المسألة لنعد إلى الأمثلة التي استعارتها في الفعل.

وفي قول الشاعر:

عضّنا الدّهر بِنَابِهِ   لَيْت ما حَلَّ بِنَا بِهِ

إذا أجرينا الاستعارة، نقول: شبّه الدهر بحيوان مفترس بجامع الإيذاء

في كلّ، ثم حذف المشبّه به ورَمَز إليه بشيءٍ من لوازمه، وهو «عضّ»، فالاستعارة مكنية.

وفي قول البحتري يصف جيشاً:

وإذا السلاح أضاء فيه رأى العدا   برًّا تألّقَ فيه بحر الحديد

فقه شبّه السلاح في الشطر الأوّل بشيءٍ يضيء بجامع الإشراق في كلّ، ثم حذف المشبّه به ورَمَز إليه بشيءٍ من لوازمه، وهو «أضاء»، فالاستعارة مكنية.

وفي الشطر الثاني شبّه السلاح بالبرق بجامع اللّمعان في كلّ، ثم حذف المشبّه به ورَمَز إليه بشيءٍ من لوازمه، وهو «تألّق»، فالاستعارة مكنية.

ونخلص من هذا أن الاستعارة التبعية قرينتها مكنية، وأنه كما يمكن إجراء الاستعارة في المشتقّ يمكن إجراؤها في الاسم، إلا أنه إذا أُجريت الاستعارة في واحدٍ منهما لا يمكن إجراؤها في الأخرى.

تمرين (٦٣)

أجرِ الاستعارة الأصلية فيما يأتي:

١ ـ قال البحتري في وصف روضة:

يُضاحِكُها الضُّحى طَوْراً وطَوْراً   عَلَيْها الغيثُ يَنْسَجِمُ انْسِجاما

٢ ـ قال أبو تمام في وصف سحابة:

ديمة سمحةُ القيادِ سكوب   مستغيثٌ بها الثّرى المكروبُ

٣ ـ وقال السريّ في وصف قلم:

وَأَهْيَفَ إنْ زَعْزَعَتْه البنا   نُ أمطر في الطِّرْس ليلاً أحم

٤ ـ ومدح أعرابيٌّ قوماً بالشجاعة، فقال: أقْسَمَتْ سُيُوفُهُمَ ألّا تضيّع حقًّا لهم.

تمرين (٦٤)

أجر الاستعارة التبعية فيما يأتي:

١ ـ قال شاعر:

إن أمطرت عيناي سحًّا فعن   بوارِقَ في مَفْرَقِي تلمَعُ

٢ ـ وقال آخر:

إنّ التّباعُدَ لا يضـ ـرُّ إذا تقاربت القلوب

وقال آخر:

فتًى كلّما فاضت عيون قبيلة دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكر

٤ ـ قال تعالى على لسان الكافرين حين يُبعثون:

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢].

٥ ـ شرُّ الناس مَنْ يهدم دِينَهُ ويبني دُنْياه.

تمرين (٦٥)

بيِّن الاستعارة الأصلية والتبعية في الأمثلة التالية مع بيان السّبب:

١ ـ قال ابن نباتة السّعديّ في وصف فرسٍ أغرّ:

وأدهمٌ يستمدّ اللّيل منه وتطلع بين عينيه الثُّريّا

٢ ـ وقال ابن المعتزّ:

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمامٍ قَتَلَ البخل وأحْيَا السَّماحا

٣ ـ وقال آخر:

وإذا المَنِيَّة أنشبت أظفارها ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفَعُ

٤ ـ خطب الخطيب فنثر دُرَرَهُ.

٥ ـ حاذر أن تلطخ نفسك بعارٍ، فإنه لن يُغْسَلَ عنك أبداً.

٦ ـ ما أشدّ عطش الغريب إلى لقاء أهله.

٧ ـ وقال شاعر:

وليلةٌ مرضت من كل ناحية فما يضيءُ لها نجمٌ ولا قمرُ

٨ ـ أمران أضِيقُ ذَرْعاً بهما: زيارة جبل بثرثرته، ومحادثة ثعلب بمراوغته.

تمرين (٦٦)

اجعل ما يلي استعارات أصلية وتبعية:

صدحت بلابل فوق الأغصان.

سفن تمخر في البحر وقد غطّاها الثلج.

الحذر من اللّسان الصارم.

تمرين (٦٧)

إشرح قول الشاعر وبيّنْ ما فيه من استعارات:

سحابٌ عداني سَيْلُهُ وهو مسبلٍ   وبحرٌ عداني فَيْضُهُ وهو مُفْعَمُ
وبدرٌ أضاءَ الأرْضَ شرقاً ومغرباً   ومَوْضِعُ رَحْلي منه أسْوَد مُظْلِمُ

❐ الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة ❐

ويُقَسِّمُ البلاغيّون الاستعارة تقسيماً ثالثاً باعتبار المُلائم إلى مرشحة ومجرّدة ومطلقة.

أ ـ الاستعارة المرشحة: وهي ما ذُكِر معها ما يُلائم المُستعار منه، أي «المشبّه به».

ومن أمثلتها ما يلي:

١ ـ قال شاعر:

سأبكيك للدُّنيا وللدِّين أنني   رأيتُ يدُ المعروف بَعْدك شُلَّتِ

ففي هذا البيت استعارة مكنية أصلية، فقد شبّه الشاعر المعروف بإنسان له يدٌ تُعْطِي والجامع البذل والعطاء في كلٍّ منهما، ثم حذف المشبّه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو «اليد»، والقرينة إثبات اليد للمعروف؛ فالاستعارة قد اسْتَوفَتْ قرينتها، ولكن إذا تأمّلناها وجدنا الشاعر قد ذكر معها شيئاً يلائم المُستعار منه «المشبه به» كلمة «شُلَّتِ»، ومن أجل ذلك تسمّى الاستعارة مرشحة.

٢ ـ قال شوقي:

ولا بدّ للغرس من نقله   إلى مَنْ تعهد أو من قطف

ففي إجراء الاستعارة في هذا البيت نقول: شُبِّه «العمل الصالح» بالغرس بجامع الفائدة في كلٍّ منهما، ثم استُعير اللفظ الدالّ على المشبّه به «العمل الصالح» للمشبّه «الغرس» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

وإرادة من الشاعر تقوية الاستعارة ذكر ما يُلائم المستعار منه، أي

«المشبه به» بذكر «تعهد» «ومن قطف»، وهما من ملائمات «الغرس» الذي هو المستعار منه كما ترى.

٣ ـ وقال البحتري:

وأرى المَنَايا إن رأتْ بِكَ شَيْبَةً ... جعلَتْكَ مرمى نَبْلها المتواتِرِ

ففي إجراء الاستعارة في هذا البيت نقول: شبّهت المنايا بإنسانٍ له عينان يرى بهما، ثم حذف المشبّه به ورمَزَ إليه بشيءٍ من لوازمه وهو إثبات الرؤية للمنايا على طريق الاستعارة المكنية الأصلية.

ولمّا أراد البحتريّ أن يقوّي من استعارته ذكر ما يلائم المُستعار منه «المشبّه به»، وهو «جعلتك مرمى نبلها» والمرمى ـ كما ترى ـ من ملائمات الرؤية.

ب ـ **الاستعارة المجرّدة**: وهي ما ذكر معها ملائم المستعار له، أي «المشبّه».

ومن أمثلتها ما يلي:

١ ـ قال شوقي:

أقْبَلَتْ شُمُوسُ ضُحًى ... ما لهنّ مُنْتَقَب

ففي البيت استعارة تصريحية أصلية في كلمة «شموس» حيث شبّهت النساء «بالشموس» بجامع الإشراق في كلّ، ثم اسْتُعير المشبّه به «شموس» للمشبّه «النساء» على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ هنا لفظية، وهي «أقبلت».

فالاستعارة قد استوفت قرينتها، ولكن إذا تأملناها رأينا أنه قد ذكر معها شيءٌ يلائم المستعار له «المشبه» وهو «النساء»، وهذا الشيء هو «عدم الانتقاب»: ولذكر ملائم المُستعار له «المشبه» مع الاستعارة تسمّى استعارة «مجرّدة».

٢ ـ وقال قائل: «رَحِم الله امرأً ألجم نفسه بإبعادها عن شهواتها».

ففي هذا القول استعارة مكنية، فقد شبّهت النفس «بجواد» بجامع أن كلّاً

منها يُكبح، ثم حذف المشبه به «الجواد» ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو «ألجم»، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصليّ هي «إثبات الإلجام للنفس».

وإذا تأمّلنا هذه الاستعارة التي استوفت قرينتها، رأينا أنه قد ذكر معها شيءٌ يلائم المستعار له «المشبّه» وهو «النفس»، وذلك الشيء هو «إبعادها عن شهواتها». ولذكر المستعار له «المشبه» مع الاستعارة تسمّى استعارة «مجرّدة».

٣ ـ ومن أمثلة الاستعارة المجرّدة هذه العبارة:

شربنا لُجَيْناً[١] سائِغاً شرابه.

ففي لفظة «لُجيناً» استعارة تصريحية أصلية، فقد شبّه فيها الماء «باللُّجين» بجامع البياض في كلّ، ثم اسْتُعير المشبّه به «اللُّجين» للمشبّه «المستعار له» وهو «الماء» على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والقرينة هنا لفظيّة، وهي «شربنا».

فالاستعارة كما ترى قد استوفت قرينتها، ولكن إذا نظرنا إليها، وجدنا أنه قد ذكر معها شيءٌ يلائم المستعار له «الماء»، وهذا الشيء هو «سائغاً شرابه». ولمّا ذكر ملائم المستعار له «المشبه» مع الاستعارة تسمّى الاستعارة «مجرّدة».

ج ـ **الاستعارة المطلقة**: وهي ما خلَتْ من ملائمات المستعار منه، والمستعار له، وهي كذلك ما ذكر معها ما يلائم المستعار منه والمستعار له معاً.

ومن أمثلتها ما يلي:

١ ـ قال المتنبي يخاطب ممدوحه:

يا بدر يا بحر يا غمام يا ... لَيْثَ الشَّرَى يا حِمامُ يا رجل[٢]

ففي هذا البيت استعارة تصريحية في كلّ من «بدر» و«بحر» و«غمامة»

(١) اللّجين: الفضة المُذابة.

(٢) الشّرى: مكان في جزيرة العرب يُوصف بكثرة الأسود. والحِمام: الموت.

و«ليث الشّرى» و«حمام»، فالمشبّه هنا الممدوح، والمشبّه به «البدر» مرّة، و«البحر» مرّة ثانية، و«الغمامة» مرّة ثالثة، و«ليث الشرى» مرّة رابعة، و«الحمام» مرّة خامسة، والقرينة في كلّ استعارة هي النداء.

وإذا نحن تأمّلنا كلّ هذه الاستعارات بعد أن استوفت قرينتها نجدها كذلك خاليةً ممّا يلائم المستعار منه والمستعار له، ولهذا السّبب تسمّى مطلقة.

٢ ـ قال شوقي:

لي في مديحك يا رسول عرائس ... تيمّن فيك وشاقهنّ جلاء

ففي لفظة «عرائس» استعارة تصريحية تبعية، ويقال في إجرائها:

شبّهت «القصائد» بـ«العرائس» بجامع الحسن في كلٍّ منهما، ثم استُعير اللفظ الدالّ على المستعار منه وهو «عرائس» للمستعار له وهو «القصائد» على سبيل الاستعارة التصريحية التبعيّة. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي لفظية، وهي «لي في مديحك».

وإذا تأملنا هذه الاستعارة التي استوفيت قرينتها رأينا أنه قد اقترن بها ملائم المستعار منه «عرائس» وهو «تيمّن فيك» و«شاقهن جلاء»، وكذلك ملائم المستعار له، وهو «في مدحك»، ولهذا السّبب الذي يتمثّل في اقتران الاستعارة بما يلائم المُستعار منه والمستعار له معاً تسمّى الاستعارة «مطلقة».

٣ ـ فرحت الطبيعة وغنّت الطَّير أناشيدها فوق الأغصان.

ففي الجملة الأُولى شبّهت الطبيعة بإنسانٍ وحذف المشبه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو «فرحت» على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الفرح للطبيعة، وهي استعارة مطلقة لخلوّها من ملائم المستعار له أو المستعار منه.

وفي الجملة الثانية استعارة مكنية أيضاً شبّه فيها الطير بإنسان وحذف المشبّه به ورمز إليه بشيءٍ من لوازمه وهو غَنّى، والقرينة إثبات الغناء للطَّير.

وإذا تأمّلنا هذه الاستعارة التي استوفت قرينتها رأينا أنه قد اقترن بها ملائم المستعار منه «الإنسان» وهو «غِنَاؤُه»، وكذلك ملائم المستعار له «الطير» وهو «فوق الأغصان»، ومن أجل اقتران الاستعارة بما يلائم المستعار منه والمستعار له، فهي استعارة مطلقة.

تمرين (٦٨)

بَيِّن لماذا كانت الاستعارات الآتية مرشحة، واذكر نوعها:

١ ـ قال شاعر:

إذا ما الدهرُ جرَّ على أُناسٍ ... كَلاَكِلَهُ أناخ بآخرينا

٢ ـ وقال آخر:

إذا المَرْء لم يدنس من اللّؤم عرضه ... فكلّ رِداءٍ يرتديه جميلُ

٣ ـ وقال:

أعددت للشعراء سُمًّا ناقعاً ... فسقَيْتُ آخرهم بكأس الأوّل

٤ ـ وقال أعرابيّ: «ما أشدّ جولة الرأي عند الهوى، وأشقّ فطام النفس عند الصّبا».

٥ ـ وقال التهامي يتعذّر لحُسّاده:

لا ذَنْبَ لي قد رُمْتُ كَتْم فضائلي ... فكأنَّما بَرْقعت وَجْه النَّهار

٦ ـ وقال أحدهم: لا تُصاحب الشرّ، فإنه بِئْس القرين.

تمرين (٦٩)

بيِّن لماذا كانت الاستعارات الآتية مجرّدة، واذكر نوعها:

١ ـ قال شاعر:

إذا انْتَصَل القوم الأحاديث لم يكن ... عَيْباً ولا ربأ على من يُقاعد

٢ ـ وقال البحتري يمدح:

يُؤدُّون التَّحيّة مِنْ بعيدٍ ... إلى قمرٍ مِنَ الإيوان بادِ

وقال شوقي:

بيروت مات الأسد حَتْف أنوفهم ... لم يُشْهِروا سيفاً ولم يَحْمُوكِ

٤ ـ وقال أحدهم: لا تلبس الرِّياء، فإنه خُلُقٌ ذميم.

٥ ـ رأيت أسداً يتكلّم، ولقيت بحراً يضحك.

٦ ـ وقال شاعر:

وليلةٍ مَرِضَتْ من كلِّ ناحيةٍ فما يُضيء لها نجمٌ ولا قمرُ

تمرين (٧٠)

بَيِّن لماذا كانت الاستعارات الآتية مطلقة، واذكر نوعها:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ١١].

٢ ـ قال المتنبي حين مرض بالحمّى بمصر:

فإنْ أمْرَض فما مَرِضَ اصْطِباري وإنْ أُحْمَمْ فما حُمَّ اعْتِزامي

٣ ـ وقال يخاطب سيف الدولة:

أحبّك يا شمس الزّمان وبدرِهِ وإنْ لامَنِي فيك السُّها والفرقد

٥ ـ وقال بدر الدّين يوسف الذهبي:

هَلُمَّ يا صاح إلى رَوْضةٍ يَجْلُو بها العاني صدَا همِّهِ

٧ ـ شراء النفوس بالإحسان، خيرٌ من بيعها بالعدوان.

تمرين (٧١)

بيِّن الاستعارات الآتية وما بها من ترشيح أو تجريد أو إطلاق.

١ ـ قال ابن الرومي:

بلدٌ صحبت به الشّبيبة والصِّبا ولبست ثوب اللَّهو وهو جديدُ

٢ ـ وقال التهامي في رثاء ابنه:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذاك عُمْرُ كواكب الأسْحارِ

٣ ـ وقال أحدهم ناصحاً:

«إذا عثرت فقُمْ غير بائس، وإذا حارَبَكَ الدّهر فتجمّل غير عابس».

٤ ـ وقال آخر:

أضاءَتْ لهم أحْسابهم ووجوهُهُم دُجَى اللَّيْلِ حتى نظَّم الجزع ثاقبه

٥ ـ وقال المتنبي:

غاضَ الوفاءُ فما تلقه في عدةٍ ... وأعوز الصّدق في الأخبار والقسم

٦ ـ «لا تنخدع إذا نظرت في الأُمور بسراب، بل اتّبع النّور دائماً في هذه الدُّنيا، واجتنب الظلام».

٧ ـ إيّاك والتفكّه بأعراض الناس، فشرّ الخلق الغيبة والقذف.

٨ ـ قال خليل مطران يصف الأفق الممتدّ المظلم، وقد اختلط سواده بحمرة الشّفق:

والأُفق معتكرٌ جَفْنُهُ ... يغضي على الغُمرات والأقْذاءِ

٩ ـ اكْتَسَتِ الطبيعة بالنبات والورود.

١٠ ـ وقال شوقي:

فَبِهِم في الزّمان نِلْنا اللّيالي ... وبِهِمْ في الوَرى لنا أنباء

١١ ـ وقال شاعر:

شمسٌ وبدرٌ وَلَدَا كوكباً ... أقسمت باللّه لقد أنْجبا

تمرين (٧٢)

إشرح الأبيات الآتية وبيِّن ما فيها من استعارات باعتبار ملائمها:

قال ابن خفَّاجة في أثناء سفره، يتشوّق إلى الوطن:

أجَبْتُ وقد نادى الغرام فأسمعا ... عشيّة غناني الحمام فرجّعا

فقلت، ولي دمعٌ ترقرق، فانْهمي ... يسيل، وصبرٌ قد وَهَى فتضعضعا

ألّا هَلْ إلى أرض الجزيرة أوْبةٌ ... فأسكن أنفاساً وأهدأ مضجعا!

وأغدو بواديها، وقد نضح النّدى ... معاطف هاتيك الرّبى، ثم أقشعا(١)

أغازل فيها للغزالة سنةً ... تحطُّ الصَّبا عنها من الغَيْم بُرقعا(٢)

وقد فضّ عقد القطر في كل تلعةٍ ... نسيم تمشي بينها، فتضوّعا(٣)

(١) أقشع: زال وانكشف.

(٢) الغزالة: الشمس. سنّة: وجه. تحط الصبا: أي أن الريح الشرقية تدفع بُرقع الغيوم عن وجه الشمس.

(٣) التّلعة: ما علا من الأرض. تضوع: انتشرت رائحته.

□ الاستعارة التمثيلية □

وتنقسم الاستعارة من حيث الإفراد والتركيب إلى مفردة ومركّبة.

فالاستعارة المفردة هي ما كان المستعار فيها لفظاً مفرداً، كما هو الحال في الاستعارة التصريحيّة والمكنية.

أما الاستعارة المركّبة، فهي ما كان المستعار فيها تركيباً، وهي التي يُطلق عليها البلاغيّون اسم «الاستعارة التمثيلية».

والاستعارة التمثيلية في تعريفاتهم هي «تركيب استُعمل في غير ما وُضِع له لعلاقة المشابهة مع قرينةٍ مانعةٍ من إرادة المعنى الأصلي».

وهذه بعض الأمثلة تُوضح الاستعارة التمثيلية:

١ ـ قال الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تَمامه   إذا كنت تَبْنِيه وغيرك يهدمُ؟

«يقال مثلاً للمصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره يبطل ما عمله الأوّل».

والمعنى الحقيقي لهذا التركيب كما يُفهم من البيت، أن البنيان لا يمكن له أبداً أن يبلغ تمامه إذا كان أحدهم يبنيه وغيره يهدم.

لكن التركيب كما أراد الشاعر لم يُستعمل في حقيقته، وإنما استعمله مجازيًّا للمصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره يُبطل ما عمله الأوّل، اعتداداً بنفسه أو كراهةً أن يُنسب الإصلاح إلى غيره، بعلاقة مشابهة بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ والقرينة حالية.

فالتركيب إذن استعاريّ، وفي إجراء استعارته يقال: شبّهت حال المصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره يبطل ما عمله الأوّل اعتداداً بنفسه أو كَراهَةَ أن ينسب الإصلاح إلى غيره، بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك على التمام جاء مَنْ يهدمه، بجامع عدم الوصول إلى الغاية في كلّ، ثم استُعير التركيب الدالّ على المشبّه به للمشبّه على سبيل الاستعارة التمثيلية والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي للبيت حالية تُفهم من سياق الكلام ومضمونه.

٢ ـ وقال البحتري:

إذا ما الجرح رُمَّ على فسادٍ   تَبَيَّنَ فيه إهمالُ الطّبيبِ

(يقال مثلاً لمن يصالح غيره والحقد لا يزال كامناً في قلوبهما)، والمعنى الحقيقي لهذا التركيب كما يُفهم من البيت أنّ الجرح إذا رمّ على فسادٍ كان ذلك شاهداً على إهمال الطبيب.

لكن التركيب كما أراد البحتري لم يُستعمل في حقيقته، وإنما استعمله مجازياً لمن يصالح غيره والحقد لا يزال كامناً في قلوبهما، لعلاقة مشابهة بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازي، والقرينة حالية.

فالتركيب إذن استعاري، وفي إجراء استعارته يقال: شبّهت حال مَنْ يصالح غيره والحقد لا يزال كامناً في قلوبهما بحال الجرح يلتئم قبل أن يُنَظَّف مما به من فساد، بجامع عودة الأثر المؤلم في كلّ، ثم استُعير التركيب الدالّ على المشبّه به للمشبّه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية تُفهم من سياق ومضمون الكلام.

٣ ـ والعرب تقول: أنت تضرب في حديدٍ بارد.

(يقال مثلاً لمن يلحّ في طلب شيء يتعذّر حصوله).

فالتركيب كما تقول العرب وما يُراد من قولها، تركيبٌ استعاريّ، وفي إجراء استعارته يقال: شُبِّهت حال مَنْ يلحّ في طلب شيء يتعذّر قضاؤه، بحال مَنْ يضرب في حديدٍ بارد يريد أن يلينه ويشكله في الشكل الذي يشاء، بجامع أن كليهما لا يبلغ قصده، ثم استُعير التركيب الدالّ على المشبّه به للمشبّه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة حالية تُفهم من سياق الكلام.

٤ ـ وجاء في أقوال العرب: لا تنثر الدُّرَّ أمام الخنازير.

(يقال لمن يقدم النصح لمن لا يفهمه أو لمن لا يعمل به).

فالتركيب كما تقول العرب وما يراد من قولها تركيبٌ استعاريّ، وفي إجراء استعارته يُقال: شبّهت حال من يقدّم النصح لمن لا يفهمه، أو لمن لا يعمل به، بحال من ينثر الدُّرَّ أمام الخنازير، بجامع أن كليهما لا ينتفع بالشيء النفيس الذي أُلقي إليه، ثم استُعير التركيب الدالّ على المشبّه به للمشبّه على

سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قرينة حالية تُفهم من مضمون الكلام.

٥ ـ ومن أمثال العرب: قطعت جهيزة قول كلّ خطيب.

(يقال لمن يأتي بالقول الفصل).

والمعنى الحقيقي لهذا المثل أنّ قول جهيزة يقطع قول كل خطيب، لكن التركيب المراد منه لم يُستعمل للدّلالة على هذا المعنى الحقيقيّ، وإنما هو مُستعمل مجازيًا لمن يأتي بالقول الفصل لعلاقة مشابهة بينهما، والقرينة حالية.

فالتركيب إذن استعاريّ، وفي إجراء استعارته يقال: شبّهت حال من يأتي بالقول الفصل بحال جهيزة حين أقبلت، فأنبأت القوم أنّ أولياء المقتول ظفروا بالقاتل فقتلوه[1]، وعلاقة المشابهة بين الحالين حَسْمُ الأمر وإزالة الخلاف، ثم استُعير التركيب الدالّ على المشبّه به للمشبّه على سبيل الاستعارة التمثيلية. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ قرينة حالية تُفهم من مضمون الكلام.

وجاء في أمثال العرب: على أهلها جَنَتْ براقش.

(يقال لمن يعمل عملاً يرجع ضرره إلى أهله وإليه).

والمعنى الحقيقي لهذا المثل أن براقش، وهي كلبة كانت لقومٍ من العرب، فأُغير عليهم فهربوا ومعهم براقش، فاتّبع القوم آثارهم بنباح براقش فهجموا عليهم وأوقعوا بهم.

فالتركيب إذن استعاري، وفي إجراء استعارته يقال: شبّهت حال مَنْ يعمل عملاً يرجع ضرره إلى أهله وإليه، بحال براقش حين نبحت فدلّت الأعداء على آثار القوم فأُهلكوا، ثم استُعير التركيب الدالّ على المشبّه به

---

(١) أصل المثل أن قوماً اجتمعوا يخطبون في صلح بين حيّين قتل أحدهما من الآخر قتيلاً، ويسألون أن يرضى أهل القتيل بالدّية، فبَيْنا هُمْ في ذلك، إذ جاءت أَمَةٌ يقال لها جهيزة فقالت: إن القاتل قد ظفر به بعض أولياء المقتول فقتله، فقالوا عند ذاك: قطعت جهيزة قول كل خطيب.

للمشبّه على سبيل الاستعارة التمثيلية، والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي قرينة حالية.

تمرين (٧٣)

أجرِ الاستعارة في الأبيات الشعرية التالية بفرض حال تجعلها لكلّ مثال منها:

١ ـ قال البوصيري:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رَمَدٍ ويُنكر الفمُ طَعْم الماءِ من سَقَمِ

٢ ـ وقال شاعر:

قَدِّرْ لرجلك قبل الخَطْوِ موضعها فمَنْ علا زلقاً عن غرّة زلجا

٣ ـ وقال المتنبّي:

ولم أرجُ إلا أهل ذاك ومن يُرِد مواطر من غير السَّحائبِ يُظْلَمُ

٤ ـ وقال شوقي:

لو كان في النّاب دون الخُلق منبهة تساوت الأُسْدُ والذئبان في الرُّتَبِ

٥ ـ وقال أبو تمام:

على أنّني لم أحْوِ مالاً مجمعاً ففُزْتُ به إلا بشَمْلٍ مُبَدَّدِ
ولم تُعْطِني الأيَام يوماً مسكناً ألذُّ به إلّا بنومٍ مُشَرَّدِ

تمرين (٧٤)

أجرِ الاستعارة في أمثال العرب الآتية:

١ ـ ما اسْتَبْقاكَ من عرضك للأسد.

٢ ـ ما عسى أن يبلغ عضّ النمل.

٣ ـ إن حالت القوس فسهمي صائب(١).

٤ ـ إن البغاث بأرضنا يستنسر(٢).

٥ ـ إن جانب أعياك فالْحَقْ بجانبِ.

---

(١) حالت القوس: زالت عن استقامتها. والسهم الصائب الذي يصيب غرضه.

(٢) البغاث: من ضعاف الطير. واستنسر: صار كالنسر في القوّة.

تمرين (٧٥)

أجرِ الاستعارة في كلّ مَثَلٍ من الأمثلة العربية الآتية بالبحث عن مواردها ومضاربها[1]:

١ ـ وعند جُهينة الخبر اليقين.

٢ ـ المعيدي تسمع به خير من أن تراه.

٣ ـ خلا لك الجوّ فبيضي واصفري.

٤ ـ ما ذنبي يداك أوكتا وفُوكَ نفخ.

٥ ـ لا تعدم الحسناء ذامًّا.

تمرين (٧٦)

إشرح قول الشاعر بإيجاز وأجرِ كلّ استعارة من استعاراته:

يُديفون لي سُمًّا وأسقيهم الحيا ... ويقرّونني شرا وشرّي مؤخَّرُ
كأني سَلَبْتُ القومَ نُورَ عُيونِهم ... فَلَا العُذْرُ مقبولٌ ولا الذَّنْبُ مغفورُ
وقد كان إحساني لهم غير مرّةً ... ولكنَّ إحسانَ البغيضِ مكفّرُ

◻ بلاغة الاستعارة ◻

الاستعارة صورة من صور التوسّع والمجاز في الكلام، وهي بجميع ضروبها وتعدّد مذاهبها وشعوبها من أوصاف الفصاحة والبلاغة العامّة التي ترجع إلى المعنى.

فمن خصائصها التي تذكر بها شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، فبالاستعارة تشخص وتجسد المعنويّات، وتبثّ الحركة والحياة والنُّطق في الجماد، فهي تُرينا المعاني اللّطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنّها قد جسّمت حتى رأتها العيون، وتلطّف الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلّا الظنون.

---

(١) مورد المثل: هو القصة أو الحادثة التي ورد فيها. ومضرب المثل: هو الحالة التي تستخدمه فيها.

تأمّل قوله ﷺ: «لا تستضيؤوا بنار المشركين».

فاستعارة «النار» للرأي والمشورة، أي لا تهتدوا برأي المشركين ولا تأخذوا بمشورتهم.

فرأي المشركين أمرٌ معنويّ خفيّ غير جليّ لا يُدرَك إلّا بالعقل، وتمثيله بالنار هو إظهارٌ له في صورة مجسّمة محسّةٍ مخيفةٍ يبدو فيها رأي المشركين ناراً تحرق كل مَنْ يُلامسها أو يأخذ بها، فجمال هذه الصورة هو السرّ في قوة تأخيرها، وهو راجع إلى مفعول الاستعارة، هذا المفعول الذي انتقل بالفكرة من عالَم المعاني إلى عالَم المُدرَكات.

وانظر أيضاً إلى صنيع سحر الاستعارة في قول البارودي:

إذا اسْتَلَّ منهم سيّدٌ غرب سيفه ... تفزّعت الأفلاك والْتَفَتَ الدَّهرُ

فكلّ من «الأفلاك» و«الدهر» قد استحالا بلمسات من سحر الاستعارة إلى كائنٍ حيٍّ حسّاس، فتلك الأجرام في السماء بعظمة ضخامتها وقوّة عددها ترتعد خوفاً وفزعاً، وهذا الدَّهر بجبروت سلطانه يلتفت عجباً وذهولاً كلّما اسْتَلَّ سيّد من قبيلة الشاعرَ المشهود لهم بالشجاعة والفروسية سيفه من غمدهِ!

فأيّ إحساسٍ ينتابك من هَوْل مما تسمع، وأية خاطرة تتبادر إلى ذهنك من هذه الصورة التي تموج بالحركة والاضطراب والحيوية والمشاعر المختلفة من فزع وخوف ودهشة وذهول.

ومن خصائص الاستعارة التي تذكر بها كذلك، وهي عنوان مناقبها: الإيجاز؛ فهي تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللّفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرُّر، ويجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر.

وهم يمثّلون لذلك بقول المعتزّ:

أثْمَرَتْ أغصانُ راحتِهِ ... بجِنَانِ الحُسْن عِنَّابَا

فلو أننا حملنا أنفسنا على إظهار التشبيه والإفصاح به، لاحتجنا إلى أن نقول: أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالب الحُسن تشبيه العنّاب من أطرافه المخضوبة، ولا يخفي الإيجاز في البيت وتحقيق المراد من التجميل

مع هذا الإيجاز والاختصار المختصّ به في مجامل النشاط الجمالي للاستعارة.

ومن مزايا الاستعارة تأكيد المعنى والمبالغة فيه، وهي في هذا أبلغ من التشبيه؛ لأن في الاستعارة كمال الادّعاء في الاتّحاد بين المشبّه والمشبّه به، كأنّهما شيءٌ واحد يُطلق عليهما لفظٌ واحد، يبيّن لك ذلك قولك في المدح بالحسن والبهاء: هو كالبدر، أو هو بدر، أو كأنه بدر؛ فأنت قد أبرزت الطرفين. ومعنى ذلك أن المشبّه لا زال ثابتاً في نفسك، مستقرًّا في حسِّك، وأنت تريد فقط إبراز صفة واضحة في المشبّه به لذلك المشبّه.

فإذا عبّرت عن هذا بأسلوب الاستعارة، فقلت في الممدوح: (إنه أضاء الأرض شرقاً وغرباً)، فقد بيَّنت كلامك على أن كون الممدوح بدراً، أمرٌ قد استقرّ في الأذهان وثبت عند الناس، وكأن هذا الخيال أصبح حقيقةً معروفة، وفي هذا من المبالغة وتوكيد الصفة ما هو واضحٌ بَيِّن.

ثم تأمّل قول الله تعالى في الإخبار عن الظالمين ومقاومتهم لرسالة رسول الله ﷺ.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾﴾ [إبراهيم: ٤٦] (على قراءة من نصب «لتزول» بلام كي).

«فالجبال» هاهنا استعارة طُوِي فيها ذكر المستعار له، وهو أمرُ الرسول ﷺ، ومعنى هذا أنّ أمر الرسول وما جاء به من الآيات البيِّنات الباهرات المعجزات التي هي في ثباتها واستقرارها كالجبال.

فجمال المبالغة الناشئة عن الاستعارة هو إخراج ما لا يُدرَك إلى ما يُدْرَك بالحاسّة، تعالِياً بالمخبر عنه وتفخيماً له؛ إذ صير بمنزلة ما يدرَك ويُشاهَد ويُعايَن. ولولا حسّيّة التطويل ولضيق نطاق هذا الكتاب، لعرضنا عليك كثيراً من مزايا الاستعارة وصوراً من بدائعها، ولكننا نعتقد أن ما قدَّمناه فيه كفاية الغناء وما يشوقك ويستحثّك للكشف بنفسك عن خصائصها الأخرى.

الكناية

○ ماهية الكناية:

الكناية اسم جامع تُعرّف بكونها اللفظ الذي أطلق وأُريد به لازم معناه، مع جواز إرادة ذلك المعنى.

وإليك هذه الأمثلة تُوضحها:

١ ـ قال الشاعر:

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضّل

والشاهد في «نؤوم الضحى»، فهو يصف هذه المرأة بأنها منعمة مترفة مخدومة، لكن الشاعر لم يأتِ بالألفاظ الدالّة على ذلك مباشرةً ولجأ إلى لازمها، أي أنه عدل عن التصريح بهذه الصفات إلى الكناية عنها، فالنَّوم إلى وقت الضحى ـ وهو وقت السعي في أمر المعاش عند العرب ـ يستلزم تَنَعُّمَ هذه المرأة وترفها ووجود خدم يكفونها مؤونة هذا السّعي.

فالكناية إذن أن تذكر الشيء وتُريد لازمه أو ما يفضي إليه ويدلّ عليه، فنوم الضحى تعبير يدلّ على التنعّم والتّرف.

٢ ـ ووصف أعرابيّ خطيباً فقال: كان بليل الريق، قليل الحركات.

فالأعرابي يصف هذا الخطيب بأنه صاحب ثبات واطمئنان عند الخطابة، كما أنه فصيح قادر على التصرّف في القول، لكنه لم يأتِ بالألفاظ الدالّة على ذلك مباشرةً، بل لجأ إلى لازمها، أي أنه عدل عن التصريح بهذه الصفات إلى الكناية عنها، فكون الخطيب بَلِيل الرِّيق عند الخطابة يلزم ثباته واطمئنانه، ويلزم من قلّة حركاته، فصاحته وطواعية الكلام له؛ لأنه لا يحتاج إلى الحركات التي يلتجىء إليها الخطيب عندما تعجز عبارته عن تأدية المعاني التي يريد التعبير عنها.

٣ ـ والعرب تقول: (لَبِسَ جِلْدَ النمر).

فهي تصف هذا الإنسان بالمجاهرة بالعدوان، لكنها انصرفت عن التعبير به إلى ما هو أملح وأوقع في النفس، وهو (لبس جلد النمر)، فالتشبّه بلبس جلد النمر يُلزم المجاهرة بالعدوان لما يُعرف عن هذا الحيوان المفترس من شراسة وقوّة فَتْك.

٤ ـ والعرب تقول في المديح: الكرم في أثناء حلّته.

فالعرب عندما أرادت أن تنسب الكرم إلى مَنْ تُخاطبه، عدلت عن نسبته إليه مباشرة ونسبته إلى ما له اتّصال به، وهو «الحلّة».

وإذا رجعنا إلى أمثلة الكناية السابقة رأينا أنّ منها ما يجوز فيها إرادة المعنى الحقيقيّ الذي يُفهم من صريح اللّفظ، ومنها ما لا يجوز فيه ذلك.

ففي الكناية الأُولى: «نؤوم الضحى» يجوز فيها حمل المعنى على جانب الحقيقة، فهي لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها، فلا يمنع في «نؤوم الضحى» أن تريد النوم إلى وقت الضحى من غير ارتكاب تأوّل، وكذا يقال بالنسبة للكناية في المثال الثاني.

أمّا الكناية في المثال الثالث والرابع، فلا يجوز فيه إرادة المعنى الحقيقي الذي يُفهم من صريح اللفظ.

تمرين (٧٧)

عيِّن الكناية في الأمثلة التالية:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ [الكهف: ٤٢].

٢ ـ وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الزخرف: ١٨].

٣ ـ عالِمٌ يُشارُ إليه بالبنان.

٤ ـ جاءه الخبر، فركب جناحي نعامة.

٥ ـ رُوِي عن امرأة وقفت على قيس بن سعد فقالت: «أشكو إليك قلّة الفأر في بيتي»، فقال: «ما أحسن ما وردت عن حاجتها، املؤوا بيتها خبزاً ولحماً وسمناً».

٦ ـ وقال شاعر:

أريد بسطة كَفٍّ أستعين بها   على قضاء حقوق للعلا قبلي

تمرين (٧٨)

بيِّن الكنايات الآتية وبيّن التي يَجُوزُ فيها إرادة المعنى الحقيقي الذي يُفهم من صريح اللّفظ وما لا يجوز فيها:

١ ـ سُئِل أعرابيّ عن سبب اشتعال شيبه، فقال: «هذا رغوة الشباب».

٢ ـ تلك امرأة ناعمة الكفّين.

٣ ـ نبس ببنت شفة، فكان وقعها في النفوس عظيماً.

٤ ـ وقال شاعر:

إنّ السماحة والمروءة والندى   في قبّة ضربت على ابن الحشرج

٥ ـ وقال أعرابي: «دخلت البصرة، فإذا ثيابٌ أحرارٍ، على أجساد عبيد».

٦ ـ فلان لا يضع العصا عن عاتقه.

▫ أقسام الكناية ▫

يقسّم البلاغيّون الكناية باعتبار المكني عنه ثلاثة أقسام تتمثّل في أن المكني عندهم: قد يكون صفة، وقد يكون موصوفاً، وقد يكون نسبة.

ولعلّ الأمثلة والتعقيب عليها بالشرح والتحليل خير وسيلةٍ لتوضيح الكناية وبيان أثر صورها المختلفة في بلاغة الكلام.

أ ـ كناية الصفة: وفي هذا القسم تكون الصفة هي المحتجبة المتوارية، والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة وأمثالها لا النعت.

١ ـ ومن أمثلة ذلك قول الخنساء في أخيها صخر:

طويل النجاد رفيع العماد   كثير الرماد إذا ما شتا

فالخنساء في هذا البيت تصف أخاها صخراً بثلاث صفات هي: «إنه طويل النجاد، رفيع العماد، كثير الرماد».

وهي بهذه الصفات تريد أن تدلّ على أن أخاها شجاعٌ عظيم في قومه،

كريم. ولكنها عدلت عن التصريح بهذه الصفات إلى الكناية عنها؛ لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادةً، ثم إنه يلزم من كونه رفيع العماد أن يكون سيّداً عظيمَ الشأنِ والمنزلة في قومه وعشيرته، كما أنه يلزم من كثرة الرماد كثرة إحراق الحطب تحت القدور، ثم كثرة الضيفان، ثم كثرة الكرم.

٢ ـ وقال شوقي:

للعلم والعدل والتمدين ما عزموا — من الأمور وما شدّوا من الحَزْمِ

فقد كنى شوقي في هذا البيت عن حُسْن الاستعداد بشدّ الحزم، وأنت ترى أنه لم يأتِ بالألفاظ الدالّة على ذلك مباشرةً، بل عدل عن التصريح بهذه الصفة ـ حسن الاستعداد ـ إلى الكناية عنها ـ ما شدّوا من الحزم ـ لأنه يلزم من حُسْن الاستعداد شدّ الحزم.

٣ ـ تقول العرب: فلان رحب الذّراع.

ورحابة الذّراع كناية عن الكرم؛ لأن طول الذّراع يستلزم طول الجسم، وطول الجسم يستلزم الشجاعة عادةً، والكرم والشجاعة صنوان.

فتراكيب الكناية في الأمثلة السابقة «طويل النجاد» و«رفيع العماد» و«كثير الرماد» و«شد الحزم» و«رحب الذّراع».

ولمّا كان كلّ تركيب من هذه التراكيب قد كُنّي به عن صفة لازمة لمعناه، كان كل تركيب من هذه وما يشبهه «كناية عن صفة»، وهذا هو القسم الأوّل من أقسام الكناية.

ب ـ **كناية الموصوف**: وفي هذا القسم يكون الموصوف هو المحتجب المتواري، والشرط هنا أن تكون الكناية مختصّة بالمكني عنه لا تتعدّاه، وذلك ليحصل الانتقال منها إليه.

ومن أمثلة **كناية الموصوف** ما يلي:

١ ـ قال شاعر:

الضاربين بكلّ أبيض مخذمٍ — والطاعنينَ مجامعَ الأضغان

ففي هذا البيت أراد الشاعر وصف ممدوحيه بأنهم شجعان يطعنون وقت الحرب، ولكنه بدل أن يعبّر عن هذا التعبير الحقيقي الصريح نراه يعدل عنه إلى ما هو أبلغ وأشدّ تأثيراً في النفس، وذلك بالكناية عن القلوب ـ «مجامع الأضغان»؛ لأن القلوب تفهم منه، إذ هي موضع ومجتمع الأضغان والأحقاد والحَسَد والكراهية وغيرها.

٢ ـ وقال آخر يمدح أيضاً:

لم يأتِ سيفك فحشاء ولا هتكت قناك من حرمة الرُّهبان والصُّلبِ[١]

فالكناية في البيت هي «الصلب» يريد الشاعر أن يقول عن ممدوحه أن سيفه لم يأتِ فحشاء، وأنّ قناه لم تهتك حرمة الرهبان وأتباعهم من المسيحيّين، وأنت ترى أن الشاعر قد انصرف عن التعبير بالمسيحيّة هذا التعبير الحقيقي الصريح إلى ما هو رمز لها، وهي «الصلب».

٣ ـ والعرب تقول: كبرت سن فلان وجاءه النذير.

فلفظ الكناية هنا هو «النذير»، ولو شاءت العرب أن تعبّر عن معناه تعبيراً حقيقياً صريحاً لقالت: «كبرت سنّ فلان وجاءه الشيب»، ولكنها لم تشأ ذلك وآثرت التعبير عنه كنائياً بقولها: «كبرت سنّ فلان وجاءه النذير» لما له من تأثير بليغ في النفس؛ إذ الشيب نذير الفناء والهلاك.

وإذا تأمّلنا تراكيب الكناية في هذه الأمثلة، وهي «مجامع الأضغان» و«الصلب» و«النذير»، رأينا أن كل تركيب منها كُنّي به عن ذات لازمة لمعناه، لذلك كان كلّ منها «كناية عن موصوف» وكذلك كل تركيب يماثلها.

جـ ـ كناية النسبة: وهذا النوع من الكناية عدول بالكلام عن التعبير المباشر، وذلك عن طريق إثبات الصفة لشيء يتعلق بمن نريد إثباتها له.

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١ ـ قال شوقي:

وإذا صُحِبْتَ رَأى الوفاءَ مجسماً في بردك الأصحاب والخُلطاء

---

(١) جمع صليب.

فالشاعر هنا يريد أن ينسب إلى ممدوحه الوفاء أو أن يثبت له هذه الصفة، ولكنه بدل أن ينسب إليه الوفاء بصريح اللّفظ، فيقول: «هو وفيّ» عدل عن نسبة هذه الصفة إليه مباشرة ونسبها إلى ما له اتّصال به وهو «البرد».

٢ ـ وقال شاعر:

اليمن يتبع ظلّه والمجد يمشي في ركابه

فالشاعر في هذا البيت بدل أن يصف الممدوح بأنه ميمون الطّلعة، قال: إن اليمن يتبعه أينما سار، واتّباع اليمن ظلّه يستلزم نسبته إليه.

٣ ـ وقال أبو تمام يمدح أبا دلف:

إذا العيش لاقت أبا دلف تقطع ما بيني وبين النوائب
هنالك تلقي الجود من حيث قطعت تمائمه والمجد مرخى ذوائب

فإن أبا تمام أراد أن يثبت هاتين الصفتين ـ الكرم والمجد ـ خِلالاً للممدوح، لكنه لم يصرّح بذلك فيقول: إنهما مجموعتان فيه أو مقصورتان عليه أو نحو ذلك، بل عدل إلى ما أنت تراه، فجعلهما في مجلسه ليمكّنه أن يثبتهما للممدوح بطريق الكناية؛ لأنه إذا ثبت الأمر في مكان الرّجل وحَيِّزه فقد أُثبِت له.

فكناية النسبة كما يتّضح من الأمثلة السابقة تتمثّل في العدول عن نسبة الصفة إلى الموصوف مباشرة ونسبتها إلى ما له اتّصال به.

تمرين (٧٩)

في الأمثلة الآتية كنايات عن صفة بيّنها:

١ ـ قال شاعر:

بِيضٌ صنائعنا سُودٌ وقائعنا خُضْرٌ مرابعنا حُمْرٌ مواضينا[١]

٢ ـ وقال آخر:

وأقبلت يوم جدّ البَيْن في حُلَلٍ سُودٍ تعضّ بَنان النّادم الحَصِرِ[٢]

(١) الصنائع: جمع صنيعة وهي الإحسان. والمرابع: جمع مربع، وهو الموضع الذي يتربّعون فيه زمن الربيع. والمواضي: السيوف.

(٢) الحصر: البخيل.

٣ ـ وقال الحجّاج: إن أمير المؤمنين نثر كنانته عوداً عوداً، فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها مكسراً فرماكم بي ـ والله لأخرمنّكم حزم السلمة، ولأضربنّكم ضرب غرائب الإبل.

٤ ـ وقال شاعر:

العبد العزيز على قومه ... وغيرهم منّة ظاهره
فبابك أسهل أبوابهم ... ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالزّائرين ... من الأمّ بالابنة دائره

٥ ـ وتقول العرب:

فلانٌ كثير الرّماد، نقيّ الثوب، طاهر الأزرار، سليم دواعي الصّدر، طلق المُحيّا.

تمرين (٨٠)

في الأمثلة الآتية كنايات عن موصوف بيِّنها:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَحَمَلْنَهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القمر: ١٣].

٢ ـ قال البحتريّ في القصيدة التي تحدّث فيها عن نزاله للذّئب وضربه بالرمح مرّة بعد أخرى:

فأتْبَعْتُها أخرى فأضْلَلْتُ نصلها ... بحيث يكون اللّبُّ والرعبُ والحقدُ

٣ ـ وقال شوقي يخاطب الخائضين في البحث عن عقيدة يتبنّوها:

ذهبوا في الهوى مذاهب شتّى ... جمعتها الحقيقة الزّهراء

٤ ـ وقال أيضاً:

أُسْكُبْ دموعك لا أقول اسْتَبْقِها ... فأخو الهوى يبكي على أحبابه

٥ ـ أوسع لغة في العالم بنت عدنان.

تمرين (٨١)

في الأمثلة الآتية كنايات عن نسبة بيِّنها:

١ ـ قال شوقي:

ومَنْ يَكُ في بُرْدِ النّبيّ وثوبه ... تَجُزَّهُ إلى أعدائه الرميّات

٢ ـ وقال شاعر:

ولا زال بيت الملك فوقك عالياً ... تُشَيَّدُ أطناب له وعمود

٣ ـ وقال يزيد بن الحكم في مدح المهلّب:

أصبح في قيدك السّماحة والمجـ ـد وفضل الصلاح والحسب

٤ ـ وتقول العرب في المديح: الكرم في أثناء حلّته.

تمرين (٨٢)

بيّن نوع الكنايات الآتية وعيّن لازم معنى كلٍّ منها:

١ ـ قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ [الرحمن: ٥٦].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢].

٣ ـ تعرّضت عجوز لسليمان بن عبد الملك فقالت: يا أمير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصى، فقال لها: ألطفت في السؤال، لا جرم لأَرُدَّنَّهَا تَثِبُ وَثْبَ الفهود، وملأ بيتها حبًا.

٤ ـ وقال البحتريّ:

أوَ ما رأيت المجد ألقى رَحْلَه في آل طلحة ثم لم يتحوّل

٥ ـ وقال شوقي:

وتمشي تعلم في أُمّةٍ كثيرةِ من لا يَخُطُّ الألف

٦ ـ وقال أبو الطيب المتنبّي يمدح سيف الدولة حين أجهز على بني كلاب:

إذا ما سِرْتَ في آثار قوم تخاذلت الجماجم والرّقاب

٧ ـ وقال أيضاً ومن نفس القصيدة والمناسبة:

فَمَسَاهُمْ وبُسْطُهُمْ حرير وصَبَّحَهُمْ وبسطهم تراب

ومن في كفّه منهم قناة كمن في كفّه منهم خضاب

٨ ـ وقال شاعر معاصر:

بين بُرْدَيْك يا صبيّة كنز من نقاء معطّر معشوق

وبعينيك يا صبيّة شجو ساهم اللّمح مُستطار البريق

تمرين (٨٣)

إشرح الأبيات الآتية وبيّن نوع الكناية التي بها:

قال الخوارزمي:

وكنت إذا نهدت لغز قوم وأوجبت السياسة أن يبيدوا

تبرّأت الحياة إليك منهم وجاء إليك يتعذّر الحديد
وطلقت الجماجم كل قحف وأنكر صحبة العنق الوريد

□ بلاغة الكناية □

الكناية فنّ من فنون التعبير البياني، وهي من أهمّ الأساليب التي توخّاها العرب، ولجأ إليها الأدباء، لما تحقّقه من غايات بلاغية وأسرار فنّية، وهذه بعضها:

فهي في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها، وتعرض لك القضية وفي طيّها برهانها، فإذا كان للكناية مزية على التصريح فليست تلك المَزِيَّة في المعنى المكنيّ عنه، وإنما هي في إثبات ذلك المعنى للذي ثبت له، انظر إلى قول أبي فراس الحمداني، وهو أسير في بلاد الرّوم يخاطب ابن عمّه سيف الدولة بقوله:

وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع وفي كلّ يوم لقية وخطاب
فكيف وفيما بيننا ملك قيصر وللبحر حولي زخرة وعباب؟

ففي البيت الثاني يريد أبو فراس أن يقول: «فكيف وفيما بيننا بعد شاسع» ولكنه كنّى عن هذا المعنى بقوله: «ملك قيصر وللبحر حولي زخرة وعباب»، فجمال هذه الكناية ليس في المعنى المكنّى عنه، وهو «البعد الشاسع الذي يفصل بين الرجلين»، وإنما هو في الإتيان بملك قيصر والبحر الزّاخر العباب وإثباته للمكنى عنه في صورة دليل محسوس عليه.

ومن أسباب بلاغة الكناية قدرتها على تجسيم المعاني ووضعها في صور محسوسة تزخر بالحياة والحركة، وتبهر العيون منظراً، وتحدث انفعال الإعجاب، أتُرَاكَ تشاهد لطف التعبير، ودقّة التصوير إذا تأمّلت الكناية بـ«حمّالة الحطب» عن النمّامة التي تفسد ذات البَيْن وتهيج الشرّ في قوله تعالى يصف امرأة أبي لهب: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤]، فإنك وأنت تقرأها يخيل إليك أنّها مُمسكة حطبها بيديها، ومشعلة ناراً لتوقد العداوة والبغضاء بين القوم، وتؤلّب بعضهم على بعض.

ومن خواص الكناية وبلاغتها ما فيها من حيلة بترك بعض الألفاظ إلى

ما هو أجمل في القول وآنس للنفس، ألا ترى إليهم وهم يكنون عن الموت بقولهم: «فلان قد استوفى أكله»، أو بقولهم: «لحق باللّطيف الخبير».

ومن صور الكناية الرائعة تفخيم المعنى في نفوس السامعين نحو قوله تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحاقة: ١ ـ ٣]، «فالحاقة» كناية عن القيامة، وقد عدل عن التصريح بلفظ «القيامة» إلى الكناية عنها بلفظ «الحاقّة» لا لإثبات ذلك المعنى للقيامة، وإنما لإثبات شاهده ودليله، وهو أنها حاقّة في ذاتها، وأنها حاقّة بأنبائها وأهوالها، وذلك تفخيماً وتعظيماً لشأن القيامة في النفوس.

ومن محاسن الكناية أنها قد تكون طريقاً من طرق الإيجاز والاختصار؛ كقوله تعالى كناية عن كثير من الأفعال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، وقولهم كناية عن الجامع لكل شيء «هو سفينة نوح».

ومن أسرار الكناية التعمية والتغطية، فهناك كثيرٌ من المعاني يفرّ الأدباء من التصريح بها حرصاً على المكنيّ عنه أو خوفاً منه، كالكناية عن أسماء النساء، أو أسماء الأعداء؛ كقول عمر بن أبي ربيعة:

أيا نخلتي بوانة حبّذا ... إذا نام حراس النّخيل جناكما
فطيبكما أرْبَى على النَّخْل بهجة ... وزاد على طولِ الفتاء فتاكما

فقد كنا «بنخلتي واد بوانة» عن اثنتين من صواحبه حرصاً على سمعتهما، كما كَنَّى «بحرّاس النخيل» عن ذويهما خوفاً منهم.

ولعلّ أسلوب الكناية من بين أساليب البيان، هو الأسلوب الوحيد الذي يُستطاع به التعبير عن المعاني غير المُستحسنة بألفاظ لا تعافها الأذواق، ولا تمجّها الآذان، وأمثلة هذا كثيرة في القرآن الكريم الذي لا يحوي إلا العبارة المهذّبة، والكلام العذب السّائغ. وذلك كقوله تعالى في النهي عن أخذ المهور مع ذكر السّبب:

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١]؛ وكقوله تعالى في قصة عيسى وأمّه عليهما السلام: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:

٧٥]؛ فالكناية في قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ كناية عمّا لا بدّ لأكل الطعام منه، وهو قضاء الحاجة عند كلٍّ منهما.

كما أنك لترى فيها من العجب العجاب، ومن غريب الصنعة، ومن بديع السِّحر إذا كانت في باب الصناعات الخسيسة، والأشياء الحقيرة يذكر منافعها، كما قيل لحائك: ما صناعتك؟ قال: زينة الأحياء وجهاز الموتى.

وحسن الكناية عمّا يجب أن يكنى عنه في الموضع الذي لا يحسن فيه التصريح، أصل من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة.

علم المعاني

علم المعاني

○ تعريفه:

علم المعاني هو العلم الذي يحترز به عن الخطأ في التعبير بالصور اللفظية عن الأفكار والمعاني المتصوّرة في الذهن، أو بأنه العلم الذي يُعرف به أحوال اللفظ العربي من ناحية مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحة الألفاظ المعبّرة عن الفكرة، وكِلَا التعريفين يكشف لنا عن طبيعة علم المعاني ووظيفته في التعبير عن الفكرة تعبيراً يُلائم أحوال المخاطبين وقدراتهم في الفَهْم، ومدى ما يكون لديهم من الاستعداد لتقبّل الفكرة التي يُراد أداؤها.

○ مباحثه:

هي الخبر، والإنشاء، والذِّكر والحذف، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والقصر، والفصل والوصل، والإيجاز، والإطناب، والمساواة.

▢ الخبر والإنشاء ▢

الكلام قسمان: خبر وإنشاء.

١ ـ **فالخبر**: ما يصح أن يقال لقائله إنه صادق فيه أو كاذب، فإنْ كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقاً، وإنْ كان غير مطابق له كان قائله كاذباً.

وإليك هذين المثالين يوضحان مفهوم الخبر:

أ ـ قال شاعر:

أُسودٌ إذا ما أبْدَت الحرب نابَها وفي سائر الدَّهر الغيوث المواطر

فالشاعر يخبرنا بأنّ قومه أُسود أولو بأس شديد إذا ما اندلعت الحرب،

وهم غيوث مواطر كرماء يجودون بأموالهم في سائر الدَّهر. وهذا القول يحتمل أن يكون الشاعر قد صدق فيه، كما يحتمل أن يكون كاذباً فيه، فهو صادقٌ إنْ كان قوله مطابقاً للواقع، كاذبٌ إنْ كان قوله غير مطابق للواقع.

ب ـ وقال أبو الطيب المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله   وأخو الجَهالة في الشقاوة يَنْعَمُ

فالمتنبي يُخبرنا بأن من أُوتي عقلاً ـ وهو نعمة من الله كبرى ـ هو شقيٌّ بما أُوتي، وأن أخا الجَهالة ـ والجهالة شقاوة ـ هو فيها ينعم. وهذا الكلام يحتمل أن يكون المتنبّي صادقاً فيه، كما يحتمل أن يكون كاذباً، فهو صادقٌ إنْ كان كلامه مطابقاً للواقع، كاذبٌ إن كان كلامه غير مطابق للواقع.

٢ ـ **والإنشاء**: ما لا يصحّ أن يقال لقائله إنه صادقٌ فيه أو كذاب.

وهذان المثالان يوضحان مفهوم الإنشاء:

أ ـ قال محمد العيد مخاطباً الطلاب:

يا معشر الطلاب هذا عهدكم   فاسعوا لكسب المجْدِ سَعْي عظام

فالشاعر ينادي الطلاب ويأمرهم أن يسعوا لكسب المجد سعي العظماء بهمّة وحزم كبيرين، فالعهد عهدهم. وهذا الكلام لا يصح أن يقال لقائله: إنه صادق فيه أو كاذب، لأنه لا يُعْلمنا بحصول شيء أو عدم حصوله، وإنما هو ينادي ويأمر.

ب ـ وقال شاعر معاصر:

لا تحسبوا البُعْد يُنْسيني مودَّتكم   هيهات هيهات أن تُنسى على الزَّمن

فالشاعر ينهى أحبابه أن يظنّوا بأنّ البُعد ينسيه مودّتهم، فهذا بعيد مُستحيل الوقوع، فهو لا ينسى مودَّتهم على مرِّ الزَّمن وطوله.

وهذا الكلام أيضاً لا يصحّ أن يقال لقائله: إنه صادق فيه أو كاذب؛ لأنه لا يعلمنا بحصول شيء أو عدم حصوله، وإنما هو ينهى.

٣ ـ **ركنا الجملة**: لكلّ جملة من جمل الخبر والإنشاء ركنان: محكوم عليه وهو المسند إليه، ومحكومٌ به وهو المسند، وما زاد على ذلك غير

المضاف إليه الصّلة، فهو قيد[1].

فالمسند إليه هو	المسند
(١) فاعل الفعل التامّ نحو: قدم محمد	المبتدأ المستغني عن الخبر
(٢) المبتدأ الذي له خبر نحو: الصبر نافع	(٢) خبر المبتدأ نحو: الصبر نافع
(٣) أسماء الأدوات الناسخة نحو: إن الصادق محمود	(٣) الفعل التام.
(٤) المفعول الأوّل لظنّ وأخواتها نحو: أظن طلب الرزق ضرورة	(٤) أخبار النواسخ كان وظن... نحو: كان الطقس بارداً.
(٥) المفعول الثاني لأرى وأخواتها، نحو: أرأيت محمداً الصبر على البلاء نافعاً	(٥) المفعول الثاني لظنّ وأخواتها نحو: أظن طلب الرزق ضرورةً.
	(٦) المفعول الثاني لأرى وأخواتها، نحو: أرأيت محمداً الصبر على البلاء نافعاً.
	(٧) اسم الفعل، نحو: وي! بمعنى أعجب

تمرين (٨٤)

ميِّز الجمل الخبرية من الجمل الإنشائية فيما يأتي:

١ ـ قال معن بن أوس:

ولست بماشٍ ما حييت لمنكر ... من الأمرِ لا يمشي لمثله مثلي

٢ ـ وقال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ:

«اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فأحِبَّ لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكرهه لها».

---

(١) القيود: هي أدوات الشرط، والنفي، والمفاعيل، والحال، والتمييز، والتوابع، والنواسخ.

٣ ـ قال ابن الرومي:

حُماةُ الكَرى هَمٌّ سرى فتأوّبا ... فبات يراعي النَّجم حتى تصوّبا
أعيني جوداً لي فقد جدت للثّرى ... بأكثر مما تمنعان وأطيبا

٤ ـ قال قيس بن عاصم لبنيه لمّا حضره الموت:

«يا بَنِيّ، احفظوا عني ثلاثاً، فلا أحد أنصح لكم منّي، إذا متّ فسوّدوا كباركم، ولا تسوِّدوا صغاركم، فيحقر الناس كباركم، وتهونوا عليهم، وعليكم بحفظ المال فإنه منبهة للكريم، ويُستَغْنى به عن اللّئيم، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب الرجل».

تمرين (٨٥)

عيِّن ركني الجملة (المسند إليه والمسند) في كل جملة رئيسية[١] فيما يأتي:

١ ـ قال ابن المقفّع في الصديق وما يتعلق به:

«أبذل لصديقك دمك ومالك، ولمعرفتك رفدك ومحضرك، وللعامّة بشرك وتحنُّنك، ولِعَدُوِّك عدلك، واضْنُنْ بدِينك وعرضك على كل أحد».

٢ ـ وقال أبو العلاء في إحدى وصاياه:

«ألا أدلّك على أخلاقٍ إذا فعلتها أطَعْتَ الله وأحبّك الناس، وبربّنا اهتدى كلُّ دليل؟ أسكت ما استطعت إلّا عن ذكر الله، فإذا نطقت فلا تصدّق الكاذب، ولا تكذِّب الصادقين. واعلم أنّ الفقراء بطعامك أحقُّ من الأغنياء؛ ولا تلم على شيء كان بقضاء الله، ولا تهزأنّ بأحد، ولا تُرَ مع الهازلين، ولا تؤازر الظالم، ولا تجالس المغتاب».

٣ ـ وقال ابن خفّاجة يندب ريعان الشباب ويحنّ إلى معاهد أترابه وأحبابه:

كفاني شكوى أن أرى المجد شاكياً ... وحسب الرّزايا أن تراني باكيا
أداري فؤاداً يصدعُ الصّدّرَ زفرة ... ورجع رنين يجلب الدّمع ساحيا

٤ ـ وقال ابن الوردي:

---

(١) تنقسم الجملة عند علماء المعاني إلى جملة رئيسية وجملة غير رئيسية، والأولى هي المستقلة التي لم تكن قيداً في غيرها، والثانية ما كانت قيداً في غيرها وليست مستقلّة بنفسها.

حــبُّــك الأوطــان عــجــزٌ ظــاهــرٌ | فــاغــتــرب تــلــق عــن الأهــل بــدل
فَــبِــمَــكْــثِ الــمــاء يــبــقــى آســنــاً | وسـرى الـبـدر بـه الـبـدرُ اكـتـمـل(١)

تمرين (٨٦)

ميِّز فيما يأتي الجمل الخبرية من الجمل الإنشائيّة، وعيِّن المسند إليه والمسند في كلّ جملة.

قال صفيّ الدّين الحلي يمدح الملك الناصر:

يـا أيـهـا الـمـلـك الـبـانـي لـدولـتـه | ذكراً طوى ذكر أهل الأرض وانتشرا
كانت عِداك لها دستٌ فقد صدعت | حصاة جِدِّكَ ذاك الدَّستَّ فانكسرا(٢)
فأوقع إذا غدروا سوط العذاب بهم | يظل يخشاك صرف الدَّهر إن غدرا
وأرْعِب قلوب العِدا تُنْصَر بخذلهم | إنّ النبيّ بفضل الرُّعب قد نُصِرا(٣)
ولا تُـكـدِّر بـهـم نـفـسـاً مـطـهَّـرةً | فالبحرُ من يومه لا يَعْرف الكَدَرا
ظنّوا تأتيك عن عجزٍ وما علموا | أنّ التأنّي فيهم يُعْقِبُ الظّفرا(٤)
أحسنتم فبغوا جهلاً وما اعترفوا | لكم ومن كَفَرَ النُّعْمى فقد كفرا(٥)

تمرين (٨٧)

انثر البيتين الآتيين بأسلوب جميلٍ فصيح، ثم عيّن الجمل الخبرية والجمل الإنشائية التي تأتي في نثرك:

قال البوصيري:

وخالف النّفس والشيطان واعْصهما | وإن هما محضاك النّصح فاتَّهم
ولا تُطِعْ منهما خصماً ولا حَكَماً | فأنت تعرف كَيْدَ الخصم والحكم

---

(١) أسِنَ الماء: تغيّر، فهو آسن.
(٢) الدّست: الغلبة في لعبة الشطرنج، أراد به مطلق الغلبة. وأراد بالحصاة معنييها: القريب، وهو واحد الحصى، والبعيد وهو العقل وحسن التدبير. الجدّ: الاجتهاد والاحتياط. وتلخيص المعنى: كانت الغلبة لعِداك على خصومهم فلمّا رميتهم بحسن تدبيرك، وكمال رأيك انقلبت غلبتهم انكساراً.
(٣) بخذلهم: بفشلهم، بإخفاقهم.
(٤) التأنّي: الترفّق، يريد أن التأنّي أعقب الظفر، فكان الظفر عاقبته.
(٥) بغى: مال عن الحقّ. كفر النعمى: لم يشكر عليها صاحبها. النعمى: النعمة.

○ **أغراض الخبر:**

الأصل في الخبر أن يلقى لغرضين:

أ ـ إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو العبارة، ويسمّى ذلك الحكم «فائدة الخبر»، وهو يقوم على أساس أنّ من يلقي إليه الخبر أو من يوجّه إليه الكلام، يجهل حكمه، أي مضمونه ويريد إعلامه أو تعريفه به.

ب ـ إفادة المخاطب أنَّ المتكلّم عالم بالحكم، ويسمّى ذلك «لازم الفائدة» وهذه بعض الأمثلة تُوضح هذين الغرضين:

١ ـ وُلِد عبد القاهر الجرجاني بجرجان إحدى المدن المشهورة بين طبرستان وخراسان، وأنه كان فقيهاً شافعيًّا، ومتكلّماً أشعريًّا، وأنه لزم نزيل بلدته أبا الحسين محمد بن الحسن الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي، وكان يعدُّ إمام النُّحاة بعده، فعكف على دروسه وأخذ عنه كل علمه، ولعلّ هذا هو الذي جعله يؤلّف في النَّحو كتابه «العوامل المائة» غير أن شهرته إنَّما دوَّت في الآفاق بكتاباته البلاغية، ويقولون: إنه ظلّ ببلدته لا يبرحها حتى توفي سنة ٤٧١ للهجرة.

فمثل هذا الخبر قد قصد به إفادة من يلقى إليه مضمونه، أي بما اشتمل عليه من الحقائق التاريخية عن واضع نظرتي علمي المعاني والبيان عبد القاهر الجرجاني من حيث مولده، وعلمه، ومذهبه، وتتلمذه، وجدّه في طلب العلم، وشهرته، ووفاته؛ فالغرض من الخبر هنا إذن هو «فائدة الخبر».

٢ ـ «كان الإمام علي ﷺ قويًّا في شبابه، وظلّ كذلك حتى ناهز الستّين، وبلغ من قوّته أنه لم يبارز أحداً إلّا غلبه، يشهد له لذلك مبارزته في موقعة الخندق مع عمرو بن ودّ، فارس الجزيرة العربية الذي خرج مقنّعاً في الحديد يتحدّى أن يبارزه أحد من جيش المسلمين، فتقدَّم إليه الإمام ولم يتركه إلّا قتيلاً مضرّجاً في دمائه».

فالمتكلّم في هذا المثال يريد أن يفيد السامع ما كان يجهله من قوّة الإمام عليّ، ومدى شجاعته؛ فالمقصود من هذا الكلام أن يستفيد المخاطب الحكم الذي تضمّنه الخبر، ويسمّى هذا الحكم «فائدة الخبر».

٣ ـ إنك امرؤٌ تحلم في مواضع الحلم، وتشتدّ في مواضع الشدّة، وهذا من حُسْن سياستك وتدبيرك.

فالمتكلّم هنا لا يقصد من كلامه هذا أن يفيد السامع شيئاً مما تتضمّنه من الأحكام؛ لأنّ ذلك معلوم للسامع قبل أن يعلمه المتكلّم.

وإنما يريد أن يبيّن أنه عالم بما تضمّنه الكلام؛ فالسامع في هذه الحال لم يستفد علماً بالخبر نفسه، وإنما استفاد أنّ المتكلّم الذي ذكر له تلك الصفات عالمٌ به، ويسمّى ذلك «لازم الفائدة».

٤ ـ وقال المتنبّي مخاطباً سيف الدولة مُثْنياً على شجاعته:

وقفتَ وما في الموتِ شكٌّ لواقفٍ كأنَّكَ في جفنِ الرَّدى وهو نائمُ[1]
تمرُّ بك الأبطال كَلْمى هزيمةً ووجهُك وضَّاحٌ وثَغْرُكَ باسِمُ[2]

فالمتنبّي في هذين البيتين وهو يخاطب سيف الدولة لا يقصد أن يُخبره ويفيده بأنّه ـ وهو يحارب أعداءه الروم ـ كان يقف في ساحة القتال حين لا يشكّ واقف في الموت لشدّة الموقف وكثرة المصارع فيه، وأنّ الأبطال تمرّ به جرحى مهزومة ذليلة، وأنّ وجهه وضّاح مشرق، وثغره باسمٌ فرحاً بالنصر.

أجل، لا يقصد المتنبي أن يفيد مخاطبه علماً بمضمون بيته؛ لأن سيف الدولة لا يجهله، بل هو يعلمه عن نفسه قبل أن يُعلمه المتكلّم به، وإنما يريد المتنبّي أن يبيّن لسيف الدولة أنه عالمٌ بمضمون الخبر الذي أورده في بيته.

فالمخاطب ـ سيف الدولة ـ لم يستفد علماً بالخبر، وإنما استفاد أن المتنبّي عالمٌ به، ويسمّى ذلك «لازم الفائدة».

وما تجدر الإشارة إليه هنا، أن الخبر ليس مقصوراً على هذين الغرضين الأصليّين ـ أي فائدة الخبر، ولازم الفائدة ـ وإنما قد يُلقى الخبر لأغراضٍ أخرى بلاغية يستطلعها اللّبيب ويلمحها من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

ومن هذه الأغراض التي يخرج الخبر عن غرضيه الأصليَّيْن إليها:

---

(١) الرَّدى: الهلاك.

(٢) كلمى جمع كليم: أي جريح. هزيمة: منهزمة. وضاح: مشرق. والثغر: مقدَّم الفم.

١ ـ الاسترحام والاستعطاف: وذلك نحو قول المتنبّي وهو في محبسه مستعطفاً السلطان:

دعَوْتُكَ عند انقطاع الرّجا ء والموت منّي كحبل الوريد
دعوتُكَ لما بَرَاني البلاء وأوْهن رجليَّ ثقل الحديد

فإذا نحن تأمّلنا هذا المثال نجد أن المتنبّي لا يقصد من كلامه هذا فائدة الخبر، ولا لازم الفائدة، وإنما يقصد إلى شيءٍ آخر، يستطلعه العقل ويلمحه من سياق الكلام.

فالشاعر لا يقصد أن يُخبر السلطان بأنه يدعوه عند انقطاع الرجاء والموت منه قريبٌ كحبل الوريد، وبأنه يدعوه لمّا براه البلاء، وأوهن ثقل الحديد رجليه؛ لأنّ السلطان يعلم هذه الأُمور كلّها، وإنما هو يستعطفه ويسترحمه ويرجو شفقته، عسى أن يتحرّك وجدانه، ويعفو عنه ويصفح.

٢ ـ إظهار التحسّر والتفجّع على شيءٍ محبوب: نحو قول المتنبّي في رثاء شجاع فاتك:

الحزن يُقلق والتجمّل يردع والقلب بينهما عصيٌّ طيِّعُ
يتنازعان دموع عين مسّهد هذا يجيءُ بها وهذا يرجعُ

وقول الآخر يرثي عزيزاً عليه:

وأيقظت أجفاناً وكان لها الكرى ونامَتْ عيونٌ لم تكن قبلُ تهجع

٣ ـ إظهار الضعف، نحو قول الشاعر:

قد كنت عُدّتي التي أسطو بها ويدي إذا اشتدّ الزّمانُ وساعدي

وقول الآخر:

دفعنا بك الأيام حتى إذا أتَتْ تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا[1]

٤ ـ الفخر، نحو قول ابن الرومي يصف نفسه:

أنا ليث اللّيوثِ نفساً وإن كنـ ـت بجسمي ضئيلة رقشاء[2]

---

(١) مدفعاً أي دفعاً.

(٢) الضئيلة: الصغيرة الدقيقة الحقيرة. الرقشاء: دُويبة تكون في العشب.

وقول حسان يفتخر بنفسه وقومه:

ولقد تُقلِّدنا العشيرة أمرَها ونسودُ يوم النّائبات ونعتلي
ويسود سيِّدنا جحاجح سادةٍ ويصيب قاتلنا سواء المفضل(١)
ونحاوِل الأمرَ المهمَّ خطابةُ فيهمْ ونفصل كُلَّ أمرٍ معضل(٢)
وتزور أبواب الملوكِ رِكابُنا ومتى نُحكِّمُ في البريَّة نعدل(٣)

٥ ـ المدح: نحو قول جرير مادحاً عمر بن عبد العزيز:

نالَ الخلافة إذ كانت له قدراً كما أتى ربَّه موسى على قدر
فلن تزال لهذا الدِّين ما عَمَرُوا منكم عُمارة مُلكٍ واضح الغُرر(٤)

وقول حسّان في الإشادة بالصحابة رضي الله عنهم:

قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوّهم أو حاولوا النّفع في أشياعهم نفعوا(٥)
سجية تلك فيهم غير مُحدثةٍ إنّ الخلائق ـ فاعلم ـ شرُّها البدع(٦)
أعِفّةٌ ذكرت في الوحي عفّتهم لا يطمعون ولا يزري بهم طمع(٧)
لا يفخرون إذا نالوا عدوَّهم وإن أصيبوا فلا خورٌ ولا جُزُعُ(٨)

٦ ـ الوعظ والإرشاد، نحو قول قس بن ساعدة الإيادي:

في الذاهبين الأوّلين من القرون لنا بصائر(٩)
لمّا رأيت قومي مواردها للموت ليس لها مصادر(١٠)

---

(١) جحاجح: سادة وأشراف. سواء المفصل: وسطه.
(٢) المعضل: الصعب.
(٣) البرية: الخلق.
(٤) قدراً: مقدرة. أتى ربّه موسى على قدرٍ: يشير إلى مناجاة موسى لربّه في طور سيناء.
(٥) أشياعهم: أنصارهم.
(٦) سجية: طبيعة. غير محدثة: أي أصيلة فيهم. الخلائق: جمع خليقة وهي الطبيعة التي يخلق عليها الإنسان. البدع: جمع بدعة وهي ما استحدث من الأمور.
(٧) لا يزري بهم: لا يحطّ من شأنهم.
(٨) نالوا عدوّهم: تمكّنوا منه. خور: ضعاف جبناء. جُزع: خائفون ومفرده جزوع.
(٩) بصائر: مفردة بصيرة: العلم والخبرة.
(١٠) وَرَدَ الماء: أتاه ليشرب، وصَدَرَ عنه: رجع ومعناه هنا الموت وعدم الرجوع عنه.

ورأيــت قــومــي نــحــوهــا ... يــســعــى الأصــاغــرُ والأكــابــرُ

لا يــرجــع الــمــاضــي إلــيَّ ... ولا الــبــاقــيــن غــابــرُ[1]

أيــقــنــت أنّــي لا مــحــالــةَ ... حــيــث صــار الــقــوم صــائــر

٧ ـ الحثّ على السعي والجدّ، نحو قول شوقي:

وما نيل المطالب بالتمنّي ... ولكن تؤخذ الدنيا غِلابا

وما استعصى على قومٍ منالٌ ... إذا الإقدام كان لهم رِكابا

وهكذا، فبالنظر إلى كلّ مثالٍ من هذه الأمثلة التي ذكرناها، نجد أنّ المتكلّم لا يقصد منه فائدة الخبر، ولا لازم الفائدة، وإنما خرج عن هذين الغرضين إلى غرض بلاغيّ يستطلعه اللّبيب ويُفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

هذا ـ وما يجب التذكير به ـ أن المعاني التي يحتملها لفظ الخبر ويدلّ عليها لا حصر لها، وأنها أكثر من أن تُستقصى[2]، وأنّ ما أوردناه من المعاني ما هو إلا على سبيل المثال، أو على أنها أهم معاني الخبر التي يكثر تداولها في الكلام. وسنترك للقارىء أمر معرفتها واستطلاعها خلال إجابته عن نماذج اخترناها كتمارين.

تمرين (٨٨)

بيّن غرضي الخبر الأصليين فيما يأتي:

١ ـ قال صاحب «الأدب الكبير» ابن المقفّع في كتابه هذا:

«(اعلم) أنّ المُلك ثلاثة: مُلك دين، ومُلك حزم، ومُلك هوى. فأمّا ملك الدّين، فإنه إذا أُقيم لأهله دينهم، وكان دينهم هو الذي يُعطيهم مالهم، ويلحق بهم الذي عليهم، أرضاهم ذلك، ونزل السّاخط منهم منزلة الرّاضي في الإقرار والتّسليم. وأمّا ملك الحزم، فإنه يقوم به الأمر، ولا يسلم من الطّعن والتسخّط، ولن

---

(١) الغابر: المُقيم.

(٢) منها ـ إضافةً إلى مع عرفناه ـ التعجب والتمنّي والإنكار والنفي والأمر والنهي والتعظيم والدعاء والوعد والوعيد والتقريع (التوبيخ) والهجاء والتحقير.

يضرُّ طعن الذليل مع حزم القويّ. وأمّا مُلك الهوى، فلعب ساعة، ودمار دهر».

٢ ـ قال أحد الشعراء مُعاتباً:

وتغتابني في كلِّ نادٍ تحلّه ... وتزعم أني لست كفؤاً لمثلكا

٣ ـ وقال المتنبي يخاطب سيف الدولة:

رأيتك محض الحِلم في محض قدرة ... ولو شئت كان الحلم منك المهنَّدا(١)

٤ ـ قال ابن بطوطة يصف شجر النارجيل(٢):

هذا الشجر من أغرب الأشجار شأناً وأعجبها أمراً، وشجره يشبه رأس ابن آدم؛ لأن فيها شبه العينين والفم، وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء، وعليه ليف شبه الشعر، وهُمْ يصنعون منه حبالاً يخيطون بها المراكب عوضاً عن مسامير الحديد، ويصنعون الحبال منه للمراكب، والجوزة منها، تكون بمقدار رأس الآدمي.

٥ ـ كنت بالأمس في المكتبة المركزية.

تمرين (٨٩)

بيِّن أغراض الخبر فيما يأتي من خلال ما تستطلعه من سياق الكلام وقرائن الأحوال:

١ ـ قال عنترة:

إني امرؤٌ من خير عبسٍ منصِباً ... شطري وأحمي سائري بالمنصلِ

٢ ـ وقال شاعر:

مرَرْت على أبياتِ آل محمّد ... فلم أرَها أمثالها يوم حلَّت

٣ ـ وقال آخر:

فما لي حيلةٌ إلا رجائي ... لعفوك إن عَفَوْت وحُسن ظنِّي

يظنُّ الناس بي خيراً وإنِّي ... لشرُّ الناس إن لم تعفُ عنِّي

٤ ـ وقال شاعرٌ مريضٌ يقارن بين حاله وحال آخر مُعافًى من المرض:

الخطى عندك، إذ تقصرها وثب وقفز

---

(١) المحض: الخالص. والمهنّد: السيف الهندي. يقول: رأيتك خالص الحلم في قدرة خالصة لا يشوبها عجزٌ ولا تقصير، ولو شئت أن تجعل السيف مكان الحلم لفعلت.

(٢) النارجيل: هو جوز الهند.

والخطى عندي إذ أُوسعها، ضعفٌ وعجز

٥ ـ وقال أبو فراس يخاطب سيف الدَّولة:

أنت سماءٌ ونحن أنجمها ... أنت بلادٌ ونحن أجبلها
أنت سحابٌ ونحن وابِلُهُ ... أنت يمينٌ ونحن أنْمُلُها

٦ ـ وقال صفيّ الدين الحليّ:

لا يمتطي المجدَ مَنْ لم يركب الخطرا ... ولا ينال العُلى من قدَّم الحذرا[1]
ومن أراد العلى عفواً بلا تعب ... قضى ولم يقض من إدراكها وطرا[2]
لا بدّ للشهد من نحلٍ يَمْنعه ... لا يجتني مَنْ لم يحمل الضّررا

٧ ـ وقال ناصيف اليازجي:

أضلُّ الناس في الدنيا سبيلاً ... محبٌّ بات منها في وثاق[3]
وأخسر ما يضيع العمر فيه ... فضول المال تجمع للرّفاق[4]
وأفضل ما اشتغلت به كتابٌ ... جليلٌ نفعه حُلْوُ المذاق
وعِشْرة حاذقٍ فَطِنٍ لبيبٍ ... يفيدك من معانيه الدّقاق

٨ ـ وقال شاعر:

رُزئنا أبا عمرٍ ولا حيَّ مثله ... فللَّه رَيْب الحادثات بمن وقع

٩ ـ وقال الشريف الرّضي:

ملكتُ بحُلْمي فرصة ما استرقّها ... من الدّهر مفتول الذّراعين أغلبُ[5]
فإن تكُ سِني ما تطاول باعُها ... فَلِي من وراء المَجْدِ قلبٌ مذرّبُ[6]
فحسبي أنّي في الأعادي مبغضٌ ... وأنّي إلى غُرّ المعالي مُحبّبُ
وللحلم أوقاتٌ وللجهل مثلها ... ولكن أيّامي إلى الحِلم أقربُ[7]

---

(١) يمتطي: يركب. الحذر: أراد به الجزع.
(٢) عفواً: بلا كلفة.
(٣) الوثاق: ما يُربط ويُشدّ به من حبل أو غيره.
(٤) الفضول: مفرده فضل من المال: الزائد عن الحاجة.
(٥) استرقّها: أي حَصَلَ عليها. الأغلب: القوي الذي يغلب خصمه. يقول: إنني أنال بالحلم ما لا يناله القويّ بالقوة.
(٦) المذرّب: الماضي.
(٧) الجهل: الغلظة والإسراع إلى الانتقام.

١٠ ـ وقال الفرزدق في أهل البيت:

إن عُدَّ أهلُ التُّقى كانوا أئمّتهم ... أو قيل «من خير أهل الأرض» قيل «همُ»
لا يستطيع جوادٌ بعد جودهم ... ولا يُدانيهم قومٌ وإن كَرُمُوا
همُ الغيوث إذا ما أزمةٌ أزِمَتْ ... والأُسد أسد الشرى، والبأس محتدمُ
لا يُنقص العسرُ بسطاً من أكفّهم ... سيّانَ ذلك: إن أثروا وإن عُدِمُوا
يستدفع الشرُّ والبلوى بحبّهم ... ويسترَبُّ به الإحسان والنِّعم(١)

١١ ـ وقال ابن نباتة السّعدي:

يفوت ضجيج التُّرهات طلّابه ... وفاز بالحقِّ مَنْ لم يألُه طلبا

١٢ ـ وقال شوقي:

بالعلم والمال يبني الناس مجدهم ... لم يُبْنَ مجدٌ على جهلٍ وإقلالِ

١٣ ـ وقال أبو العلاء المعرّي:

وإنّي وإن كنتُ الأخير زمانُهُ ... لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

١٤ ـ وقال أبو نواس:

أيا ربُّ قد أحسنت عَوْداً وبدأةً ... وإليَّ فلم ينهض بإحسانك الشكر
فمن كان ذا عذرٍ لديك وحجّةٌ ... فعذري إقراري بأن ليس لي عُذر

١٥ ـ وقال محمد بوشربية:

يقولون: إن طالت ثمانين حِجّةً ... حياة امرىءٍ ردَّ النزول إلى القبر
فإني وإن لم يبلغ العمرُ ثلثها ... وددت بأن يبكي على زهرة العمر

١٦ ـ وقال الإمام عليّ ﷺ:

الدنيا دار بلاء ومنزل قلعة وعناء(٢)، قد نزعت عنها نفوس السعداء، وانتزعت بالكره من أيدي الأشقياء، فأسعد الناس أرغبهم عنها(٣)، وأشقاهم أرغبهم فيها(٤)، هي الغاشّة لمن استرشدها، والمُغْوية لمن أطاعها، فطُوبى لعبدٍ اتّقى فيها ربّه، ونصح نفسه، وقدَّمَ توبته من قبل أن تلفظه الفانية(٥) إلى

---

(١) يسترب: يستزاد.
(٢) عناء: تعب.
(٣) رغب عن الشيء: عافه وابتعد عنه.
(٤) رغب في الشيء: أحبَّه وأراده.
(٥) الفانية: الدنيا الحاضرة.

الباقية[١]، ويصبح جسمه عظاماً بالية، لا يستطيع أن يزيد في حسنةٍ ولا ينقص من سيّئة، ثم ينشر فيحشر، إما إلى جنّة يدوم نعيمها أو إلى نارٍ لا ينفذ عذابها[٢].

تمرين (٩٠)

ذكرنا سابقاً أن المعاني التي يحتملها لفظ الخبر ويدلّ عليها لا حصر لها، وأنها أكثر من أن تستقصى[٣]، حاول استطلاعها فيما يأتي:

١ ــ قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ[٤] بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

٢ ــ وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣].

٣ ــ وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

٤ ــ وقال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٩].

٥ ــ قال شاعر:

أستغفر الله ذنباً لست مُحصيه ... ربّ العباد إليه الوجه والعملُ

٦ ــ وقال الإمام عليّ ﷺ يخاطب قومه حين تباطؤوا عن الجهاد:

قُبْحاً لكم حين صرتم غرضاً[٥] يُرْمَى، يُغار[٦] عليكم ولا تُغيرون، تُغزون ولا تَغْزون، يُعصى الله وترضون.

٧ ــ وقوله من نفس الخطبة:

إني لوددت لو أخرجني الله من هذه الدُّنيا وقبضني إلى رحمته، ولم أركم، ولم أعرفكم.

٨ ــ وخطب الحجاج بن يوسف بأهل البصرة، فقال:

أيها الناس: من أعياه[٧] داؤه فعندي دواؤه، ومن استطال أجله فعليَّ أن

---

(١) الباقية: دار الآخرة.

(٢) لا ينفذ: لا ينتهي.

(٣) انظر أغراض الخبر البلاغية.

(٤) يتربصن: ينتظرون. قروء: جمع قرء ويُطلق على الطهر الحاصل بين الحيضتين للمرأة.

(٥) غرضاً: هدفاً.

(٦) يغار عليكم: يعتدي عليكم العدوّ.

(٧) أعياه: أتعبه.

أعجُله، ومَنْ ثَقُل عليه رأسه وضعت عنه ثقله، ومَن استطال ماضي عمره قصّرت عليه باقيه، وأن للشيطان طيفاً[1] وللسلطان سيفاً، فمن سقمت سريرته صحَّت عقوبته، ومن وضعه ذنبُه رفعه صلبه، ومن لم تَسَعْه العافية لم تضق عليه الهلكة، ومن سبقته بادرة فمه[2] سبق بدنه[3] بسفك دمه.

٩ ـ ما له عليك حقّ.

١٠ ـ وقال ابن خفَّاجة:

وما كان أشهى ذلك اللَّيلُ مرقداً ... وأندى محيًّا ذلك الصبح مطلعا

١١ ـ سبحان الله! تدعو لحميد الصفات، وتأتي قبيح الفعال!

١ ـ لا بأس عليك.

١٣ ـ قال الأخطل في كُليب بن يربوع قوم الشاعر جرير عدوّه:

أما كليب بن يربوع فليس لهم ... عند التفارط إيرادٌ ولا صدر[4]

قوم أنَابَتْ إليهم كلُّ مخزية ... وكل فاحشةٍ سبت بها مضرُ[5]

وأقْسَمَ المجدُ حقًّا لا يحالفهم ... حتى يحالف بطن الراحة الشعر

تمرين (٩١)

ابحث عن مثالين يكون غرضاهما أصليين في الخبر.

تمرين (٩٢)

كوّن جملاً خبرية تكون أغراضها البلاغية ما يأتي:

١ ـ الاسترحام والاستعطاف.

٢ ـ إظهار التحسّر والتفجّع.

---

(١) الطَّيْف: مسُّ الشيطان.

(٢) البادرة: ما يخرج من كلام من الفم عن غير قصدٍ في غضبٍ أو غيره.

(٣) المراد بسبق بدنه: أنه يقتل سريعاً، فيكون بدنه إلى الموت أسرع من خروج البادرة من فمه.

(٤) التفارط: التسابق. الإيراد: ورود الماء. الصدر: الرجوع عن الماء. يقول: إنهم قوم ليس لهم من التسابق والمنافسة حظ.

(٥) أنابت إليهم: رجعت. المخزية: الفضيحة. مضر: فرع من عدنان يرجع إليها أكثر القبائل العربية.

٣ ـ إظهار الضعف.

٤ ـ الوعظ والإرشاد.

٥ ـ الحثّ على السعي والجدّ.

٦ ـ التعجّب.

٧ ـ الوعد.

٨ ـ التوبيخ.

٩ ـ التعظيم.

١٠ ـ النّهي.

○ **أضراب الخبر:**

إنّ الخبر سواء أكان الغرض منه «فائدة الخبر» أو «لازم الفائدة» لا يأتي على ضربٍ واحد من القول، وإنما ينبغي على صاحبه أن يأخذ في اعتباره حالة المخاطَب عند إلقاء الخبر، وذلك بأن ينقله إليه في صورة من الكلام تلائم هذه الحالة بغير زيادةٍ أو نقصان.

والمخاطب بالنسبة لحكم الخبر، أي مضمونه، له ثلاث حالات هي:

١ ـ أن يكون المخاطب خالي الذِّهن من الحكم والتردّد فيه، فيلقى إليه الكلام ساذجاً خالياً من أدوات التَّوكيد (التي سَتَرِدُ عليك)، ويسمّى هذا الضرب: ابتدائيًّا.

وهذه بعض الأمثلة من توجيهات ابن المقفع توضح ذلك:

ـ حقّ على العاقل أن يتّخذ مرآتين، فينظر من أحدهما في مساوىء نفسه، وينظر من الأخرى في محاسن الناس.

ـ على العاقل ألّا يستصغر شيئاً من الخطأ في الرأي، والزّلل في العلم، والإغفال في الأمور.

ـ من أعظم ما يروّح به المرء نفسه ألّا يجري لما يهوى.

فابن المقفّع يلقي الخبر في هذه التوجيهات إلى مخاطب خالي الذِّهن من حكمه أي مضمونه، ومن أجل ذلك جاء بالخبر خالياً من أدوات التَّوكيد، وهذا هو ضرب الخبر «الابتدائيّ».

٢ ـ أن يكون المخاطب متردّداً في ثبوت الحكم وعدمه بألا يترجح عنده هذا على ذلك، وحينئذٍ يحسن توكيد الحكم له لتقويته وإزالة ذلك التردُّد، وتمكينه من نفسه. ويسمّى هذا الضّرب «طلبيًّا».

وهذه طائفة من الأمثلة لأبي العلاء المعرّي تُوضح هذا الضّرب:

ـ إنّ الذي بمقال الزور يُضحكني ... مثل الذي بِيَقِينِ الحقّ يُبكيني

ـ قد فاضت الدّنيا بِأَدْنَاسِهَا ... على براياها وأجناسها

ـ إذا ما النار لم تطعم ضراماً ... فأوشك أن تمرّ بها رمادا

فأبو العلاء يوجّه الخبر الذي تضمّنه كل بيتٍ من أبياته الثلاثة إلى مخاطب متردّد في حكم الخبر ومضمونه، ولهذا حُسنَ توكيد الكلام له بمؤكّد تمكيناً له من نفسه، وإزالةً للتردّد والشكّ في حقيقته. وهذا الضرب من الخبر «طلبي» وأداة التوكيد في البيت الأوّل «إنَّ»، وفي البيت الثاني «قد»، وفي البيت الثالث «ما الزائدة» بعد كلمة «إذا».

٣ ـ أن يكون المخاطَب منكراً للحكم، وفي هذه الحال يجب أن يؤكَّد له الخبر بمؤكّد أو أكثر بقدر إنكاره قوّةً وضعفاً، ذاك أنّ المتكلّم أحوج ما يكون إلى الزيادة في تثبيت خبره، إذا كان هناك من يُنكره ويدفع صحّته، فهو حينئذٍ يبالغ في تأكيده حتى يُزيل إنكاره. ويُسمّى هذا الضّرب «إنكاريًّا».

وهذه طائفة من الأمثلة تُوضح هذا الضرب:

١ ـ قال أبو العلاء المعرّي:

وإني وإن كنتُ الأخير زمانه ... لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

٢ ـ وقال عنترة:

وَلَقَدْ أبِيتُ على الطَّوى وأظلّه ... حتى أنال به كريمَ المأكل[١]

٣ ـ وقال شاعر:

واللّـه إنّي لأخو هِمَّةٍ ... تَسْمُو إلى المَجْد ولا تَفْتُرُ[٢]

---

(١) الطوى: الجوع.

(٢) تفتر: تضعف.

فالمعرّي في البيت الأول من هذه الطائفة، وكذلك عنترة والشاعر الآخر يتَّجهون في أبياتهم إلى شخصٍ يُنكر حكم الخبر ويعتقد فيما يخالفه، ولذلك كان من الواجب تأكيد الخبر له على حسب إنكاره قوّةً وضعفاً، بمعنى أنْ يُزاد له في التأكيد كلما اشتدّ إنكاره.

وقد أكّد المعرّي له الخبر في البيت الأوّل بمؤكّدين هما: «إنَّ ولام الابتداء»، وفي البيت الثاني أكّد عنترة له الخبر بمؤكّدين أيضاً هما: «لام الابتداء وقد» في «لقد». أمّا الشاعر في البيت الثالث، فقد أكَّد المنكر حكم الخبر بثلاث مؤكّدات[1]، هي: القسم وإنّ واللام، وهذا الضرب من الخبر يسمّى «إنكاريّ».

(١) لتوكيد الخبر أدوات كثيرة نذكر لك المشهورة منها، وهي: إنَّ وأنّ ولام الابتداء والقسم وقد التي للتحقيق (وهذه قد عرفتها في الأمثلة) والسين، نحو قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [التوبة: ٧١]. وأمّا الشرطية (المفتوحة الهمزة المشدّدة الميم)، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾ [البقرة: ٢٦]. و«ضمير الفصل» نحو: «محمد هو الرسول». و«نونا التوكيد» وهما نون التوكيد الثقيلة، أي المشدّدة ونون التوكيد الخفيفة، أي غير المشدّدة، وهما يدخلان على المضارع بشروط وعلى الأمر جوازاً، وقد اجتمعا في قوله تعالى حكايةً على لسان امرأة عزيز مصر في قصة يوسف: ﴿قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢﴾ [يوسف: ٣٢]. والحروف الزائدة هي «أنْ» و«إنْ»، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦﴾ [يوسف: ٩٦]، والمراد فلمّا جاء البشير، ونحو قولنا: «ما إن قبلت ظلماً» والأصل ما قبلت ظلماً، و«ما» نحو قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾ [الأنفال: ٥٧]. وأصل التركيب «فإما تثقفنهم»، «فإن ما تثقفنهم»، فإن حرف شرط يدلّ على ارتباط جملتين بعضهما ببعض. و«ما» حرف زائد للدّلالة على تأكيد هذا الارتباط في كلِّ حالٍ من الأحوال. و«لا» تزاد مؤكّدة ملغاة، نحو قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ﴾ [الحديد: ٢٩]، فلا زائدة والمعنى: «ليعلم أهل الكتاب» و«من» نحو «ما جاءنا مِنْ أحد»، فإن أحداً صيغة عموم، بمعنى ما جاءني أي أحد. و«حروف التشبيه»، وما يزاد أيضاً حروف التنبيه ومنها «ألا وأما».

○ **خروج الخبر عن مقتضى الظاهر:**

ووضع الخبر ابتدائيًا أو طلبيًا أو إنكاريًا، إنما هو على حسب ما يخطر في نفس القائل من أن سامعه خالي الذِّهن أو متردِّد أو مُنكر على حسب جهله بمضمون الخبر أو شكّه فيه أو إنكاره له، وهذا يسمّى إخراج الكلام على مقتضى الظاهر.

ولكن إيراد الكلام أو الخبر لا يكون دائماً وأبداً جارياً على مقتضى الظاهر، فقد تَجِدُّ اعتبارات تدعو المتكلّم إلى أن يُورد الكلام أو الخبر على صورة تخالف الظاهر، أو على صورة تخرج به عن مقتضى الظاهر.

ومن الاعتبارات التي يلحظها المتكلّم وتدعوه إلى الخروج بالكلام عن مقتضى الظاهر، ما يلي:

١ ـ أن ينزل خالي الذهن منزلة المتردّد الشاكّ إذا تقدَّم في الكلام ما يُشير إلى حكم الخبر ومضمونه، فتستشرف نفسه وتتطلّع إليه، استشراف الطالب المتردّد، وذلك كثيرٌ في القرآن الكريم وكلام العرب، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

فحين تقدّم قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ وهي في مضمونها تُشير إلى أنّ النفس محكومٌ عليها بشيءٍ غير محبوب أو مرغوبٍ فيه، أصبح المخاطب بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ متطلّعاً إلى نوع هذا الحكم، الذي يجهله ولا يدري حقيقته، ومن أجل ذلك نُزِّل هذا المخاطب منزلة المتردّد الشاكّ، وأُلقي إليه الخبر مؤكّداً استحساناً.

ومن أمثلته في الشعر قول بعض العرب:

فغنِّها وهي لك الفدا إنّ غناء الإبل الحِداء

فالظاهر في هذا المثال أن يُلقى الخبر غير مؤكّد؛ لأن المخاطب خالي الذِّهن من الحكم. ولكن لما تقدَّم في الكلام ما يُشعر بنوع الحكم «فغنِّها وهي لك الفِدا» صار المقام مقام تردّد وأصبح المخاطب متطلّعاً إلى معرفة نوع هذا الغناء فنُزِّل من أجل ذلك منزلة الطالب المتردّد الشاكّ، وأُلقِي إليه الخبر

مؤكّداً استحساناً على خلاف مقتضى الظاهر، فقيل له: «إن غناء الإبل الحداء».

٢ ـ أن يجعل غير المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١٥]، فالمخاطبون بهذه الآية ـ كُلُّ مخاطب ـ لا يُنكر ولا يمكن له أن يُنكر حقيقة الموت ورحيل الإنسان عن هذه الدنيا مهما طال عمره، وعلى ما يقتضيه الظاهر وفقاً لهذه الحقيقة التي يمكن إنكارها، كان يجب أن يُلقى الكلام خالياً من التأكيد، ولكنّنا مع ذلك نرى أن الكلام قد خرج على مقتضى الظاهر وألقي إليهم الخبر مؤكّداً، فما السّبب في ذلك؟

السبب ظهور أمارات الإنكار عليهم، فإنّ غفلتهم عن الموت ونسيانهم لها، وتكالُبهم على مطالب الدنيا وشهواتها كأنهم مخلّدون أبداً، وعدم استعدادهم لِمَا بعد الموت وبَذْلهم ما ينفعهم في الآخرة، كلّ هذا بوادر منهم تدلّ على إنكارهم لحقيقة الموت. ومن أجل ذلك نُزّلوا منزلة المنكرين وأُلقي الخبر إليهم مؤكّداً بمؤكّدين هما «إنّ» و«لام الابتداء».

ومن أمثلته في الشعر قول حجل بن نضلة القيسيّ، وهو من أولاد عمّ شقيق:

جاء شقيقٌ عارضاً رُمْحه إنّ بني عمّك فيهم رماحُ

فمجيء شقيق هكذا مدلّاً بنفسه، معجباً بشجاعته، واضعاً رمحه عرضاً، دليلٌ على صلفه وزَهْوِهِ ببسالته واعتقاده أنه لن يجد مقاوماً من بني عمّه حتى كأنهم عُزَّل ليس معهم ما يُدافعون به، ومن ثَمَّ أنزل منزل المنكر. وبالتالي أُلقي الخبر إليه مؤكّداً وقيل له: «إن بني عمّك فيهم رماح»، فخُوطب خطاب التفات بعد غيبة تهكّماً به، ورمياً له بالنزق وخرق الرأي.

٣ ـ أن يجعل المنكر كغير المنكر، إن كان لديه شواهد وأدلّة لو تأمّلها لعَدَلَ عن إنكاره وارتدع.

ومن هذا الضرب من الكلام قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾

[الإخلاص: ١]، فالظاهر يقتضي هنا أن يلقى الخبر مؤكّداً؛ لأن الذين أُمِرَ الرسول ﷺ بمخاطبتهم بهذا القول يجحدون وحدانية الله سبحانه، ولكن لما كان بين أيديهم من الأدلّة الساطعة والشواهد المقنعة ما لو تدبّروه وعقلوه لزال إنكارهم، وارتدعوا عن جحودهم ولحلّ محلّ الإنكار والجحود اليقين والاقتناع بوحدانية الله، جُعِلُوا كغير المنكرين، وأُلقي إليهم الخبر خالياً من التّوكيد جرياً على خلاف مقتضى الظاهر، فقيل لهم: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

ومن أمثلة هذا النوع كثيرة، كأن تقول لمن يجحد فضيلة الصدق: «الصِّدق مَنْجَاةٌ»، ولمن يُنكر ضرر الفراغ: «الفراغ مفسدة»، ولمن ينكر ما يسبّبه الخمر من مضارّ: «الخمر ضارّ» وهكذا...

تمرين (٩٣)

بيِّن أضرب الخبر فيما يأتي:

١ ـ جاء في أمثال الإمام عليّ رضي الله عنه وحكمه ما يلي:

من استعجل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ، ومن اسْتَبَدَّ برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها.

٢ ـ وجاء في أقوال العرب وحكمها:

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خلق.

٣ ـ قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: «إن البلاء موكل بالمنطق».

٤ ـ وقال شاعر:

إنّ الحياة لثوبٌ سوف نخلعه ... وكلّ ثوب إذا ما رَثَّ يَنْخَلِعُ

٥ ـ وقال آخر:

ولقد نصحتُكَ إن قَبِلْتَ نصيحتي ... والنُّصْحُ أغلى ما يُباع ويُوهَبُ

٦ ـ وقال المتنبي:

سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها ... منعنا بها من جيئة وذهوبُ

تَمَلَّكَهَا الآتي تملّك سالبٍ ... وفارقَها الماضي فراق سليب

٧ ـ وقال أيضاً:

ومن يجعل الضّرغام للصّيد بازه ... تَصَيَّدَهُ الضّرغام فيما تصيّدا

٨ ـ وقال أيضاً:

قد هَوَّنَ الصبرُ عندي كل نازلةٍ ... ولَيَّنَ العزمُ حدَّ المركب الخشنِ[1]

٩ ـ وقال أبو العلاء المعرّي:

إذا ما الأصل ألفي غير ذاك ... فما تزكو مدى الدَّهر الفروع

١٠ ـ وقال شاعر:

وإني لصبّارٌ على ما يَنُوبُنِي ... وحَسْبك أنّ الله أثنى على الصَّبر

١١ ـ قال آخر:

السِّلاح جميع الناس تَحْمله ... وليس كلّ ذوات المخلب السَّبُعُ

١٢ ـ وقال آخر:

هي الأُمور كما شاهدتها دُوَلٌ ... مَنْ سرَّه زَمَن ساءته أزمانُ

١٣ ـ وقال آخر:

فيومٌ علينا ويومٌ لنا ... ويومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُسَرُّ

١٤ ـ والله إنك لفائز في الامتحان.

١٥ ـ وقال العباس بن الأحنف:

فأقسم ما ترك عتابك عن قِلَتي ... ولكن لعلمي أنه غير نافع[2]

١٦ ـ وقال كعب بن سعد الغنوني:

ولستُ بمُبْدٍ للرِّجال سريرتي ... ولا أنا عن أسرارهم بسؤال

تمرين (٩٤)

بيِّن أضرب الخبر فيما يلي، واذكر ما اشتملت عليه من وسائل التَّوكيد:

١ ـ قال المعرّي في الرثاء:

إنّ الذي الوحشة في داره ... تؤنسه الرحمة في لَحْدِهِ

٢ ـ وقال آخر:

إنّي لأملي منك خيراً عاجلاً ... والنَّفس مولعة بحبّ العاجل

---

(١) النازلة: الحادثة من حوادث الدّهر. ويريد بالمركب ما يركبه من الأُمور الشاقّة.

(٢) قِلَى: جفاء.

٣ ـ قال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز:

إنا لنرجو إذا ما الغيث أخلفنا … من الخليفة ما نرجو من المطر

٤ ـ وقال أبو العلاء المعرّي:

وقد يغشى الفتى لجج المنايا … فحذار من أحاديث الرّفاق

٥ ـ وقال أيضاً:

لقد نفق الرّديء ورب مُرٍّ … من الأقوات يجعل في الصّحاف(١)

٦ ـ قال شاعر:

ما إن نَدِمْتُ على سُكُوتي مرّةً … ولقد نَدِمْتُ على الكلام مِرارا

٧ ـ قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [المسد: ١ ـ ٣].

٨ ـ قال شاعر:

فما الحداثة عن حلم بمانعةٍ … قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

٩ ـ قال تعالى على لسان سيّدنا إبراهيم: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

١١ ـ لئن اجتهدت لتتعلمنّ ولتكُوناً من الناجحين.

١٢ ـ ما إن رفضت هدية.

١٣ ـ غضبت من غير ما جرم.

١٤ ـ قال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ النُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: ٧٥].

١ ـ وقال تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

١٦ ـ وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس: ٦٢].

١٧ ـ قال أبو صخر الهذلي:

أما والذي أبكي وأضحك والذي … أمات وأحيا والذي أمره الأمر

(١) نفق الرديء: راج وكثُر طلابه. الصِّحاف: جمع صحفة، والصحفة: إناء أو وعاء كالقصعة.

لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعها النّفر(1)

١٨ ـ وقال معن بن أوس:

ولست بماشٍ ما حييت لمنكر ... من الأمر لا يمشي لمثله مثلي

١٩ ـ وقال البحتري:

وإذا ما جفيت كنت حريًا ... أن أرى غير مُصْبحٍ حيث أمسى

٢٠ ـ وقال محمد بن بشير:

إني وإن قصرت من همّتي جدتي ... وكان مالي لا يقوى على خلقي(2)

لتاركٌ كل أمرٍ كان يلزمني ... عاراً ويشرعني في المنهل الرّنق(3)

٢١ ـ وقال أعرابي:

ولم أرَ كالمعروف أمّا مذاقه ... فحلوٌ وأمّا وجهه فجميلُ

تمرين (٦٩)

بيّن وجه خروج الخبر عن مقتضى الظاهر في كلّ مثالٍ من الأمثلة الآتية:

١ ـ قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ١ ـ ٢].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٥١].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝﴾ [الحج: ١].

٤ ـ الكون صنع خالق.

٥ ـ قال أبو العتاهية:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إنّ السفينة لا تجري على اليَبَسِ

٦ ـ إن العطف على الفقراء والمساكين لَخُلُقٌ كريم، «تقوله لمن لا يُحسن إلى الفقراء والمساكين».

٧ ـ إنّ الله لمطّلع على السرائر، «تقوله لمن يُظهر خلاف ما يُبطن».

٨ ـ الكذب رذيلةٌ، «تقول ذلك لمن يُنكر رذيلة الكذب».

---

(١) لا يروعها النفر: لا يفزعهما التفرّق أو الفراق.

(٢) الجدة: المال.

(٣) يشرعني: يخوض بي. والمنهل الرنق: مورد الماء الكدر.

تمرين (٩٦)

١ ـ كوِّن ثلاث جُمل يكون الخبر في كلٍّ منها مؤكّداً استحساناً، وجارياً على خلاف مقتضى الظاهر، واشرح السبب في كلّ جملةٍ منها.

٢ ـ كوِّن ثلاث جمل يكون الخبر في كلٍّ منها مؤكّداً وجوباً وخارجاً عن مقتضى الظاهر، واشرح وجه التّوكيد في كلّ جملةٍ منها.

٣ ـ كوِّن ثلاث جمل يكون الخبر في كلّ منها خالياً من التّوكيد وخارجاً عن مقتضى الظاهر، واشرح وجوه الخروج في كلّ جملةٍ منها.

تمرين (٩٧)

أنثر البيتين الآتيين بأسلوب جميلٍ فصيح وبيِّن فيها الجمل الخبريّة وأضْرُبَها:

قال أبو نوّاس:

ولقد نهزّت مع الغواة بدلوهم ... وأسَمْت سرح اللّهو حيث أساموا[١]

وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه ... فإذا عصارة كلّ ذاك آثامُ[٢]

---

(١) يقال: نهر الدلو في البئر إذا ضربها في الماء لتمتلىء. ويقال: أسام الإبل إذا أرسلها إلى المرعى. والسرح: المال السّائم أي الراعي، كالإبل وغيرها.

(٢) العصارة في الأصل: ما يتحلب من الشيء بعد عصره، ويريد هنا ما استفاده في آخر أمره، الآثام: جمع إثم وهو الذّنب.

الإنشــــــاء

ذكرنا سابقاً أنّ الكلام قسمان: خبرٌ وإنشاء.

فأما الخبر، فقد استوفينا القول عنه من حيث مفهومه وأغراضه الأصلية وأغراضه الأخرى وأضْرُبَه وخروجه عن مقتضى الظاهر.

وأمّا القسم الثاني من الكلام، وهو «الإنشاء»، فنفصّل القول فيه.

○ مفهوم الإنشاء:

إذا كان الإنشاء قسيم الخبر، وكان الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب، فإنّ الإنشاء إذن هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ وذلك لأنه ليس فيه تقرير أو وصف، وليس لمدلول لفظه قبل النُّطق به وجودٌ خارجيّ يُطابقه أو لا يُطابقه.

فالشاعر مثلاً عندما يقول:

ذَريني فإنّ البخل لا يخلّد الفتى ولا يُهْلِكُ المعروف مَنْ هو فاعِلُه

قد استعمل أحد أساليب الإنشاء وهو أسلوب الأمر في قوله: «ذريني»، ونحن ليس بإمكاننا ولا يصح أن نقول: إن الشاعر صادقٌ أو كاذب في أمره، وذلك بأنه لا يُعلمنا بحصول شيءٍ أو عدم حصوله، وليس فيه تقرير أو وصف يمكن أن يُقارَن بالواقع، فإن طابقه قيل: إنه صادق، أو خالفه قيل: إنه كاذب.

ومثل هذا القول ينطبق على سائر أساليب الإنشاء من استفهام وتمنٍّ ونداء ونهي.

○ أقسام الإنشاء:

والإنشاء قسمان: طلبي وغير طلبيّ.

الإنشاء الطلبي:

هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل في وقت الطلب، وأهمّ أنواعه خمسة أنواع: الأمر والنّهي والاستفهام والتمنّي والنداء، وهي المجموعة في قولهم:

مُرْ وَٱنْهَ وَادْعُ وَسَلْ وَاعْرِض لحظّهم تَمَنَّ وارْجُ كذاك الفتى قد كملا

أم الإنشاء غير الطلبي:

فهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله أساليب وصِيَغ كثيرة منها: صيغ المدح والذمّ، والتعجّب، والقسم، والرجاء، وصيغ العقود.

وهذه بعض الأمثلة تُوضح الإنشاء غير الطلبيّ:

١ ـ صيغ المدح والذمّ من مثل: نِعْمَ وبئس، وحبّذا ولا حبّذا، وهذه الصيغ مجموعة في هذين البيتين من الشعر الأوّل، قول أحدهم:

فنِعْم صديق المَرْء مَنْ كان عَوْنُهُ وبِئْس امْرُؤٌ مَنْ لا يُعِين على الدَّهر

والثاني قول الآخر:

ألا حبّذا ليلى إذا ما ذكرتها ولا حبّذا هندٌ إذا ذكرت هيا

٢ ـ التعجّب: وهو تفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على أضرابه في وصفٍ من الأوصاف. والتعجّب يأتي قياسيًّا بصيغتين «ما أفعله» و«أفعل به».

فمن الصيغة الأولى قول دعبل الخزاعي:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلّهم الله يعلم إني لم أقُلْ فندا
إني لأغمض عيني ثم أفتحها على كثيرٍ ولكن لا أرى أحدا

ومن الصيغة الثانية قول الشاعر:

أغْظِمْ بأيّامِ الشّباب نضارةً يا ليت أيام الشباب تعودُ

٣ ـ القسم: ويكون بأحرفٍ ثلاثة تجرّ ما بعدها، وهي: «الباء والواو والتاء».

كما يكون بالفعل «أقسم» أو ما في معناه مثل «أحلف».

ومن صيغ القسم التي تَرِدُ كثيراً في الأساليب العربية «لعمر» مضافةً إلى اسم ظاهر أو ضمير مثل «لعمر الله» و«لعمرك»، والتقدير: لعمرك

قسمي أو يميني أو ما أحلف به، وذلك نحو قول الشاعر:

لعمرك ما ضاقت أرضٌ بأهلها ولكن أخلاق الرِّجال تضيق

ونحو قول حاتم الطّائي:

لعمرك ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصَّدر

٤ ـ الرجاء: ويكون بحرفٍ واحد، وهو «لعلّ» وبثلاثة أفعال هي: عسى وحريّ، وأخلولق.

و«لعلّ» التي تعدّ من صيغ الإنشاء غير الطلبي وهي التي تفيد الرجاء، نحو قول أبي الطيّب المتنبي:

لعلّ عتبك محمودٌ عواقبه وربّما صحّت الأجسام بالعِلَلِ

أمّا لعل التي تفيد التعليل، أي التي تكون بمعنى «كي»، وكذلك التي بمعنى «ظنّ»، فإنّها في هاتين الحالتين لا تُفيد الرجاء، وبالتالى لا تُعَدُّ من صيغ الإنشاء غير الطّلبي.

ومن أمثلة هذا الرجاء قولهم:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرجٌ قريبُ

وقول الأعشى:

إن يقل هنّ من بني عبد شمسٍ فحريٌّ أن يكون ذاك وكانا

ونحو قولنا: «اخلولق المطر أن ينهمر».

٥ ـ صيغ العقود: من نحو قولك: بعت واشتريت، ووهبت، وقولك لمن أوجب لك الزواج: «قبلت هذا الزواج».

والإنشاء غير الطلبي ليس من مباحث علم المعاني، وذلك لقلّة الأغراض البلاغية التي تتعلّق به من ناحية؛ ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء من ناحيةٍ أخرى.

أمّا الإنشاء الذي هو موضع اهتمام علماء البلاغة، نظراً لاختصاصه بكثيرٍ من الدّلالات البلاغية، فهو «الإنشاء الطلبي».

تمرين (٩٨)

بيِّن صيغ الإنشاء وأنواعه وصيغه فيما يأتي:

١ ـ قال تعالى:

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾...﴾ [آل عمران: ١٢].

٢ ـ وقال آخر:

فلا تجزعي يا أُمّ أوسٍ فإنّه ... تصيب المَنايا كل حافٍ وذي نعل[1]

٣ ـ وقال آخر:

لعمري لقد برّ الضباب بنوه ... وبعض البنين حمّة وسعال

٣ ـ وقال طرفة بن العبد:

أدّوا الحقوق تفرّ لكم أعراضكم ... إنّ الكريم إذا يجرّب يغضب

٥ ـ وقال آخر:

يا صاحب المدّة القصيرة لا ... تغفل عن الموت قاطع المدد

٦ ـ وقال أبو العتاهية:

ولا والذي أمسيت عبداً له ... ما دام في الدنيا لحيّ سرور

حتى متى أنت حريصٌ على ... كثير ما يكفيك منه اليسير

٧ ـ وقال:

وإذا نَطَقْتَ فلا تكن هذراً ... وإذا نُكِبْتَ فأظْهِرِ الجَلَدَا[2]

٨ ـ وقال الفند الزماني:

صفحنا عن بني ذهل ... وقلنا القوم إخوانٌ

عسى الأيام أن يُرْجِعْنَ ... قوماً كالّذي كانوا

٩ ـ وقال الجرير:

يا حبّذا جبل الريان من جبلٍ ... وحبّذا ساكن الرّيان مَنْ كانا

وحبّذا نفحات من يمانية ... تأتيك من قبل الريّان أحيانا

---

(١) المنايا: الموت.

(٢) نُكبتَ: أُصِبْتَ.

١٠ ـ وقال آخر:

ما أصعب الفعل لمن رامه! وأسهل القول لمن أرادا!

١١ ـ بئس من له في كل قدر مِغْرَفَة[١].

١٢ ـ وقال شاعر:

لعلّ انحدار الدمع يعقب راحةً من الوجد أو يشفي شجيّ البلابل[٢]

١٣ ـ وقال شاعر:

أَقْبِح بآمال نفس وإن تبدَّت مِلَاحا!
يا ليل طلت جناحاً متى تُريني الصّباحا!

□ الإنشاء الطلبي □

قلنا: إنّ الإنشاء الطلبي هو موضع اهتمام البلاغيّين، لاختصاصه بكثيرٍ من الدّلالات البلاغية، وذكرنا أيضاً أنه أنواع أهمّها خمسة، وهي:

«الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمنّي، والنداء».

وإليك بيانها بشيءٍ من التفصيل.

(١) الأمــر

○ تعريفه:

الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، ويُقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنه أعلى منزلةً ممن يُخاطبه أو يوجّه الأمر إليه، سواء أكان أعلى منزلةً منه في الواقع أم لا.

○ صيغ الأمر:

وللأمرِ أربعُ صِيَغٍ تنوب كل منها مَناب الأخرى في طلب أيّ فعلٍ من الأفعال على وجه الاستعلاء، وهذه الصيغ هي:

أ ـ فعل الأمر: نحو قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

---

(١) يقال للمتدخّل فيما لا يعنيه من الأمور: «له في كل قِدْرٍ مغرفة».

(٢) الشجي: الحزين. البلابل: جمع بلبل، وهو الهمّ ووساوس الصّدر.

وقوله ﷺ: «صلّوا كما رأيتموني أصلّي».

ونحو قول ابن الوردي يوصي ابنه:

اطلب العلم ولا تَكْسَل فما ... أبعد الخير على أهل الكسل

ب ـ المضارع المقرون بلام الأمر:

نحو قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧].

ونحو قول الشاعر:

ليدَّع المدَّعون العلم والأدبا ... فقد تغيَّب عبد الله واحتجبا

جـ ـ اسم فعل الأمر: ومنه «عليكم» بمعنى ألزموا، نحو قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

ونحو قول الشاعر:

عليك نفسك فتّش عن معايِبِها ... وخلِّ عن عثرات الناس للناسِ

ومنه «رُوَيدك» بمعنى «تمهّل»؛ كقول شوقي:

رويدك ما المَوْتُ مُستغرَبٌ ... ولا هو مُستبعَدٌ من شجاعِ

ومنه «بله» بمعنى «دَعْ»؛ كقول كعب بن مالك:

تذر الجماجم ضحايا هاماتها ... بله الأكفّ كأنها لم تُخلق

د ـ المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]، بمعنى: فاضربوا الرقاب ضرباً.

ونحو قول طرفة بن العبد:

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيِّهم ... يقولون: لا تَهلك أسًى وتجلّد

بمعن: قفوا بها صحبي.

○ خروج الأمر عن معناه الأصلي:

ولكن الأمر قد تخرج صِيَغه عن معناها الأصلي إلى معانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال. ومن هذه المعاني:

١ ـ النصح والإرشاد: وهو الطلب الذي لا تكليف ولا إلزام فيه، وإنما

هو طلب يحمل بين طيّاته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد، نحو قول أحد الحكماء لابنه: يا بُنيَّ زاحِم العلماء برُكْبَتَيْك، وأنْصِتْ إليهم بأذنيك، فإنَّ القَلْبَ يحيا بنور العِلم كما تحيا الأرضُ الميتةُ بمطر السماء.

ونحو قول محمود الورّاق:

تَحَرَّ من الطرق أوساطها وعد عن الموضع المشتبه
وسمعك صُنْ عن سماع القبيح كصَوْن اللّسان عن النّطق به
فإنك عند استماع القبيح شريكٌ لقائله فانتبه

٢ ـ الدعاء: وهو الطلب على سبيل الاستغاثة والعون والتضرّع والعفو والرحمة وما أشبه ذلك، وهو يكون لكل صيغةً للأمر يخاطب بها الأدنى مَنْ هو أعلى منه منزلةً وشأناً، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾.

ونحو قول المتنبي يخاطب سيف الدَّولة:

أخا الجُودِ أعْطِ الناس ما أنت مالكٌ ولا تُعْطِيَنَّ الناس ما أنا قائِلُ[(١)]

٣ ـ الالتماس: وهو طلب الفعل الصادر عن الأنداد والنّظراء المتساوين قدراً ومنزلةً، نحو قول أحدهم:

خليلي ليس الرأي في صدرِ واحدٍ أشيرا عليّ اليوم ما تريانِ

وقول الصمّة بن عبد الله:

قِفَا وَدِّعا نَجْداً ومَنْ حلَّ با لحمي وقَلْ لنَجْدٍ عندنا أنْ يُوَدَّعا[(٢)]

٤ ـ التمنّي: وهو طلب الأمر المحبوب الذي يُرجى وقوعه إما لكونه مستحيلاً، وإمّا لكونه ممكناً غير مطموعٍ في نَيْله، نحو قول الرّقاشي: «سل الأرض من شقّ أنهارك، وغرس أشجارك، وجَنْي ثمارك، فإن لم تُجِبْك حواراً، أجابتك اعتباراً».

---

(١) يقول: أعْطِ الناس أموالك ولا تعطيهم شعري، أي لا تحوجني إلى مدح غيرك.

(٢) يقول: يا خليلي قفا حتى تودّعا نجداً ومَنْ سكن حماه، والتوديع قليلٌ عندي على نجد، فإنه قديرٌ بأكثر من ذلك.

وقول أبي الطيب المتنبي:

أَقِلَّ اشتياقاً أيُّها القَلْبُ رُبَّما　　رأيْتُكَ تُصْفي الوُدَّ مَنْ ليس جازِيا[1]

٥ ـ التخيير: وهو أن يطلب مِنَ المخاطب أن يختار بين أمرين أو أكثر، مع امتناع الجمع بين الأمرين أو الأمور التي يُطلب إليه أن يختار بينها، نحو قول أبي الطيّب المتنبّي:

عِشْ عزيزاً أو مُتْ وأنت كريمٌ　　بين طعن القنا وخَفْقِ البُنُودِ

وقول مِهْيار الدَّيْلمي:

وعِشْ إمّا قرين أخٍ وَفِيٍّ　　أمين الغَيْثِ أو عيش الوِحادِ

٦ ـ التعجيز: وهو مطالبة المخاطب بعمل لا يقوى عليه، إظهاراً لعجزِهِ وضعفه وعدم قدرته، وذلك من قبيل التحدّي، نحو قول أحدهم:

أريني الذي عاشرته فوجدته　　متغاضياً لك عن أقلّ عِثارِ

وقول الطُّغرائيّ:

حُبّ السلامة يَثْني هَمَّ صاحبِهِ　　عن العالي ويُغْري المَرْء بالكَسَلِ

فإن جَنَحْتَ إليه فاتَّخذ نفقاً　　في الأرضِ، أو سُلّماً في الجوّ فاعْتَزِلِ

٧ ـ التّهديد: ويكون باستعمال صيغة الأمر من جانب المتكلّم في مقام عدم الرّضا منه بقيام المخاطب بفعل ما أُمِرَ به تخويفاً وتحذيراً له؛ كقوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، والأمر هنا موجّه للمكذّبين بآيات الله.

ونحو قول الشاعر البارودي:

يا أيها السادر المزوَرُّ من صلفٍ　　مَهْلاً فإنّك بالأيّام مُنْخَدِعُ[2]

٨ ـ الإباحة: وتكون حيث يتوهّم المخاطب أنّ الفعل محظورٌ عليه، فيكون الأمر إذناً له بالفعل، ولا حرج عليه في التَّرك، وذلك نحو قوله تعالى

(١) أقِل: فعل أمر من الإقلال. وتصفي: تخلص.

(٢) السّادر: الذاهب عن الشيء ترفّعاً. والمزور: المنحرف. والصلف: الكبر.

في شأن الصائمين: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ونحو قول أحد الأوفياء لصديقٍ له:

كن كيف شئت، فإنّني سأبقى ذلك الأخ الوفيّ والمخلص.

٩ ـ التحقير: ويكون بتوجيه الأمر إلى المخاطَب بغرض استصغاره والإقلال من قدره وشأنه، وكذلك تبكيته، نحو قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [ق: ٤٩].

تلك أهم المعاني التي يتحمّلها لفظ المعنى ويخرج عن معناه الأصلي للدلالة عليه، ولكن هناك بعض معانٍ أخرى ذكرها البلاغيّون، وإنْ كانت قليلة الاستعمال؛ كالتكوين، أو التسخير، والتلهيف والتحسير، والتعجّب، والندب، والتسليم، والوجوب، والخبر.

تمرين (٩٩)

بيّن لماذا كانت صِيَغ الأمر في الأمثلة الآتية تفيد الإرشاد والدعاء والالتماس على الترتيب:

ـ عليك بأوساط الأُمور فإنّها ... طريقٌ إلى نَهْج الصواب قويمُ

ـ ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩].

ـ تَبَصَّرَ خليلي هل ترى ضوء بارِقٍ ... يضيء الدُجى باللّيل عن سَرْو حِمّيَرا

تمرين (١٠٠)

بيّن لماذا كانت صِيَغ الأمر في الأمثلة الآتية تُفيد التمنّي والتخيير والتعجيز على الترتيب:

ـ يا عين جُودي بالدُموع الغِزارِ ... وابكي على أروع حامي الذِّمار

عِشْ مُوسراً إنْ شئتَ أو مُعْسِراً ... لا بُدَّ في الدنيا من الغمّ

أريني جواداً مات هزلاً لعلّني ... أرى ما ترين أو بخيلاً مخلّدا

تمرين (١٠١)

بيِّن لماذا كانت صيغ الأمر في الأمثلة الآتية تفيد التهديد والإباحة والتحقير على الترتيب:

ـ أبا هندٍ فلا تعجل علينا ... وانظرنا نخبِّرك اليقينا

وقال ابن الرومي:

ليَهْنَ ركْبٌ سَرَوْا ليلاً وأنت بهم ... لسرهم في صباحٍ منك مُنْبَلِجُ
وليضع الرَّكب ما شاؤوا لأنفسهم ... هم أهل بدرٍ فلا تَخْشَوْنَ مِنْ حَرَجِ

ـ وقال شاعر:

ذهب إلى النار والعذابِ فما ... خِلْتُكَ إلا من الشياطينِ
ما زِلْتَ حتى عَقَدْتَ بيعةَ مَنْ ... أضَرَّ بالمسلمين والدِّينِ

تمرين (١٠٢)

بيِّن صيغ الأمر ومعانيه التي تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال:

١ ـ قال أحد الشعراء يتغنّى بشوقه إلى وطنه:

رويداً إذا حدّثتني عن رُبوعها ... فتطْويلُ أخبار الهوى لذّةٌ أخرى

٢ ـ وقال آخر:

سلّ السَّيْف عن أصل الفخار وفرعه ... فإنّي رأيتُ السَّيف أفصح مقولا

٣ ـ وقال ابن أبي الأصبع:

اصبر على خلقِ مَنْ تُصاحِبُهُ ... واصحب صبوراً على أذى خلقك

٤ ـ وقال آخر:

وحَذار أن ترضى مودّةَ مَنْ ... يقلي المُقِلَّ ويعشق المثري

٥ ـ وقال آخر:

فاسلم أمير المؤمنين ولا تزل ... مُسْتَعْلياً بالنّصر والتّأييد

٦ ـ وقال ذو الرمّة:

قف العيس في آثار مَيَّةَ واسأل ... رسوماً كأخلاق الرّداء المسلسل[1]

---

(١) العَيْس: الإبل مفردها أعيس. ومية: اسم امرأة يتغزّل الشاعر بها. الرسوم: الآثار. إخلاق الرّداء المسلسل: الرداء المقطّع البالي.

٧ ـ وقال كثير:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً ... لدينا ولا مقليَّةً إن تقلَّتِ(١)

٨ ـ وقال جرير في هجاء الراعي النُّميري:

فغضّ الطرف إنك من نمير ... فلا كعباً بلغت ولا كِلابا(٢)

٩ ـ وقال الفرزدق يخاطب خصمه جرير ومفتخراً بقومه:

أحْلامُنا تَزِنُ الجبال رزانةً ... وتخالُنا جِنًّا إذا ما نجهل(٣)

فادفع بكفّك إن أردت بناءنا ... ثهلان ذا الهضاب هل يَتَحَلْحَلُ(٤)

١٠ ـ وقال الشيخ عزّ الدين الموصلي:

بالله قل للنّيل عنّي أنّني ... لم أشْفَ من ماء الفرات غليلا

وسَلِ الفؤاد فإنه لي شاهدٌ ... إنْ كان طرفي بالبكاء بَخِيلا

١١ ـ وقال الإمام عليّ ﷺ في رثار الرسول ﷺ:

كنتَ السَّواد لناظري ... فبك عليك الناظر(٥)

مَنْ شاء بعدك فَلْيَمُتْ ... فعليك كنت أُحاذِرُ

١٢ ـ وقال ﷺ حين زار القبور:

سلامٌ على أهل القبور الدوارس ... كأنّهم لم يجلسوا في المجالس

ولم يشربوا من باردِ الماء شُرْبةً ... ولم يأكلوا من خيرِ رَطْبٍ ويابسِ

ألا خبّروني أين قبر ذليلكم ... وقبر العزيز الباذخ المتنافس

١٣ ـ وقال أحد الحكماء:

العلم زَيْنٌ فكُنْ للعلم مكتسباً ... وكُنْ له طالباً ما عِشْت مقتبسا

اركن إليه وثِقْ بالله واغْنَ به ... وكُنْ حليماً رزين العقل مُحْتَرِسا

١٤ ـ اختر ما تشاء.

---

(١) مقلية: بغيضة مكروهة. تقلّت: تكرّهت وتبغضت.

(٢) كعب وكلاب: قبيلان عربيّتان.

(٣) أحلامنا: جمع حلم، وهو هنا بمعنى العقل. ورزانة: ثباتاً.

(٤) ثهلان: جبل عظيم بنجد. الهضبات: جمع هضبة وهي الجبل الصغير. هل يتحلحل: هل يزول ويتحرك.

(٥) الناظر: العين.

١٥ ـ وقال شاعر:

يا خليلي خلّياني وما بي أو أعيدا إليَّ عَهْدَ الشباب

١٦ ـ وقال أبو الطيّب يخاطب سيف الدولة:

أزِلْ حَسَدَ الحسّاد عني بكبتهم فأنت الذي صيَّرتهم لي حُسَّدا

١٧ ـ وقال أبو فراس يخاطب حمامة وهو في الأسر:

أيا جارتا ما أنصف الدَّهْرُ بيننا تعالى أُقاسمك الهمومَ تعالي!

تعالي تري روحاً لَدَيَّ ضعيفة تَرَدَّدُ في جسم يُعذَّبُ بالي

١٨ ـ قال تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

١٩ ـ وقال تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٢٠ ـ وقال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

تمرين (١٠٢)

ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للنصح والإرشاد.

ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للدّعاء.

ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للالتماس.

ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للتمنّي.

ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للتخيير.

ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للتعجيز.

ـ هات مثالين لصيغة الأمر المفيد للتهديد.

تمرين (١٠٣)

بيِّن صيغ الأمر في الأبيات التالية وما يراد بها، ثم انثرها نثراً فصيحاً:

قال الإمام علي رضي الله عنه:

تَغَرَّبْ عن الأوطان في طلب العُلى وسافر ففي الأسفار خمسُ فوائدِ

تَفَرُّجُ همٍّ واكتسابُ معيشةٍ وعلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ

فإن قيل في الأسفار ذُلٌّ ومحنةٌ وقطع الفيافي وارتكاب الشدائدِ

فموتُ الفتى خَيْرٌ له من قيامهِ بدارِ هَوانٍ بين واشٍ وحاسدِ

◘ النّهي ◘

○ تعريفه:

وهو طلب الكفّ عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء والإلزام، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩]، ونحو قوله ﷺ: «لا تَباغضوا، ولا تَحاسدوا، ولا تَدابروا، ولا تَقاطَّعوا وكُونُوا عبادَ الله إخواناً ولا يَحِلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث».

○ صِيَغه:

وللنّهي صيغة واحدة وهي المضارع المقرون بـ«لا» الناهية الجازمة، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

وقوله ﷺ: «لا تسبّوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدّموا».

ومنه شعراً قول الإمام عليّ رضي الله عنه:

ولا تَجزَعْ إذا ما نابَ خَطْبٌ   فكم للَّه من لطفٍ خفي

○ خروج النهي عن معناه الأصلي:

والنهي مثل الأمر، هو الآخر قد يخرج عن معناه الحقيقي ـ وهو طلب الكفّ عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام ـ إلى معانٍ أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني ما يلي:

١ ـ الدعاء: وذلك عندما يكون النهي صادراً من الأدنى إلى الأعلى منزلة وقدراً، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ . . .﴾ [الممتحنة: ٥].

ومن أمثلته شعراً قول أحدهم يبتهل إلى الله:

لا تَكِلْني إلى الزَّمان فإنّي   بفِجاجِ الزَّمان غيرُ خبيرِ

وقول أبي الطيب المتنبي يخاطب أحد ممدوحيه:

فلا تَنَلْكَ اللّيالي إنَّ أيْدِيَهَا إذا ضَرَبْنَ كسَرْنَ النَّبع بالغرب[1]

٢ ـ الالتماس: وذلك عندما يكون النهي صادراً من شخصٍ إلى آخر يُساويه قدراً ومكانةً، نحو قول الغزّي:

ولا تُثْقِلا جِيدي بمنَّةِ جاهلٍ أروحُ بها مثلَ الحَمام مُطَوَّقا

وقول الآخر:

لا تَطْوِيا لسرٌّ عنّي يوم نائبة فإنَّ ذلك ذنبٌ غير مُغتفرِ

٣ ـ التمني: وذلك عندما يكون النهي موجّهاً إلى ما لا يعقل، نحو قول الإمام عليّ رضي الله عنه:

أقول لعيني احبسي اللَّحظات ولا تنظري يا عين بالسرقات
فكم نظرةٌ قادت إلى القلبِ شهوةً فأصبح منها القلب في حسرات

وقول الآخر:

إيه يا طير لا تَضُنَّ بلحنٍ يُنْقِذُ النّفس من همومٍ كثيرة[2]

٤ ـ النّصح والإرشاد: وذلك عندما يكون النّهي يحمل بين ثناياه معنًى من معاني النصح والإرشاد، نحو قوله ﷺ: «لا تحقرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تَلْقى أخاك بوجهٍ طليق».

ومنه نثراً أيضاً القول المعروف: لا تكن رطباً فَتُعْصَر، ولا تكن يابساً فتُكسر.

ومنه شعراً قول الأنصاري التّلمسانيّ:

ولا تَحْرِصَنَّ واقتَصِدْ فما الحِرْص مُغْنِيكا

وقول الآخر:

لا تأسف الدَّهر على ما مضى والْقَ الذي ما دونه من محيصْ
قد يُدْرِكُ المُبْطِىءُ من حَظِّهِ والخير قد يسبق جهد الحريص

---

(١) تنلك: تصبك. والنبع: شجر صَلب. والغرب: نبت ضعيف. يقول: إذا أصابتك اللّيالي بسوء، فإنها تغلب القويّ والضعيف.

(٢) تضنّ: تبخل.

٥ ـ التَّوبيخ: وذلك عندما يكون المنهيُّ عنه أمراً قبيحاً تمجّه النفوس، ولا يُشرِّفُ الإنسان الذي صدر عنه، نحو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

ومنه شعراً قول أحدهم:

ولا تَبْغِ ولا تَظْلِم ... فإنّ الظُّلم لَوْمُ

وقول أبي الأسود الدُّؤلي:

لا تَنْهَ عن خلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ

٦ ـ التحقير: وذلك عندما يُراد بالنّهي استصغار المخاطب وازدرائه، والحطّ من شأنه وقدره، نحو قول أحدهم:

لا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنت آكِلُهُ ... لن تَبْلُغَ المَجْد حتى تَلْعَقَ الصَّبرا

وقول ابن الرومي:

فلا تَخْشَ من أسهمي قاصداً ... ولا تأمَنَنَّ من العاثرِ

ولكن وَقاكَ معرَّاتها ... تضاؤل قدرك في الخاطرِ

٧ ـ التّيئيس: ويكون في حال مَن يريد القيام بأمرٍ هو عاجزٌ عنه، أو لا نفع فيه من وجهة نظر المتكلّم، نحو قولنا لشخص نعرف عنه عدم قدرته على الكتابة الروائية، ومع ذلك هو يريد التأليف فيها: «لا تُحاوِل التأليف في الفن الروائي».

ونحو قوله تعالى: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

ومنه شعراً قول أحدهم:

لا تعرِضَنَّ لجعفرٍ متشبّهاً ... بندى يديه فلست مِنْ أنداده

٨ ـ التهديد: وذلك عندما يقصد المتكلم تخويف مَنْ يخاطبه عاقبة القيام بعملٍ لا يُرْضي المتكلّم، نحو قولنا: «لا تنته عن بغيك» و«لا تترك غطرستك وعنادك».

وقول عمرو بن كلثوم:

ألا لَا يجهلنّ أحدٌ علينا ... فنجهل فوق جَهْلِ الجاهلينا

وقال آخر:

لا تظلمنّ إذا ما كنت مقتدراً ... فالظُّلم مَرْتَعه يفضي إلى النَّدمِ
تَنامُ عَيْنُك والمظلومُ مُنتبهٌ ... يدعو عليك وعين اللَّه لم تَنَمِ

تمرين (١٠٤)

بيِّن لماذا كانت صيغ النهي في الأمثلة التالية تُفيد الدّعاء والالتماس والتمنّي، على التّرتيب:

١ ـ قال شاعر:

إلٰهي لا تعذّبني فإنّي ... مُقِرٌّ بالّذي قد كان منّي

٢ ـ وقال امرؤ القيس:

بكى صاحبي لمّا رأى الدَّرْب دونه ... وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تَبْكِ عينيك إنّما ... نحاول مُلْكاً أو نموت فنعذرا

٣ ـ وقال آخر:

يا ناق خبّي بنا ولا تعدي ... نفسك مما تَرَيْنَ راحاتِ
حتّى تُناخي بنا إلى ملكٍ ... تَوَّجَهُ اللّهُ بالمَهاباتِ

تمرين (١٠٥)

بيِّن لماذا كانت صيغ النّهي في الأمثلة التالية تُفيد الإرشاد والتَّوبيخ والتحقير على التّرتيب:

لا تخلعنَّ عن اللّسان لجامه ... وتوقَّ فَرْط جماحهِ المعتادا
فاللّه خصَّ الاستماعَ بآلةٍ ... مَثْنَى وجارحةِ الكلام فرادى

ـ لا تلتمس من عيوب الناس ما سَتَرُوا.

ـ لا تحسبوا مَنْ قتلتم كان ذا رمقٍ ... فليس تأكل إلّا الميتة الضَّبُعُ

تمرين (١٠٦)

بيِّن لماذا كانت صِيَغ النّهي في المثالين الآتيين تُفيد التيئيس والتّهديد على الترتيب.

ـ لا ترقب النَّجم في أمرٍ تُحاوله ... فاللّه يفعلُ لا جَدْيٌ ولا حَمَلُ
ـ لا تحسبنَّ اللّه مُطَّرِحاً ... مَنْ بِتَّ تضحك منه حين بَكا

تمرين (١٠٧)

بيِّن صيغ النَّهي ومعانيه التي تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال فيما يأتي:

١ ـ قال الإمام عليّ رضي الله عنه:

لا تفسدنَّ سابق إحسان مضى   واللَّه لا يغلب فيما قد مضى

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)﴾ [البقرة: ٤٢].

٣ ـ وقال تعالى فيمن حُقّت لهم النار: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٦].

٤ ـ وقال شاعر:

فلا تَعد عدَّة إلّا وفَيّتَ بها   ولا تكُنْ مخلفاً يوماً لما تعد

٥ ـ وقال آخر:

فلا تَسْعَ إلى أحدٍ بِبَغْيٍ   فإنَّ البَغي موقعه وَخِيمُ

٦ ـ وقال آخر:

جانب صغار الذَّنب لا تركبَنْها   فَإنَّ صغار الذَّنب يوماً ستُجمع

٧ ـ لا تأمر الناس بالمعروف وأنت أبعد الناس عنه.

٨ ـ وقال آخر:

إلٰهي فلا تقطع رجائي ولا تُزِغْ   فؤادي في سَيْب جودك مطمع

٩ ـ وقال الإمام عليّ رضي الله عنه:

لا تجزعَنَّ إذا نابَتْك نائبةٌ   واصبر ففي الصبر عند الضَّيق مُتَّسعُ
إنّ الكريم إذا نابته نائبةٌ   لم يَبْدُ منه على عِلّاته الهَلَعُ

تمرين (١٠٨)

هات مثالين لصيغة النَّهي المفيد للدعاء.

هات مثالين لصيغة النهي المفيد للالتماس.

هات مثالين لصيغة النهي المفيد للتمني.

هات مثالين لصيغة النهي المفيد للإرشاد.

هات مثالين لصيغة النّهي المفيد للتّوبيخ.

هات مثالين لصيغة النهي المفيد للتيئيس.

هات مثالين لصيغة النهي المفيد للتهديد.

تمرين (١٠٩)

إشرح البيتين التاليين وبيّن المراد من صيغتي النّهي فيهما:

اصبر على الدّهر لا تغضب على أحدٍ ... فلا يُرى غيرُ ما في الدّهر مخطوطُ

ولا تقيمنَّ بدارٍ لا انتفاع بها ... فالأرض واسعةٌ والرّزق مبسوطُ

❐ الاستفهام ❐

○ تعريفه:

الاستفهام هو طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل بأداةٍ خاصّة.

○ أدواته:

للاستفهام أدوات كثيرة، منها: الهمزة وهل.

الهمزة: يُطلب بالهمزة أحد أمرين: التصوّر أو التصديق.

والتصوّر هو إدراك المفرد، أي أحد طرفي الجُملة، وفي هذه الحالة يؤتى بالمسؤول عنه بعد الهمزة، نحو: أمقدّر أنت أواصر الأخوّة التي بيننا يا صديقي؟ وغالباً ما يأتي المعادل في الجملة مقروناً بـ«أم»، نحو: أأنت المهندس أم أخوك؟

أمّا التصديق، فهو إدراك النسبة بين ركني الجملة، مثل: أيصدأ الذهب؟ وفي هذه الحالة يمتنع ذكر المعادل.

هل: يطلب بهل التصديق، ولا يُؤتى بعدها بمعادل، فإن جاءت بعدها «أم» قُدِّرت بمعنى «بل»، وكأنها بداية استئناف جملة جديدة بعد الإضراب عن الأُولى.

وللاستفهام أدوات أخرى غير هاتين الأداتين، وهي:

من: ويُطلب بها تعيين العقلاء، نحو: مَنْ فتح الأندلس؟

ما: ويطلب بها شرح الإسم أو حقيقة المسمّى، نحو: ما الجدّ؟ فيشرح

بإجابتنا: هو الحظ، ونحو: ما التبذير؟ فيتبيّن حقيقته بإجابتنا: هو إضاعة المال فيما لا يفيد ولا يُجدي.

متى: ويطلب بها تعيين الزَّمان ماضياً كان أو مستقبلاً، نحو: متى توفي الخليفة أبو بكر الصدّيق؟ ونحو: متى يعود الأب إلى البيت؟

أيان: ويطلب بها تعيين الزَّمان المستقبل خاصّة، وتكون في موضع التهويل، نحو قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦﴾ [القيامة: ٦].

كيف: ويُطلب بها تعيين الحال، نحو: كيف كانت نزهتكم؟

أين: ويُطلب بها تعيين المكان، نحو: أين وضعت الكتاب؟

أنّى: وتأتي لمعانٍ عدَّة، فتكون بمعنى.

كيف، نحو: أنّى يردّ المظلوم حقّه وهو مُتخاذل؟

وبمعنى أين، نحو: أنّى لك كُلَّ هذا المال، وعهدي بك فقير الحال؟

وبمعنى متى، نحو: أنّى يستيقظ النائم؟

كم: ويطلب بها تعيين العدد، نحو: كم تلميذاً في القسم؟

أي: ويطلب بها تعيين أحد المشاركين في أمرٍ يعمّهما، نحو: أي الرجلين أغزر علماً؟

و«أي» يسأل بها عن الزَّمان، والمكان، والحال، والعدد، والعاقل، وغير العاقل على حسب ما تُضاف إليه.

وما يجدر الإشارة إليه أنّ جميع الأدوات المتقدِّمة يطلب بها التصوّر، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسؤول عنه.

◘ المعاني التي تستفاد من الاستفهام بالقرائن ◘

وأدوات الاستفهام قد تخرج عن معانيها الأصلية إلى معانٍ أخرى تفهم من سياق الكلام والقرائن، ومن هذه المعاني:

١ ـ النفي: ويكون ذلك عندما تجيء لفظة الاستفهام للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولاً.

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا

﴿ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرحمن: ٦٠] وقوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩].

فظاهر هذه الآيات الكريمة الاستفهام، والمعنى: ليس جزاء الإحسان إلا الإحسان، ولست تنقذ من في النار، ولا هادي لمن أضل الله.

ومن الشعر الذي خرج فيه الاستفهام إلى النفي قول الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه　　إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقول آخر:

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضي　　بما كان فيها من بلاء ومن خفض

٢ ـ التعجب: نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧].

ونحو قول الشاعر ابن زيدون:

راحتْ فصحَّ بها السقيم　　رِيحٌ مُعطَّرة النسيم
مقبولةٌ هبَّتْ قبولاً　　فهي تَغَبَّقُ في الشميم
أفَضيضُ مسكٍ أم بلنسية　　لريّاها نميمْ
بلدٌ حبيبٌ أُفْقُهُ　　لِفَتّى يحل بهِ كريم

وقوله حسان بن ثابت:

ما بال عينيك دَمْعُها يَكِفُّ　　مِنْ ذكر خُودٍ شَطَّتْ بها قُذُفُ
بانت بها غُربَةٌ تَؤُمُّ بها　　أرْضاً سوانا فالشكل مختلف

٣ ـ التمني: ويكون ذلك عندما يُوجَّهُ السؤال إلى من لا يعقل، ومن أمثلته قوله تعالى حكاية عن الكافرين يوم القيامة: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾؟ [الأعراف: ٥٣] فهم يتمنون الشفاعة وهي أمر محبوب ولكن لا يرجى حصولها، لكونها مستحيلة الحصول وغير مطموع في نيلها.

ومن أمثلة التمني شعراً قول المتنبي:

أيدري الربع أيّ دم أراقا؟　　وأي قلب هذا الركب شاقا؟

فالشاعر يتمنى لو أن الرّبع يدري ما فعل من إراقة دمه، وما هَيّجه في

قلبه من الشوق، فهذا الرجاء أمر محبوب ولكن لا يمكن حصوله، فالربع لا يمكن أن يدري فهو غير عاقل.

٤ ـ التقرير: ويكون ذلك عندما يحمل المخاطب على الإقرار بما له به علم إثباتاً ونفياً لغرض من الأغراض، على أن يجيء المقرر به تالياً لهمزة الاستفهام، ومن أمثلته قولنا: أأنت رسمت؟ إذا أردت أن تقرره بأنه الراسم، وتقول أرواية كتبت؟ إذا أردنا أن نقرره بأن كتابته رواية، وعلى هذا فقس.

ومن شواهد الاستفهام التقرير في القرآن الكريم قوله تعالى مخاطباً فيه محمداً ﷺ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: ١] وقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨].

ومن أمثلته في الشعر قول أحدهم:

هَبِ الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى الزوال؟

وقول النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب

٥ ـ التعظيم: ويكون ذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الحقيقي واستخدامه في الدلالة على ما يتصف به المسؤول عنه من صفات كريمة وخلال حميدة، كالجود والإقدام والعلم والحلم وما أشبه ذلك.

ومن شواهده قول ابن زيدون من قصيدة يخاطب الوزير أبا عبد الله بن عبد العزيز:

قل لي بأي خلال سَرْ ... وِك قبل أفتن أو أهيم؟

أبمجدك العمم الذي ... نسق الحديث مع القديم؟

أم ظرفك الحلو الجنى ... أم عرضك الصافي الأديم؟

وقول أبي نواس في الخصيب أحد ولاة مصر:

إذا لم تطأ أرض الخصيب ركابنا ... فأي فتى بعد الخصيب تزور؟

٦ ـ التحقير: ويكون ذلك عندما يخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي

واستخدامه في الدلالة على حقارة المسؤول عنه وصغِرَ قدره مع معرفة المتكلم أو السائل به. وهذا الاحتقار سواء كان حقيقة أو معتقداً فيه من قِبَل المخاطِب. ومما ورد منه في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان الكافرين: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾؟! [الفرقان: ٤١].

ومن أمثلته شعراً قول أحدهم يخاطب العاذل:

لقد تفيهقت بالتشديق في عذلي ... كيف النزاهة عن ذا الأشدق الخصم(١)

وقال آخر:

أتظن أنك للمعالي كاسب ... وخبي أمرك شرة وشنار(٢)

وقال شاعر:

إذا ما تميمي أتاك مفاخراً ... فقل عدّ عن ذا كيف أكلك للضب

٧ ـ التوبيخ: ويكون ذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الأصلي واستخدامه في الدلالة على لوم المخاطب وتقريعه على تماديه في الاتصاف بأمر مشين، كالتمادي في الشقاق والتخاذل، والكذب والزور وما أشبه ذلك. ومن أمثلته شعراً قول أحدهم:

أمن بعد ما لاح المشيب بمفرقي ... أميل لزور بالغرور يصاغ

وقول شوقي في قصيدة سياسية:

إلام الخلف بينكم إلام؟ ... وهذي الضجة الكبرى علام؟

وفيما يكيد بعضكم لبعض؟ ... وتبدون العداوة والخصاما؟

٨ ـ الاستبعاد: ويكون ذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على استبعاد السائل للمسؤول عنه، سواء أكان البعد حسياً مكانياً، أو بُعْداً معنوياً.

فمن الأمثلة الدالة على البعد الحسي المكاني قول عنترة:

---

(١) تفيهق في الكلام: توسّع وتنطع به. التشديق: مدّ الكلام.
(٢) الشرة: الشر والحدة والحرص. الشنار: أقبح العيب.

كيف المزار وقد تربع أهلنا بعنيزتين وأهلها بالغيلم(١)

وقول الآخر:

أبعد بعد تقول الدار جامعة شملي بهم أم تقول البعد محتوم؟

ومن الأمثلة الدالة على البعد المعنوي قول ابن حمديس لما اضطر إلى اتخاذ العصا:

اتخذت العصا قبل وقت العصا لكيما أوطىء نفسي عليها
ومن لي بإدراك عمر قضى إذا أحوجتني الليالي إليها؟

وقول أحمد شوقي:

هل علمتم أمة في جهلها ظهرت في المجد حسناء الرداء؟
فخذوا العلم على أعلامه واطلبوا الحكمة عند الحكماء

٩ ـ الإنكار: ويكون ذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أن المستفهم عنه أمر منكر عُرْفاً أو شرعاً.

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى لمن اعتقدوا أن الملائكة بنات الله سبحانه: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا﴾؟ [الإسراء: ٤٠] أي: أَخَصَّكُم ربكم بالذكور وخصّ نفسه بالبنات؟ أي أنه لم يفعل هذا لتعاليه عن الولد مطلقاً.

ونحو قوله تعالى عن لسان إبراهيم عندما أسرع إليه قومه بعد أن كسّر أصنامهم: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥، ٩٦].

ومن أمثلة الاستفهام الإنكاري قول امرىء القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال(٢)

---

(١) العنيزتين والغيلم: موضعين بعيدين عن بعضهما كثيراً.

(٢) المشرفي: سيف نسب إلى قرى بالشام يقال لها المشارق، والمسنونة الزرق: السهام المسنونة الصافية، والأغوال: جمع الغول، وهو ما اغتال الإنسان وأهلكه.

١٠ ـ التسوية: وتأتي الهمزة للتسوية المصرّح بها نحو قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾؟ [الأعراف: ١٩٣] فهؤلاء المستكبرون عن الحق يعلمون مسبقاً أنهم دعوا إلى الإيمان، ومع ذلك لا يستجيبون، ولهذا يجيء الاستفهام هنا للدلالة على أن الدعوة والصمت عنها بالنسبة لهم سواء، ومن أجل ذلك خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليؤدي معنى مجازياً بلاغياً هو التسوية.

ومن أمثلة التسوية شعراً قول أحدهم:

ولست أبالي بعد فقدي مالكا ... أموتي ناءٍ أم هو الآن واقع؟

١١ ـ الأمر: ويكون ذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على معنى الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي انتهوا؟ ونحو قوله تعالى أيضاً: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: ٢٠] أي أسلموا.

ومن هذا القبيل «أرأيت؟» أو «أرأيتك» فإنه استفهام خرج إلى الأمر بمعنى «أخبرني» وقد ورد هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ [العلق: ٩، ١٠] أي أخبرني عن هذا الذي ينهى عبداً إذا صلى.

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ۝٢٠﴾ [النجم: ١٩، ٢٠] أي أخبروني عن هذه الأصنام الثلاثة التي يدّعون أنّها تمثل الملائكة، وكانوا يتقربون بها إلى الله تعالى.

ونحو قول الشاعر:

أرأيتك إن منعت كلام يحيى ... أتمنعني على يحيى البكاء

١٢ ـ النهي: ويكون ذلك بالخروج بالاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى النهي، أي إلى طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء نحو قوله تعالى: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [التوبة: ١٣] أي لا تخشونهم فالله أحق أن تخشوه.

ونحو قول الشاعر:

أتخالني أرضى الهوان؟ فحاذر واسلم بنفسك من أبي فحاذر

أي لا تخلني أرضى الهوان، فحاذر... إلخ.

١٣ ـ التشويق: وفيه لا يريد السائل العلم بشيء لا يعلمه من قبل، وإنما يريد توجيه المخاطب وتشويقه إلى أمر من الأمور نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠، ١١].

ونحو قوله ﷺ: **«ألا أخبركم بمن يحرم على النار ـ أو بمن تحرم عليه النار ـ تحرم على كل قريب هَيِّن لَيِّن سهل»**.

وقوله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**.

١٤ ـ العرض: ومعناه طلب الشيء بلين ورفق. ومن أدواته «ألا» بفتح الهمزة وتخفيف اللام، و«أما» بفتح الهمزة وتخفيف الميم، وتختص كلتا الأداتين إذا كانت للعرض بالدخول على الجملة الفعلية، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. ونحو: أما تخبرنا فتطمئن خواطرنا؟

ومنه شعراً قول أحدهم:

ألا تقول لمن لا زال منتظراً منك الجواب كلام يبعث الأملَ؟

وقول الآخر:

ألا فتى يورد الهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم؟

تمرين (١١٠)

بيّن لماذا كانت صيغ الاستفهام في الأمثلة الآتية تفيد النفي والتعجب والتمني على الترتيب:

١ ـ قال شاعر:

وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأي أمير المؤمنين جميل

٢ ـ وقال صفي الدين الحلي:

يا ليت شعري! أسحراً كان حبكم؟ أزال عقلي أم ضرباً من اللمم

٣ ـ وقال شوقي يخاطب واد النيل:

من أي عهد في الورى تتدفق؟ وبأي كفّ في المدائن تغدق؟

تمرين (١١١)

بيّن لماذا كانت صيغ الاستفهام في الأمثلة الآتية تفيد التقرير والتعظيم والتحقير والتوبيخ على الترتيب؟

١ ـ قال شاعر يمدح:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

٢ ـ وقال آخر:

إذا القوم قالوا: من فتى لعظيمة؟ فما كُلُّهُمْ يدعى ولكنه الفتى

٣ ـ وقال آخر:

أيشتمنا عبد الأراقم ضلة؟ فماذا الذي تجدي عليك الأراقم؟

٤ ـ وقال شوقي في قصيدة سياسية يخاطب بها المستعمر الإنجليزي:

في كل تقرير تقول خلقتكم أفهل ترى تقريرك التنزيلا

هل من نداك على المدارس أنها تذر العلوم وتأخذ «الفوتبولا»

أم من صيانتك القضاء بمصر أن تأتي بقاضي «دنشواي» وكيلا[1]

تمرين (١١٢)

بيّن لماذا كانت صيغ الاستفهام في الأمثلة الآتية تفيد الاستبعاد والإنكار والتسوية على الترتيب:

١ ـ وقال الطغرائي:

ترجو البقاء بدار لا بقاء لها فهل سمعت بظل غير منتقل؟

٢ ـ قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤].

٣ ـ وقال شاعر:

ولست أبالي بعد إدراك العلى أكان تراثاً ما تناولت أم كسبا؟

---

(١) دنشواي: وفيها وقعت مجزرة فظيعة ارتكبها الإنجليز.

تمرين (١١٣)

بيّن لماذا كانت صيغ الاستفهام في الأمثلة الآتية تفيد الأمر، والنهي، والتشويق، والعرض على الترتيب:

١ ـ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ [النجم: ٣٣، ٣٤].

٢ ـ وقال شاعر:

وتقول: أف لليتي ... حملتك ثم رعتك دهرا!!

٣ ـ قال تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٦].

٤ ـ وقال شاعر:

أما تضيف لما أسديت من نعم ... فضل المعونة في اللأواء والمحن[١]

تمرين (١١٤)

بيّن صيغ الاستفهام ومعانيه التي تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال فيما يأتي:

١ ـ قال شهاب الدين بن حجر:

خليلي وَلَّى العمر منا ولم نتب ... وننوي فعال الصالحين ولكنا

فحتى متى نبني بيوتاً مشيدة ... وأعمارنا منا تُهَدُّ وما تُبْنَى

٢ ـ وقال الإمام علي رضي الله عنه:

أفادتني القناعة كل عزّ ... وهل عز أعز من القناعة؟

٣ ـ وقال شاعر:

وحياته أعطى الشهيد لقومه ... أترى أجل من الحياة عطاء؟

٤ ـ وقال شاعر:

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ... ودون الذي أملت منك حجاب؟

٥ ـ وقال شاعر:

كيفية المرء ليس المرء يدركها ... فكيف كيفية الجبار في القدم؟

هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعاً ... فكيف يدركه مستحدث النسم؟

---

(١) اللأواء: الشدة.

٦ ـ أتبغض من كان لك عوناً في السراء والضراء؟

٧ ـ وقال تعالى: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ [الدخان: ١٣، ١٤].

٨ ـ وقال رضا الهندي في مدح الإمام علي ﷺ:

أمفلج ثغرك أم جوهر ... ورحيق رُضَا بِكَ أم سكر؟

٩ ـ وقال أبو تمام:

ما للخطوب طغت علي كأنها ... جهلت بأن نداك بالمرصاد؟

١٠ ـ وقال آخر:

هل بالطلول لسائل ردّ؟ ... أم هل لها بتكلم عهد؟

١١ ـ وقال آخر:

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خِلْتُ أنني ... دعيت فلم أكسل ولم أتبلد

١٢ ـ وقال أبو تمام:

أألبس هجر القول من لو هجوته ... إذاً لهجاني عنه معروفه عندي

١٣ ـ وقال آخر:

ألست المرء تجبي كل حمد ... إذا لم يكن للحمد جاب(١)

١٤ ـ وقال آخر:

أما تغلط الأيام في بأن أرى ... بغيضاً تنائي أو حبيباً تقرب؟

١٥ ـ وقال تعالى: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٠].

١٦ ـ وقال تعالى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ [التوبة: ١٣].

١٧ ـ وقال أحدهم:

ألنت تجود؟ إن الجود طبع ... وما لك منه يا هذا نصيب

١٨ ـ وقال المتنبي:

خليليّ إني لا أرى غير شاعر ... فَلِمَ منهم الدعوى ومني القصائد؟
فلا تعجبا أن السيوف كثيرة ... ولكن سيف الدولة اليوم واحد؟

١٩ ـ وقال آخر:

فدع الوعيد فما الوعيد بضائري ... أطنين أجنحة الذباب يضير

---

(١) تجبي: تجمع.

٢٠ ـ وقال آخر:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

٢١ ـ وقال شاعر:

أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويحرم ما دون الرضا شاعر مثلي

٢٢ ـ وقال آخر:

فعلام يلتمس العدو مساءتي من بعدما عرف الخلائق شاني

تمرين (١١٥)

اشرح الحديث النبوي الآتي وبيّن أغراض الاستفهام فيه:

قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا الله ورسوله أعلم.

قال: «ذكرك أخاك بمايكره». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»(١).

▢ التمني ▢

○ تعريفه:

التمني هو طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله: إما لكونه مستحيلاً، وإما لكونه ممكناً غير مطموع في نيله.

فمن أمثلة الأول وهو طلب الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلاً قول الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يوماً فأخبره بما فعل المشيب

وقول الآخر:

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي

ومن أمثلة الثاني وهو طلب الأمر المحبوب الذي لا يرجى حُصوله لكونه ممكناً غير مطموع في نيله نحو قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ﴾ [القصص: ٧٩].

(١) بهتّه: أي افتريت عليه الكذب.

ونحو قول الشاعر:

فليت الشامتين به فدوه ... وليت العمر مَدَّ له فطالا

○ **أدواته:**

واللفظ الموضوع للتمني هو «ليت»، وقد يتمنى بـ«هل» و«لو» و«لعل» لغرض بلاغي.

فالغرض البلاغي المراد من وراء التمني بلفظتي «هل» و«لعل» هو إبراز المعنى في صورة الممكن القريب الحصول، لكمال العناية به والتشوق إليه.

فمن أمثلة «هل» قوله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١].

ونحو قول الشاعر:

أَسِرْبَ القطا هل من يعير جناحه ... لعلي إلى من قد هويت أطير

ومن أمثلة «لعل» قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

وقول الشاعر:

تأنّ ولا تعجل بلومك صاحباً ... لعل له عذر وأنت تلوم

والغرض البلاغي من استعمال «لو» هو الإشعار بعزة المتمني وندرته؛ لأن المتكلم يبرزه في صورة الممنوع، إذ إن «لو» تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

ومن أمثلة ذلك قول مسلم بن الوليد:

واهاً لأيام الصبا وزمانه ... لو كان أسعف بالمقام قليلا

وقول المهلهل:

فلو نشر المقابر عن كليب ... فيخبر بالذنائب أيُّ زير(١)

وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجياً، ويعبر فيه

---

(١) قاله في رثاء أخيه كليب، وذلك أن كليباً كان يقول أن المهلهل زير النساء ولا يأخذ بثأر، فلما أدرك ثأر أخيه قال ذلك. والذنائب موضع، وأيُّ رفع على الابتداء، والخبر محذوف كأنه قال أي زير أنا.

بـ«لعل» أو «عسى» وقد تستعمل فيه «ليت» لغرض بلاغي هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بُعد نيله.

ومن أمثلة ذلك من الشعر قول أحدهم:

لعل رحمة ربي حين يقسمها   تأتي على حسب العصيان بالقسم

وقول الآخر:

لعل عتبك محمود عواقبه   وربما صحت الأجسام بالعلل

وقول الآخر:

عسى الله أن يجري المودة بيننا   ويوصل حبلاً منكمو بحباليا

وقول شاعر:

عسى الأيام أن تدني حبيبا   لقيت ببعده الكرب الشديدا

وقول الآخر:

ليت الملوك على الأقدار معطية   فلم يكن لدنيء عندها طمع

تمرين (١١٦)

بيّن ما في الأمثلة التالية من تمن وما يراد به من خلال ما عرفت في تعريف هذا الأسلوب:

ـ فليت وقارك فرقته   وحملت أرضك ما تحمل

ـ فليتك إذ لم ترع حق أبوتي   فعلت كما الجار المجاور يفعل

ـ يا ليت من يمنع المعروف يمنعه   حتى يذوق رجال غب ما صنعوا

ـ ليت الجبال تداعت عند مصرعه   دكًّا فلم يَبْقَ من أركانها حجر

تمرين (١١٧)

بيّن ما في الأمثلة الآتية من تمن، وبين السر في استعمال ما جاء من الأدوات على غير وضعها الأصلي:

١ ـ قال قريط يهجو قومه:

فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا   شدوا الإغارة فرساناً وركبانا

٢ ـ وقال آخر:

هل ترجعن ليال قد مضين لنا والعيش منقلب إذ ذاك أفنانا

٣ ـ وقال تعالى مخبراً عن الكافرين وقد دخلوا النار:

﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً[(١)] فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢].

٤ ـ وقال تعالى مخبراً عن الكافرين أيضاً:

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الأعراف: ٥٣].

٥ ـ وقال شاعر:

فيا ليتني من بعد موتي ومبعثي أكون رُفاتاً لا علي ولا ليا

٦ ـ وقال آخر:

يا موته لو أقلت عثرته يا يومه لو تركته لغد

٧ ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧].

٨ ـ وقال بشار بن برد في خياط أعور اسمه «عمرو»:

خاط لي عمرو قباء ليت عينيه سواء

٩ ـ وقال آخر:

أَعْظِمْ بأيام الشباب نضارة يا ليت أيام الشباب تعود

تمرين (١١٨)

بيّن ما في الأمثلة الآتية من تَمَنٍّ أو ترجٍّ وبين الغرض البلاغي من استعمال ما جاء من الأدوات على غير وضعه الأصلي:

١ ـ قال أحدهم:

أَخِلَّاي لو غير الحِمام أصابكم عتبت ولكن ما على الدهر معتب[(٢)]

٢ ـ وقال آخر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

٣ ـ وقال ذو الرمة:

---

(١) كرة: رجعة.

(٢) الحِمام: الموت.

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي شجي البلابل[1]

٤ ـ وقال أبو الطيب في رثاء أُخْتِ سيف الدولة:

فليت طالعة الشمسين غائبة ... وليت غائبة الشمسين لم تغب[2]

٥ ـ وقال صفي الدين الحلي:

ليت المنية حالت دون نصحك لي ... فيستريح كلانا من أذى التُّهَمِ

تمرين (١١٩)

هات مثالين لكل أداة تفيد التمني والترجي.

تمرين (١٢٠)

أنثر البيتين الآتيين نثراً فصيحاً وهما للمتنبي:

ليت الحوادث باعتني الذي أخذت ... مني بحلمي الذي أعطت وتجريبي

فما الحداثة من حلم بمانعة ... قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

▢ النداء ▢

○ تعريفه:

النداء هو طلب الإقبال بحرف نائب مناب أدعو.

○ أدواته:

أدوات النداء ثمان: «الهمزة»، و«أي»، و«يا»، و«آ»، و«آي»، و«أيا»، و«هيا»، و«وا».

وهذه الأدوات في الاستعمال نوعان:

١ ـ الهمزة وأي لنداء القريب.

٢ ـ الأدوات الست الأخرى لنداء البعيد.

فمن أمثلة استعمال الهمزة لنداء القريب جَرْياً على أصل وضعه قول حكيم يوصي ابنه:

---

(١) الشجي: الحزين. البلابل: جمع بلبال وهو الهم ووساوس الصدر.

(٢) جعل المرثية وشمس النهار شمسين.

أبُـنَـيَّ إن الـرزق مـكـفـول بـه فعليك بالإجمال فيما تطلب

وقول بشار بن برد مخاطباً خالد بن برمك حين وفد عليه وقد انتدبه المنصور والياً على بلاد فارس:

أخالد إن الحمد يبقى لأهله جمالاً، ولا تبقى الكنوز على الكَدِّ

ومن أمثلة استعمال «أي» لنداء القريب جرياً على أصل وضعه قول أحدهم يوصي ابنه: «أيْ بُني، لا يكن عندك لعمل البر غاية في الكثرة، ولا لعمل الإثم غاية في القلة».

وقول الآخر:

أيْ صديقي إني قصدتك لما لم أجد في الحياة غيرك شهما

ومن أمثلة استعمال الأدوات الأخرى لنداء البعيد جرياً على أصل وَضْعِهِ أيضاً هذه الطائفة من الأبيات:

- أيا ربّ قد أحسنت عوداً وبدأة إليّ فلم ينهض بإحسانك الشكر
- أيا من ليس لي منه مجير بعفوك من عقابك أستجير
- يا خاتم الرسل يا من علمه علم والعدل والفضل والإيفاء بالذمم
- هيا غائباً عني وفي القلب عرشه أما آن أن يحظى بوجهك ناظري
- يا طالب الصفو في الدنيا بلا كدر طلبت معدومة فايأس من الظفر

وقد ينزل البعيد منزلة القريب فينادي بالهمزة و«أي» إشارة إلى قربه من القلب وحضوره في الذهن لا يغيب عن البال.

نحو قول الشاعر السوري نجيب حداد:

أجزيرة العرب التي أحببتها كم من أكفّ قد رمتك بأسهم

- وقول الآخر:

أمحمد والجود فيك سجية يهنيك طيب ذكرها يهنيكا

- وقال شاعر:

أيا بلادي في القلب مثواك مهما طال منفاي عن ثراك الحبيب

فالشعراء في هذه الأبيات الثلاثة أرادوا أن يبينوا أن المنادي على الرغم

من بعده في المكان، هو قريب من قلوبهم مستحضر في أذهانهم لا يغيب عن بالهم، فكأنه معهم في مكان واحد، وهذه لطيفة بلاغية تسوغ ستعمـ «الهمزة» و«أي» في نداء البعيد.

وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادي بغير «الهمزة» و«أي»، إشارة إلى علو مرتبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشرود ذهنه.

فمن أمثلة تنزيل القريب منزلة البعيد لعلو مرتبته وارتفاع شأنه قول جرير يندب الخليفة عمر بن عبد العزيز:

حُمِّلْتَ أمراً عظيماً فاصطبرتَ له ... وقمتَ فيه بأمر الله يا عمر[1]

وقوله عروة لبنيه:

«يا بني لا يهدي أحد منكم إلى ربه ما يستحيي أن يهدي إلى كريمه، فإن الله أكرم الكرماء، وأحق وأكرم من اختير له».

ومن أمثلة تنزيل القريب منزلة البعيد لانحطاط منزلته:

- قول أحدهم:

يا غادراً بي ولم أغدر بصحبته ... وكان مني مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي أَخَالُ جَفَاءً ... فجاء ما خلته نقشاً على حجر[2]

- وقول الآخر:

يا أيها المتحلي غير شيمته ... إن التَّخَلُّق يأتي دونه الخُلُقُ

ومن أمثلة تنزيل القريب منزلة البعيد بغفلته وشرود ذهنه قول أحدهم:

يا من بدنياه اشتغلْ ... وغره طول الأملْ
الموت يأتي بغتةً ... والقبر صندوق العملْ

وقول الآخر:

يا راقد الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً

---

(١) معنى البيت: لقد توليت الخلافة، فطبقت أوامر الله تعالى فأرضيته.

(٢) أخال: أظن. الجفاء: القسوة والهجر.

خروج النداء عن معناه الأصلي:

وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي من نداء القريب أو البعيد إلى معاني أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني:

١ ـ الإغراء: نحو قول أبي الحسن بن المفضل:

أيا نفس بالمأثور عن خير مرسل وأصحابه والتابعين تمسك
عساك إذا بالغت في نشر دينه بما طاب من عُرْفٍ أن تمسك

وقول الحسن البصري رضي الله عنه: «رحم الله رجلاً وعظ أخاه وأهله فقال: يا أهلي، صلاتكم صلاتكم، زكاتكم زكاتكم، جيرانكم جيرانكم، إخوانكم إخوانكم، مساكنكم مساكنكم، لعل الله يرحمكم. فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ۝٥٥﴾ [مريم: ٥٥].

٢ ـ التحسُّر والتوجع: نحو قول أحدهم:

يا راحلاً أخلي الديا ر وفضله لم يرحل

ونحو قول الخنساء في رثاء أخيها صخر:

يا عينُ جودي بالدموع الغِزَارِ وابكي على أروع حامي الذمار

٣ ـ الزجر والملامة: نحو قول أحدهم:

أيا ذا الذي قد كَفَّ كَفَّيْهِ عامداً عن الجود خوف الفقر ما ذاك سائغ
أتخشى سهام الفقر ما دمت منفقاً نصيبك والنعما عليك سوابغ[1]

وقول الآخر:

يا أيها القمر المباهي وجهه لا تَكْذِبَن فلست من أشكاله

وقول الآخر:

أفؤادي متى المتاب ألما تصح والشيب فوق رأسي ألَمَّا[2]

---

(١) سوابغ: جمع سابغة، النعمة: فائضة وزائدة عن الحاجة.
(٢) ألَمَّا الثانية بمعنى نزل.

٤ ـ الاستغاثة: نحو:

يا للرجال ذوي الألباب من نفر　　لا يبرح السفه المردي لهم دينا(١)

وقول الآخر:

يبكيك ناءٍ بَعِيدَ الدار مغترب　　يا للكهول وللشبان للعجب

٥ ـ التعجب: نحو قول امرىء القيس:

فيا لك من ليل كأن نجومه　　بكل مُغَار الفتْلِ شُدَّت بيذْبل

وقول خليل مطران من قصيدة المساء:

يا للغروب وما به من عَبْرَةٍ　　للمستهام وعِبْرَةٍ للرائي

٦ ـ الاختصاص: نحو: بعلمكم وجهدكم أيها الشباب تُبْنَى الأوطان وتعلى صروحها.

٧ ـ التذكُّر والتحيُّر: وقد كثر ذلك في نداء الأطلال والمنازل والمطايا كقوله:

لك يا منازل في القلوب منازل　　أقفرت أنت، وهن منك أواهل

وقول أبي العلاء:

يا ناق جِدِّي فقد أفنت أناتك بي　　صبري وعمري وأحلامي واتساعي

تمرين (١٢١)

بيِّن أدوات النداء في الأمثلة الآتية، وما جرى منها على أصل وضعه في نداء القريب أو البعيد:

١ ـ قال ابن الزيات يمدح الفضل بن سهل:

يا ناصر الدين إذ رثت حبائله　　لأنت أكرم من آواي ومن نصرا

٢ ـ وقال امرؤ القيس:

يا راكباً بلِّغ إخواننا　　مَنْ كان من كِنْدَة أو وائل

٣ ـ وقال رسول الله ﷺ مخاطباً أهله: «يا صفية عمة محمد، ويا فاطمة بنت

(١) المردي: المهلك. الدين: العادة.

محمد، اشْتَوْهِبَا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئاً».

٤ ـ وقول شاعر:

أعليُّ إن تك بالعراق نسيتني ... فأنا بمصر على هواك مقيم

٥ ـ وكتب أحدهم إلى بعض الرؤساء، وقد مُنِع من الدخول إلى بيته في يوم فرح:

أمولاي ما من طباعي الخروج ... ولكن تعلمته من خمول

أتيت لبابك أرجو الغنى ... فأخرجني الضرب عند الدخول

٦ ـ وكتب آخر إلى بعض الرؤساء يستهدي منه قطراً:

أيا عَلَم الدين الذي جود كفه ... براحته قد أخجل الغيث والبحرا

لئن أمحلت أرض الكنافة إنني ... لأرجو لها من سحب راحته القِطْرا[1]

٨ ـ وقال لسان الدين بن الخطيب يخاطب الشاعر أبا العباس أحمد بن عبد المنان وقد جاء وفي عينه خضرة:

يا أحمد المرتضى للعلا ... ومن حاز في صُنْعِهِ كُلَّ زَيْنِ

ترأيت في العلم روضاً نضيراً ... فلا تنكرن خُضْرةَ حَوْلَ عَيْنِ

٩ ـ وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة وهو بخراسان:

أسيف الهدى وقريع العرب ... إلاَمَ الجفاء وفيم الغضب[2]؟

١٠ ـ وأوصى حكيم ابنه فقال: «أي بُنَي أوصيك بما إن تمسك به فلن تشقى أبداً: مصاحبة الحليم، فإن المرء بقرينه، أَخَاكَ أَخَاكَ، فإنه الغوث إذا عضك الزمان بنابه...».

وأطرق هنيهة ثم قال: «يا بُنَي! الكبرَ فإنه قائد البغض، والطمعَ فإنه وثاق الذل، والمزاحَ والغضب، فإن المزاحَ هو السباب الأصغر، والغضبَ صدأ القلب».

١١ ـ ومما ينسب إلى الإمام علي ﷺ قوله:

إلهي أنت ذو فضل ومَنّ ... وإني ذو خطايا فاعْفُ عني

وظني فيك يا ربي جميل ... فَحَقِّق يا إلهي حسن ظني

---

(١) الكنافة: نوع من الحلوى. القطر: هو السكر مذاب بالماء ومغلياً مع إضافة قليل من الحامض إليه والعطاء.

(٢) القريع: الرئيس المقدم.

تمرين (١٢٢)

قد يخرج النداء عن معناه الأصلي من نداء القريب أو البعيد إلى معاني أخرى تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال، بيّن كيف ذلك في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال أحدهم:

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها ... فنادت عليه في الرياض الطيور[١]
ودولابها كادت تُعَدُّ ضلوعه ... لكثرة ما يبكي لها ويدور[٢]

٢ ـ وقال آخر:

يا ذا الهوى مَهْ لا تكن ... ممن تعبّده هواه
واعلم بأن المرء مرتهن ... بما كسبت يداه

٣ ـ وقال شاعر:

يا ابن أمي ويا حبيب نفسي ... أنت خلفتني لدهر شديد

٤ ـ وقال العنابي:

يا ليلة لي بحوارين ساهرة ... حتى تكلم في الصبح العصافير

٥ ـ وقال الحريري:

أيا من يدعي الفهم ... إلى كم يا أخا الوهم
تعبي الذنب والذم ... وتخطي الخطأ السجمْ

٦ ـ وقال آخر:

يا لقومي، ويا لأمثال قومي ... لأناس عُتُوُّهُمْ في ازدياد

٧ ـ وقال النابغة:

يا دار مَيَّةَ بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأبد

٨ ـ وقال آخر:

ألا يا قوم للعجب العجيب ... وللغفلات تعرض للأريب

٩ ـ وقال المتنبي:

يا من يعز علينا أن نفارقهم ... وجدنا أن كل شيء بعدكم عدم

---

(١) ضاع يضوع: انتشر. والنشر: الرائحة الطيبة.

(٢) الدولاب: ما يوضع في الروضة ليسقى بها، وتديره الدابة «الناعورة».

١٠ ـ وقال آخر:

يـا أخـي لا تـنـم والـتـزم ... واسـتـدم مَـدْحَ خَـيْـرِ الأنـام

١١ ـ وقال آخر:

أيا منازل سلمى أين سَلْمَاكِ ... من أجل هذا بكيناها وبكيناك

١٢ ـ وقال أبو العلاء:

فيا موت زر إن الحياة ذميمةٌ ... ويا نفس جِدّي إن دهرك هازلُ

١٣ ـ قال آخر:

يا لقومي فكيف أصبر عَمَّنْ ... لا ترى النفس طيب عَيْشٍ سواه

١٤ ـ وقال الشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ في الوزير مؤيد الدين بن العلقمي يمظه:

يا عصبة الإسلام نوحي والطمي ... حُزْناً على ما حلَّ بالمستعصم

دَسْتُ الوزارة كان قبل زمانه ... لابن الفراتِ فصار لابن العلقمي[١]

تمرين (١٢٣)

هات أربعة أمثلة للمنادى البعيد الْمُنَزَّل منزلة القريب، وبيّن السبب في خروجها عن أصل وضعها في كل مثال من هذه الأمثلة:

تمرين (١٢٤)

هات ثلاثة أمثلة للمنادى القريب المنزل منزلة البعيد لعلو مكانته.

هات ثلاثة أمثلة للمنادى القريب المنزل منزلة البعيد لانحطاط مكانته.

هات ثلاثة أمثلة للمنادى القريب المنزل منزلة البعيد لغفلته وشرود ذهنه.

تمرين (١٢٥)

مَثِّلْ للنداء المستعمل في الإغراء والتحسر والزجر والاستغاثة والتعجب والاختصاص.

---

(١) الدست: المجلس.

تمرين (١٢٦)

إشرح البيتين التاليين وبيّن الغرض من النداء:

قال الحريري:

يا خاطب الدنيا الدَّنيَّة إنها ... شَرَك الرَّدى وقرارة الأكدار

دَارٌ مَتَى ما أضحكت في يومها ... أبكت غداً، بُعْداً لها من دار

▢ القصر ▢

○ تعريفه:

القصر هو تخصيص شيء بشيء، أو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوصة.

○ طرقه:

طرق القصر كثيرة أشهرها أربعة:

١ ـ النفي والاستثناء وهي «لا وإلّا، وما وإلّا، وإن وإلّا، وهل». وهنا يكون المقصور عليه ما بعد أداة الاستثناء.

٢ ـ «إنما»، ويكون المقصور عليه مؤخراً وجوباً.

٣ ـ العطف بـ«لا، وبل، ولكن» فإن كان العطف بلا، كان المقصور عليه مقابلاً لما بعدها، وإن كان العطف بِبَلْ ولكن، كان المقصور عليه ما بعدهما.

٤ ـ تقديم ما حقه التأخير، وهنا يكون المقصور عليه هو المقدم.

○ طرفاه:

لكل قصر طرفان: مقصور، ومقصور عليه.

تقسيمه باعتبار طرفيه: ينقسم القصر باعتبار طرفيه قسمين:

١ ـ قصر صفة على موصوف.

٢ ـ قصر موصوف على صفة.

وإليك هذه الأمثلة توضح القصر وطرقه وطرفيه وتقسيمه باعتبار طرفيه:

١ ـ لا يندم إلا المذنب.

٢ ـ إنما العرب كرماء.

٣ ـ مداهنة اللئيم حمق لا كياسة.

٤ ـ لا أجيد ركوب الخيل لكن السباحة.

٥ ـ ما إنفاق المال في غير موضعه خير بل شر.

٦ ـ إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني   أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

فإذا تأملنا هذه الأمثلة رأينا أن كل مثال منها يفيد تخصيص أمر بآخر.

فالمثال الأول: يفيد تخصيص الندم بالمذنب، بمعنى أن الندم خاص بالمذنب لا يتعداه إلى سواه.

والمثال الثاني: يفيد تخصيص العرب للكرم، بمعنى أن العرب مقصورون على الكرم لا يفارقونه إلى غيره من الصفات.

والمثال الثالث: يفيد تخصيص مداهنة اللئيم بالحمق بمعنى أن مداهنة اللئيم وقف على الحمق لا يجاوزه إلى الكياسة.

والمثال الرابع: يفيد تخصيص صفة الإجادة بالسباحة، فالإجادة خاصة بالسباحة لا تتجاوزه إلى ركوب الخيل أو غيرها.

والمثال الخامس: يفيد تخصيص إنفاق المال في غير موضعه بالشر، فإنفاق المال في غير موضعه مقصور على الشر لا يتعداه إلى سواه.

والمثال السادس: يفيد تخصيص الشكوى بالله، فالشكوى مقصورة على الله لا تتجاوزه إلى سواه.

❀ ❀ ❀

وإذا أردت أن تعرف منشأ هذا التخصيص وسببه في الأمثلة السابقة، كفاك أن تمعن النظر فيها قليلاً.

خذ المثال الأول مثلاً واحذف منه أداتي النفي والاستثناء، تجد أن

التخصيص قد زال منه، وكأنه لم يكن. إذ النفي والاستثناء هما وسيلة التخصيص فيه، وبمثل هذه الطريقة نستطيع أن ندرك أن وسائل التخصيص في الأمثلة الباقية هي: إنما والعطف بلا أو بل أو لكن وتقديم ما حقه التأخير (تقديم الجار والمجرور على فعلهما في المثال السادس) ويسمي علماء المعاني التخصيص المستفاد في هذه المسائل «القصر» ويسمون الوسائل نفسها «طرق القصر».

❀ ❀ ❀

وإذا رجعنا إلى الأمثلة السابقة مرة أخرى وبحثنا فيها مثالاً مثالاً وجدنا في المثال الأول أن الندم مقصور، والمذنب مقصور عليه، وهما «طرفا القصر». ولما كان الندم صفة من الصفات والمذنب هو الموصوف بهذه الصفة كان القصر في هذا المثال قصر «صفة على موصوف»، بمعنى أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر.

وفي المثال الثاني قصر العرب على الكرم، فالعرب مقصورون والكرم مقصور عليهم، وهما «طرفا القصر»، ولما كان العرب موصوفين والكرم صفة لهم، كان القصر في هذا المثال قصر «موصوف على صفة»، بمعنى أن الموصوف لا يفارق صفة الكرم إلى أي صفة أخرى.

وفي المثال الثالث قصرت مداهنة اللئيم على الحمق، فمداهنة اللئيم موصوفة والحمق صفة لها، فكان القصر في هذا المثال قصر موصوف على صفة أيضاً، بمعنى أن الموصوف لا يتعدى صفة الحمق إلى صفة أخرى كالكياسة مثلاً.

وفي المثال الرابع قصرت الإجادة على السباحة، فالإجادة مقصورة والسباحة مقصور عليه، وهما «طرفا القصر». ولما كانت الإجادة صفة من الصفات، والشعر هو الموصوف كان القصر في هذا المثال قصر «صفة على موصوف»، بمعنى أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر وإن كان هو يتعداها إلى صفات أخرى.

وفي المثال الخامس قصر إنفاق المال في غير موضعه على الشر، فإنفاق

المال في غير موضعه مقصور والشر مقصور عليه، وهما «طرفا القصر»، ولما كان إنفاق المال في غير موضعه موصوفاً والشر صفة له كان القصر في هذا المثال قصر «موصوف على صفة».

وفي المثال السادس قصرت الشكوى على لفظ الجلالة «الله»، فالشكوى مقصورة ولفظ الجلالة مقصور عليه، وهما «طرفا القصر». ولما كانت الشكوى صفة من الصفات ولفظ الجلالة هو الموصوف كان القصر في المثال قصر «صفة على موصوف» بمعنى أن هذه الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر، وإن كان هو يتعداها إلى صفات أخرى.

تمرين (١٢٧)

بين نوع القصر باعتبار طرفيه وطرقه وعين كل من المقصور والمقصور عليه فيما يأتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

٣ ـ وقال شوقي:

بالعلم والمال يبني الناس مجدهم ... لم يُبْنَ مجد على جهل وإقلال

٤ ـ وقال آخر:

إن الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد الناس

٥ ـ وقال آخر:

وإنما المرء حديث بعده ... فكن حديثاً حسناً لمن وعى

٦ ـ وقال شاعر:

عمر الفتى ذكره لا طول مدته ... وموته خزيه لا يَوْمُهُ الداني

٧ ـ وقال آخر:

ما افترينا في مدحه بل وصفنا ... بعض أخلاقه وذلك يكفي

٨ ـ وقال أبو الطيب المتنبي في مدح أبي شجاع فاتك:

لا يدرك المجد إلا سيد فطن ... لما يشق على السادات فعال

لا وارث جهلت يمناه ما وهبت ... ولا كسوب بغير السيف سأال

٩ ـ وقال آخر:

نائم أنت على صدر الصخور ... ولقد كنت على الزهر تنام

١٠ ـ عند البلاء يعرف الأبطال.

١١ ـ وقال شاعر:

وحَيَاتُهُ أعطى الشهيد لقومه ... أترى أجلّ من الحياة عطاء؟

١٢ ـ وقال آخر:

وما بلد الإنسان غير الموافق ... ولا أهله الأدنون غير الأصادق

تمرين (١٢٨)

١ ـ هات جملة تفيد إخلاص محمد وخيانة سالم.

٢ ـ رُدَّ بطريق القصر «بإنما» على من ظن أن المعالي تدرك بالراحة والأماني.

٣ ـ اجعل الجملة الآتية دالة على قصر الصفة على الموصوف بطرق القصر الأربع، والجملة هي: «يحمد الصادق».

تمرين (١٢٩)

اجعل الجمل الآتية مفيدة للقصر ثم بيّن نوع القصر باعتبار طرفيه وطرقه:

١ ـ العلم نور.

٢ ـ سر النجاح في المحافظة على الوقت.

٣ ـ الهلاك في التهور.

٤ ـ تُشَادُ الأوطان وتعلى صروحها بأمثالك.

٥ ـ رحابة الصدر قوة في الشخصية.

٦ ـ تُنسى الضغان وتُمحى بالعفو والصفح.

٧ ـ أهانك من دَلَّكَ على التسول.

٨ ـ صبرت على أذى الجاهل.

٩ ـ يكرم المرء عند الامتحان أو يهان.

تمرين (١٣٠)

١ ـ حول طرق القصر الآتية إلى النفي والاستثناء: «بالعلم والمال يبني الناس ملكهم».

٢ ـ حول القصر في هذه الجملة إلى قصر بإنما: «وما الخوف إلا ما تَخَوَّفَهُ الفتى».

٣ ـ حول القصر في هذه الجملة إلى قصر بحروف العطف: (لا، وبل، ولكن): «إنما ينال المجد المجتهد».

٤ ـ حول القصر في هذه الجملة إلى قصر بتقديم ما أحقه التأخير: «يجازى المرء بما قدمت يداه».

▢ تقسيم القصر إلى حقيقي وإضافي ▢

ينقسم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى: حقيقي وإضافي.

أ ـ حقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة والواقع بألا يتعداه إلى غيره أصلاً.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وقال أحدهم: لا يألف العلم إلا ذكي، ولا يجفوه إلا غبي.

فإذا تأملنا المثال الأول وجدنا القصر فيه من باب قصر الصفة على الموصوف، وإذا تدبرنا الصفة فيه وجدنا أنها لا تتعدى موصوفها إلى موصوف آخر مطلقاً. فخشية الله تعالى صفة لا تتجاوز العلماء إلى غيرهم من سائر الناس في الحقيقة والواقع، وطريق القصر هنا «إنما».

وإذا تأملنا المثال الثاني وجدناه يشتمل على أسلوبين من أساليب القصر: الأول: «لا يألف العلم إلا ذكي» والثاني: «ولا يجفوه إلا غبي». وإن القصر في كل منهما قصر صفة على موصوف.

وإذا نظرنا إلى الصفة في كل قصر رأينا أنها لا تفارق موصوفها إلى موصوف آخر البتة فـ«إلف العلم» صفة لا تتعدى الذكي إلى سواه، و«جفاء العلم» صفة لا تتجاوز موصوفها وهو الغبي، إلى موصوف آخر مطلقاً.

وطريقا القصر في هذا المثال هما النفي والاستفهام «لا وإلا» ومن مناقشة المثال الأول والثاني يلاحظ أن القصر فيهما كان قصر صفة على موصوف، وهذا يعني أن القصر الحقيقي يكون في قصر الصفة على الموصوف، ولا يكاد يوجد في قصر الموصوف على الصفة.

ب ـ إضافي: وهو ما كان تخصيص فيه بحسب الإضافة إلى شيء آخر معين بالنسبة إلى جميع ما عداه نحو قولنا: إنما يسود المرء قومه بالإحسان إليهم.

وقول الشاعر:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم   لم يُبْنَ ملك على جهل وإقلال

فإذا نظرنا إلى المثال الأول وجدناه من باب قصر الصفة على الموصوف، وإذا تأملنا المقصور فيه وجدناه مختصاً بالمقصور عليه بالإضافة، أي النسبة إلى شيء معين لا إلى جميع ما عداه؛ لأن الغرض قصر السيادة على الإحسان إلى القوم بالإضافة إلى الإساءة، فلا ينافي هذا أن تكون سيادة القوم بالإحسان إليهم صفات أخرى كالعلم والشجاعة والمال...

وإذا تأملنا المثال الثاني وجدنا القصر فيه من باب قصر الموصوف على الصفة. فالمقصور فيه مختص بالمقصور عليه بالإضافة، أي النسبة إلى شيء معين لا إلى جميع ما عداه. فالمقصود هنا هو قصر الموصوف: العلم والمال على بناء الملك بالإضافة إلى الهدم، ولا ينافي هذا أن يكون العلم والمال لأجل تحقيق أمور أخرى كالرفعة، والرفاهية، والهيمنة...

فالقصر في هذين المثالين يسمى «قصراً إضافياً»، وكذلك كل قصر يكون التخصيص فيه بالإضافة إلى شيء آخر، وذلك بطبيعة الحال في مقابل «القصر الحقيقي» الذي يختص فيه المقصور بالمقصور عليه اختصاصاً ينظر فيه إلى الحقيقة والواقع، بمعنى أنه لا يتعداه إلى غيره أصلاً.

وقد لاحظنا من مثالي القصر الإضافي أنه يأتي في كل قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة. وهذا كما ذكرنا من قبل بعكس القصر الحقيقي الذي يقع في قصر الصفة على الموصوف ولا يكاد يوجد في قصر الموصوف على الصفة.

كذلك لاحظنا أن «طريقي القصر» في مثالي القصر الإضافي هما: «إنما» في المثال الأول، وتقديم ما حقه التأخير «الجار والمجرور» في المثال الثاني.

▢ تقسيم القصر باعتبار حال المخاطب ▢

وهذا القسم خاص بالقصر الإضافي فقط، وبيان ذلك أن القصر الإضافي ينقسم باعتبار حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقصر قلب، وقصر تعيين.

ولبيان هذه الأقسام الثلاثة إليك هذان المثالين وعلى ضوء شرحهما وإيضاحهما تتجلى لنا كل الحقائق المتصلة بكل قسم منها:

«الذكي محمد لا عمر»، «ما علي إلا شاعر»، فإذا كان المخاطب يعتقد اشتراك محمد وعمر في صفة الذكاء كان القصر «قصر إفراد».

وإذا كان المخاطب يعتقد عكس ما تقول كان القصر «قصر قلب» وإذا كان متردداً لا يدري أيهما الذكي كان القصر «قصر تعيين»

❀ ❀ ❀

هذا عن المثال الأول، أما إذا قلت في قصر الموصوف عن الصفة في المثال الثاني «ما علي إلا شاعر» وكان المخاطب يعتقد اتصاف علي بالشعر والخطابة كان القصر «قصر إفراد».

وإذا كان المخاطب يعتقد اتصاف علي بالخطابة لا الشعر، كان القصر «قصر قلب».

وإذا كان المخاطب متردداً لا يدري أي الصفتين هي صفة علي، كان القصر «قصر تعيين».

وعلى ضوء ما تقدم تتجلى لنا حقيقة أخرى هي: أيّ القصر أبلغ في الجملتين التاليتين؟

إنما يجيد علي نظم الأشعار.

إنما علي يجيد نظم الأشعار.

فالجملة الأولى تفيد أن علياً وحده هو الذي يجيد نظم الأشعار، ولا يشاركه غيره في هذه الصفة، وهذا لا يمنع أن يتصف علي بالصفات الأخرى كإجادته للخطابة والرواية والمسرحية مثلاً.

أما الجملة الثانية فتفيد أن علياً يجيد نظم الأشعار وحده، ولا يجيد غيره من فنون الأدب، وهذا لا يمنع أن يكون هناك من يشارك علياً في إجادة نظم الأشعار.

من هذا التحليل يظهر لنا أن القصر في الجملة الأولى أبلغ منه في الجملة الثانية وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن علياً متفرد بإجادة نظم الأشعار ولا يشاركه غيره في هذه الصفة.

الناحية الثانية: أن علياً يتصف بصفات أخرى غير نظم الأشعار.

تمرين (١٣٢)

بيّن لماذا كان القصر في المثالين التاليين قصراً حقيقياً:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨].

٢ ـ وقال شاعر:

وما قلت إلّا الحق فيك ولم تزل　　　على منهج من سنة المجد لَاحِب(١)

تمرين (١٣٣)

بيّن لماذا كان القصر في المثالين التاليين قصراً إضافياً؟

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾؟ [آل عمران: ١٤٤].

٢ ـ وقال المتنبي:

بسيف الدولة اتسقت أمورٌ　　　رأيناها مبددة النظام

---

(١) المنهج: الطريق الواضح، واللاحب: الطريق الواضح أيضاً.

تمرين (١٣٤)

ميّز القصر الحقيقي من القصر الإضافي في الأمثلة التالية، وبيّن طرقه، وعيّن كلاً من المقصور والمقصور عليه:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

٣ ـ وقال شاعر:

ليس عار بأن يقال فقير ... إنما العار أن يقال بخيل

٤ ـ وقال شوقي:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٥ ـ وقال أبو الطيب:

ليس التعجّب من مواهب ماله ... بل من سلامتها إلى أوقاتها[(١)]

٦ ـ وقال:

وإنما نحن في جيلٍ سواسيةٍ ... شرٌّ على الحرِّ من سقم على بدر[(٢)]

٧ ـ برؤية الأهل يدوم الهناء.

٨ ـ لا معبود بحق إلا الله.

٩ ـ عن اللئيم أعرضت.

١٠ ـ إنما غرّك من مدحك بما ليس فيك.

تمرين (١٣٥)

بيّن نوع القصر باعتبار حال المخاطب في المثالين التاليين:

١ ـ الشجاع حسين لا عبد الحميد.

٢ ـ ما عَبْدُ الخَالِق إلّا سبّاح.

---

(١) يقول لا تتعجب من كثرة هباته، وإنما تتعجب كيف بقيت أمواله وسلمت من التفريق إلى أوقات بذلها، إذ ليس من عاداته أن يمسك شيئاً.

(٢) الجيل: الصنف من الناس. وسواسية بمعنى متساوين. وشر: اسم تفضيل بمعنى أشر.

تمرين (١٣٦)

أي الجملتين أبلغ في مدح عمر؟ وضح السبب:

١ ـ إنما يتقن الرماية عمر.

٢ ـ إنما عمر يتقن الرماية.

تمرين (١٣٧)

بَيِّن نوع القصر باعتبار طرفيه وباعتبار الحقيقة والواقع، وباعتبار حال المخاطب، وعيّن طريقه وكذلك المقصور والمقصور عليه في الأمثلة التالية:

١ ـ إنما يعصم من الذنوب الأنبياء.

٢ ـ قال شاعر:

قد علمت سلمى وجاراتها ... ما قَطَّرَ الفارس إلا أنا[١]

٣ ـ وقال آخر:

إن الجديدين في طول اختلافهما ... لا يفسدان ولكن يفسد النَّاسُ

٤ ـ وقال آخر:

بك اجتمع الملك المُبدَّد شمله ... وضمت قواصي منه بعد قواص[٢]

(١) قَطّر الفارس: ألقاه على قطريه، أي جانبيه.

(٢) المبدد: المفرق، والقواصي جمع قاصية: الناحية البعيدة.

الوصل والفصل

الوصل والفصل عند علماء المعاني هو العلم بمواضع العطف والاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند عدم الحاجة إليها.

و«الوصل» يعني عطف جملة على أخرى «بالواو» فقط من دون سائر حروف العطف الأخرى كقول أحدهم:

أُخْطُ مع الدَّهر إذا ما خطا   واجْرِ مع الدهر كما يجري

ويقصد علماء المعاني «بالفصل» ترك هذا العطف والاستئناف بين الجملتين كقول الآخر:

لا تدعه إن كنت تنصف نائباً   هو في الحقيقة نائم لا نائب

هذا ولكل من الفصل والوصل مواضع تدعو إليها الحاجة ويقتضيها المقام، وسنبدأ لك بمواضع الوصل.

❐ مواضع الوصل ❐

يجب الوصل بين الجملتين في المواضع التالية:

١ ـ إذا كانت الجملة الأولى لها موضع إعراب، فتعطف الجملة الثانية عليها بالواو للتشريك بينهما في الإعراب نحو قول الشاعر:

أنت أيقظتني وأطلعت عيني   على عالم من السر أخفى

فإذا تأملنا جملتي هذا البيت «أيقظتني» «وأطلعت عيني على عالم من السر أخفى» تجد أن للجملة الأولى موضعاً من الإعراب لأنها خبر للمبتدأ قبلها، وأن الشاعر أراد إشراك الثانية لها في هذا الحكم الإعرابي، أي أراد أن تكون خبراً ثانياً للمبتدأ. ولهذا تعين عطف الثانية على الأولى بواو العطف.

٢ ـ إذا كانت الجملتان خبريتين لفظاً ومعنى نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [النحل: ١٠٤].

٣ ـ إذا كانت الجملتان إنشائيتين لفظاً ومعنى مثل قوله تعالى: ﴿فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

٤ ـ إذا كان ترك العطف بين الجملتين يوهم إرادة خلاف المقصود، وتتمثل شواهد هذا النوع من الفصل في الإجابة بالنفي على سؤال أداته «هل» أو «همزة التصديق» مع التعقيب على جملة الجواب المنفي بجملة دعائية كقولك: «لا وعافاه الله تعالى» جواباً لمن سألك «هل عوفي أخوك من مرضه؟».

فـ«لا» في هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية تقديرها في المثال «لم يعافى ولم تتحسن صحته» وهي جملة دعائية إنشائية كما ترى.

وقد كان الأمر يقتضي هنا الفصل بين الجملتين لاختلافهما خبراً وإنشاء، فيقال: «لا عافاه الله تعالى»، ولكن الفصل على هذه الصورة يجعل السامع يتوهم أنك تدعو عليه في حين أنك تقصد الدعاء له. ولذلك وجب العدول هنا عن الفصل إلى الوصل، وكذلك الحال في كل جملتين اختلفتا خبراً وإنشاء، وكان العطف بينهما يوهم خلاف المقصود

▫ مواضع الفصل ▫

يجب الفصل في المواضع التالية:

١ ـ أن يكون بين الجملتين كمال الاتصال أي أن يكون بينهما اتحاد تام وامتزاج معنوي حتى كأنهما أُفرغا في قالب واحد، وذلك لا يتم إلا إذا كانت الجملة الثانية:

أ ـ بياناً للجملة الأولى وذلك بأن تنزّل منها منزلة عطف البيان. والداعي إليه خفاء الأولى والمقام يستدعي إزالة هذا الخفاء نحو قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ...﴾ [البقرة: ٤٩].

فإذا تدبرنا جملتي الآية الكريمة وجدنا بينهما اتحاداً تاماً في المعنى، فالجملة الثانية جاءت تفسيراً وتبييناً وإزالة نوع الخفاء في نوع العذاب.

ومن أمثلة الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية بياناً للجملة الأولى قول الشاعر:

كفى زاجراً للمرء أيام دهره ... تروح له بالواعظات وتغتدى

فإذا تأملنا جملتي البيت، وجدنا بينهما اتحاداً تاماً في المعنى، فالجملة الثانية وهي «تروح له بالواعظات وتغتدي» جاءت في الواقع لإيضاح إبهام جملة «كفى زاجراً للمرء أيام دهره» فهي بيان لها.

ب ـ توكيداً للجملة الأولى سواء أكان التأكيد لفظياً نحو قوله تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ⑰﴾ [الطارق: ١٧]. أم تأكيداً معنوياً نحو قوله تعالى: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]. فإنه إذا كان مَلَكاً لم يكن بشراً، فإثبات كونه ملكاً تأكيد وتحقيق لنفي كونه بشراً.

ومن أمثلة هذا النوع من الفصل الذي تكون فيه الجملة الثانية توكيد للجملة الأولى قول الشاعر:

يهوى الثناء مُبَرِّز ومقصر ... حُبُّ الثناء طبيعة الإنسان

فإذا تدبرنا جملتي البيت وجدنا بينهما اتحاداً تاماً في المعنى، فالجملة الثانية وهي «حُبّ الثناء طبيعة الإنسان» ما جاءت إلّا توكيداً للأولى وهي جملة «يهوى الثناء مبرز ومقصر» فإن معنى الجملتين واحد.

جـ ـ بدلاً من الجملة الأولى والمقتضى له كون الثانية أوْفَى بالمطلوب من الأولى، والمقام يستدعي عناية بشأن المراد سواء أكان بدل كل نحو: ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ⑧١ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا﴾ [المؤمنون: ٨١، ٨٢] أم بدل بعض نحو قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ⑬٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ⑬٣ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ⑬٤﴾ [الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٤] فالجملة الثانية هنا وهي ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ⑬٣ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ⑬٤﴾ [الأنعام: ١٣٣، ١٣٤] بدل بعض من كل من الأولى، إذ الأنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون.

أم بدل اشتمال نحو قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ

﴿أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾ [يس: ٢١]. فقد فصلت الجملة الأولى عن الجملة الثانية ﴿اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ أبدلت من الجملة الثانية بدل اشتمال لأنها أبين في المراد.

فالجملة الثانية في كل مثال من الأمثلة السابقة مفصولة عن الجملة الأولى، ولا سبب لهذا الفصل سوى ما بينهما من تمام الاتحاد وكمال التأليف. ومن أجل ذلك يقال أن بين الجملتين «كمال الاتصال».

٢ ـ عند كمال الانقطاع وذلك بأن يكون بين الجملتين «تباين تام».

أ ـ كاختلافهما في الخبرية والإنشائية كقوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

فالجملة الأولى هنا إنشائية والثانية خبرية، فبينهما كمال الانقطاع، ولهذا تَعَيَّنَ الفصل بينهما لاختلافهما خبراً وإنشاءً.

ونحو قول الشاعر:

لست مستمطراً لقبرك غيثاً   كيف يظمأ وقد تضمن بحرا؟

فالجملة الأولى هنا خبرية والثانية إنشائية، فبينهما تمام التباين ومنتهى الابتعاد، ولهذا تعيّن الفصل بينهما لاختلافهما خبراً وإنشاء.

ب ـ ألّا تكون هناك مناسبة بين الجملتين في المعنى ولا ارتباط بين المسند إليه فيهما ولا بين المسند كقولك: «الطقس بارد، لا شيء أثقل على النفس من الكذب»، فبيّن الجملتين كما ترى تباين تام، إذ لا مناسبة بينهما في المعنى، وكقول أبي تمام:

لا والذي هو عالم أن النّوى   صبر، وأن أبا الحسين كريم

فبيّن الجملة الثانية هنا والجملة الأولى تمام التباين ومنتهى الابتعاد؛ لأنه لا مناسبة بينهما مطلقاً، إذ لا رابطة في المعنى بين قوله: «لا والذي هو عالم أن النوى صبر» وقوله: «وأن أبا الحسين كريم».

٣ ـ عند شبه كمال الاتصال، وهو أن تكون الجملة الثانية بمنزلة جواب لسؤال مقدر ناتج عن الجملة الأولى نحو قول أبي الطيب:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

فقد فصل بين شطري البيت؛ لأن بينهما شبه كمال الاتصال، إذ الشطر الثاني جواب عن سؤال نشأ من الشطر الأول، فكأن أبا الطيب بعد أن نطق بالشطر الأول توهم أن سائلاً سأله: كيف يسهل الهوان على من يهن؟ فكان جوابه: «ما لجرح بميت إيلام».

ونحو قول الشاعر:

يرى البخيل سبيل المال واحدة إن الكريم يرى في ماله سبيلا

فقد فصل الشاعر بين شطري البيت؛ لأن بينهما شبه كمال الاتصال إذ الشطر الثاني جواب عن سؤال نشأ من الشطر الأول، فكأنه حين قال: «يرى البخيل سبيل المال واحدة» قيل له: «فماذا يرى الكريم ماله»؟ فأجاب: «إن الكريم يرى في ماله سبيل».

تمرين (١٣٨)

بيّن مواضع الوصل فيما يأتي ووضّح السبب في كل مثال:

١ ـ قال شاعر:

وما زلت منذ كنت تولي الجميل وتحمي الحريم وترعى النسب

٢ ـ وقال آخر:

اِلبَسْ أخاك على عيوبه واستُرْ وغَطِّ على ذنوبه

٣ ـ لا وكفاك الله شرها.

٤ ـ وقال علي ﷺ:

بلوت صروف الدهر ستين حجةً وجَرَّبتُ حاليْه من العسر واليسر
فلم أرَ بعدَ الدِّين خيراً من الغنى ولم أرَ بعد الكفر شرًا من الفقر

٥ ـ وقال آخر:

الموت حقٌّ والدار فانيةٌ وكُلُّ نفسٍ تُجْزى بما كسَبَتْ

٦ ـ وقال شاعر:

لا يخدَعَنْك من عَدُوٍّ دَمْعُه وارْحَمْ شبابك من عدوٍّ تُرْحَمِ

٧ ـ وقال البحتري:

فَقِفْ مُسْعِداً فيهنَّ إن كُنْتَ عاذِراً   وسِرْ مُبعِداً عنْهُنَّ إن كُنْتَ عاذِلاً

٨ ـ وقال شاعر:

وإن خانَ الصّديقُ فلا تخنه   ودُمْ بالحفظ منه وبالذِّمامِ
ولا تحملْ على الإخوان ضغْناً   وخُذْ بالصَّفْحِ تنجُ من الأثامِ

٩ ـ وقال أبو العلاء المعري:

وحبُّ العيش أعْبَدَ كُلَّ حُرٍّ   وعلَّم ساغِباً أكل المرار(١)

١٠ ـ وقال آخر:

وأبطأ عنّي والمنايا سريعة   وللموت ظفر قد أطَلَّ وناب

تمرين (١٣٩)

بيِّن مواضع الفصل فيما يأتي، ووضّح السبب في كل مثال:

١ ـ قال شاعر:

حُكْمُ المنيّة في الباري جاري   ما هذه الدنيا بدار قرار

٢ ـ وقال آخر:

وإنما المرء بأصغريه   كلُّ امرىء رهن بما لديه

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

٥ ـ وقال أبو الطيب:

ومن الخير بطء سَيْبك عنّي   أسرع السُّحب في المسير الجهام(٢)

٦ ـ وقال آخر:

لا تأمننَّ عدواً لَانَ جانبه   خشونة الصل عقبى ذلك اللِّين

٧ ـ يدّعي صديقي أني أتمنى له الشر أراه مخطئاً فيما يَدَّعِي.

٨ ـ العلم نور، إن السماء لا تمطر ذهباً.

٩ ـ وقال شاعر:

قالت بكيت فما نراك كعهدنا   ليت العهود تجددت بعد البِلى

---

(١) الساغب: الجائع، والمرار: شجر مر.

(٢) الشيب: العطاء، والجهام: السحاب لا ماء فيه.

تمرين (١٤٠)

بيّن مواضع الوصل والفصل فيما يأتي ووضّح السبب في كل مثال:

١ ـ قال شاعر:

اجْهَدْ ولا تكسلْ ولا تَكُ غافِلاً ... فندامة العُقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ

٢ ـ وقال آخر:

من أغفل الشعر لم تعرف مناقبه ... لا يجتني ثمر من غير أغصان

وقال آخر:

بكُرا صاحبي قبل الهجير ... إنَّ ذاك النجاح في التبكير

٣ ـ وقال آخر:

ولِلسِّرِّ مني موضع لا يناله ... نديم ولا يفضي إليه شراب[1]

٤ ـ وقال آخر:

وما كل فعّال يُجَازَى بفعله ... ولا كل قوّال لديَّ يُجَابُ

٥ ـ وقال المتنبي:

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه ... يا جنتي لرأيت فيه جهنما

٦ ـ وقال الإمام علي ﷺ:

لا تجعلن المال كسبك مفرداً ... وتُقى إلٰهك فاجعلن ما تكسب

٧ ـ وقال آخر:

نفسي له نفسي الفداء لنفسه ... لكن بعض المالكين عفيف

٨ ـ وقال السموأل بن عادياء:

وما مات منا سَيِّدٌ في فراشه ... ولا طل منا حيث كان قتيل

٩ ـ وقال آخر:

أنشأ يُمَزّق أثوابي يُؤَدِّبني ... أَبَعْدَ شيبي يبتغي الأدبا؟

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

١١ ـ يزعم بعض العلماء أن العلم يستطيع اكتشاف كل شيء، لم يَصْدُقُوا فالعلم محدود نسبي.

---

(١) النديم: الجليس على الشراب. ويفضي: ينتهي.

١٢ ـ وقال شاعر:

كلهم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحة

١٣ ـ لا ولَطَفَ الله بك.

١٤ ـ لا تنكري عطل الكريم من الغنى ... السيل حرب للمكان العالي

١٥ ـ وما أُنْسُ دارٍ ليس فيها مؤانس؟ ... وما قُرْبُ قوم ليس فيهم مقارب

١٦ ـ وإذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة ... ولا تك بالترداد للرأي مفسدا

الإيجاز والإطناب والمساواة

▢ الإيجـــــاز ▢

○ تعريفه:

الإيجاز هو جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح، أو هو التعبير عن المقصود بلفظ أقل من المتعارف[1] وافٍ بالمراد لفائدة[2].

○ ضروبه:

والإيجاز عند البلاغيين ضربان:

١ ـ إيجاز قصر: هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ الدالة عليها بلا حذف. وقيل أيضاً: هو الذي لا يمكن التعبير عن معانيه بألفاظ أخرى مثلها وفي عدتها. ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فهاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء.

ولذا روي أن ابن عمر ﷺ قرأها فقال: من بقي له شيئاً فليطلبه. ونحو قوله تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤] جمع أنواع التجارات، وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد والإحصاء.

كما للسنّة النبوية من إيجاز الحظ الأوفر يرشد إلى ذلك قوله ﷺ: «**أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً**» فمن ذلك قوله ﷺ للأنصار: «**إنكم لتكثرون عند الفزع، وتقلون عند الطمع**». وقوله ﷺ: «**إنّ من البيان لسحراً**».

---

(١) أي متعارف أوساط الناس على ما سيأتي في المساواة.

(٢) والفائدة كون المأتي به هو المطابق للحال ولا مقتضى للعدول فيه.

ومما ورد من إيجاز القصر في كلام البلغاء والأدباء قول الإمام علي ﷺ: «ثمرة التفريط الندامة» وقول الآخر: «اسْتَحِ من الله بقدر قربه منك، وخفْه بقدر قدرته عليك». فمدار الإيجاز في هذه الأقوال على اتساع الألفاظ القليلة المعاني المتكاثرة، لا على حذف بعض كلمات أو جمل.

ومن إيجاز القصر قول بعض الأعراب: «اللهم هب لي حقك وارضِ عني خلقك!» فلما سمعه علي ﷺ قال: هذا هو البلاغة! وقيل لأعرابي يسوق مالاً كثيراً: لمن هذا المال؟ فقال: لله في يدي! فمعاني هذا الكلام ـ على حد قول أبي هلال العسكري أحد علماء البلاغة ـ أكثر من ألفاظه، وإذا أردت أن تعرف صحة ذلك فَحُلَّها وابنها بناء آخر، فإنك تجدها تجيء في أضعاف هذه الألفاظ.

٢ ـ إيجاز حذف: وهو ما يحذف منه كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تُعيِّن المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه.

وإذا تتبعنا المحذوف في هذا النوع من أساليب الإيجاز فإننا نجده يأتي على وجوه مختلفة منها:

١ ـ ما يكون المحذوف فيه حرفاً: نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [يوسف: ٨٥] فالمراد «تالله لا تفتأ» أي لا تزال، فحذفت «لا» من الكلام وهي المرادة.

٢ ـ ما يكون المحذوف مضافاً وهو كثير الدوران في الكلام كقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨] أي: جاهدوا في سبيل الله. وقوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: ٩٦] أي: من أثر حافر فرس الرسول.

٣ ـ ما يكون المحذوف مضافاً إليه وهو قليل كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] أي من قبل ذلك ومن بعده.

٤ ـ ما يكون المحذوف موصوفاً أي حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه وهو فاشٍ كثير الاستعمال نحو قوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ

أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [ص: ٥٢] أي حور قاصرات الطرف، وأكثر ما يكون ذلك في باب النداء نحو: يا أيها الكريم، وتقديره: يا أيها الرجل الكريم، وفي باب المصدر نحو قوله تعالى: ﴿وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان: ٧١] تقديره: وعمل عملاً صالحاً.

٥ ـ ما يكون المحذوف صفة أي حذف الصفة وإقامة الموصوف مقامها وهو نادر من ذلك ما حكاه سيبويه من نحو قولهم: سير عليه ليل. يريدون ليل طويل. ونحو قول الحماسي:

كُلُّ امرىء ستئيم منـه العِرْسُ أو منها يئيم(١)

تقديره: كُلِّ امرىء متزوج لأن المعنى لا يصح إلا به.

ومنه أن يتقدم مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً: فأنت تعني: إنه كان رجلاً فاضلاً طاهراً عفيفاً كريماً...

٦ ـ ما يكون المحذوف القسم أو جوابه: فأما حذف القسم فنحو قولك: «لأجتهدن» أي: والله لأجتهدن، أو غير ذلك من الأقسام المحلوف بها.

وأما حذف جواب القسم فنحو قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴿٥﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ١ ـ ٧]. فجواب القسم ههنا محذوف تقديره: «لتُبْعَثُنَّ أو لتُحْشَرُنَّ». ويدل على ذلك ما أتى به من ذكر القيامة في قوله: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾. وكذلك إلى آخر السورة.

٧ ـ ما يكون المحذوف «لو» وشرطها وجوابها.

فأما حذف «لو» وشرطها معاً فكقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨] تقديره: إذ لو فعلت ذلك لارتاب المبطلون.

---

(١) آمت المرأة من زوجها تئيم أيماً: إذا مات عنها زوجها أو قتل وأقامت لا تتزوج. وكذلك آم الرجل من زوجته يئيم: إذا ماتت عنه زوجته ولم يتزوج بعدها.

وأما حذف جواب «لو» فكثير شائع نحو قولنا: «لوزُرْتَ البادية» معناه: لرأيت جمالها الفتان أو ما جرى هذا المجرى.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١] أي: لكان هذا القرآن. فحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب بأن الشرط المذكور لا بد له من جواب.

* * *

هذا عن القسم الأول من أقسام إيجاز الحذف، وهو حذف مفرد أو كلمة، أما القسم الثاني وهو حذف جملة أو أكثر، فمن أمثلته قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٧٣] فالمحذوف هنا جمل عدة، ونظم الكلام من غير حذف أن يقال: «فضربوه ببعضها كما أمروا فحيي، فقلنا كذلك يحيي الله الموتى».

ومن أمثلة الإيجاز بحذف أكثر من جملة أيضاً قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام وقصة الهدهد في إرساله بالكتاب إلى بلقيس: ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [النمل: ٢٧ ـ ٢٩].

فالمحذوف هنا أكثر من جملة، ونظم الكلام من غير حذف أن يقال: «فأخذ الهدهد الكتاب وذهب به إلى بلقيس فلما ألقاه إليها وقرأته قالت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾.

والمحذوف إذا كان كذلك دَلَّ عليه الكلام دلالة ظاهرة؛ لأنه إذا ثبتت حاشيتا الكلام وحذف وسطه ظهر المحذوف لدلالة الحاشيتين عليه.

تمرين (١٤١)

في الأمثلة الآتية إيجاز قصر بينه ووضح السبب:

١ ـ قال أبو الدرداء ﷺ: إحذر أن تظلم من لا ناصر له إلا الله.

٢ ـ وقيل لآخر: مَنْ شر الناس؟ قال: من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً.

٣ ـ وقال أحد الحكماء: لا يَغلبنَّ جهل غيرك بك عِلْمك بنفسك.

تمرين (١٤٢)

في الأمثلة الآتية إيجاز حذف بيّنه وَوَضّح السبب:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤].

٢ ـ وقال شاعر:

ورأيت زوجك في الوغى ... متقلداً سيفاً ورمحا

٣ ـ وتقول العرب: علفتها تبناً وماءً بارداً.

تمرين (١٤٣)

فيما يأتي إيجازات حَذف وأخرى إيجازات قصر بيّنها:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات: ٣١].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر: ٣ ـ ٥].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٢].

٥ ـ وقال رسول الله ﷺ: «إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

٦ ـ وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩].

٧ ـ وقال امرؤ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

٨ ـ كتب أبو جعفر المنصور إلى عمرو بن عبيد: أبا عثمان أعِني بأصحابك، فإنهم أهل العدل، وأصحاب الصدق، والمؤثرون له. فوقّع في كتابه: ارفع عَلَمَ الحق يتبعك أهله.

٩ ـ ووقّع أحدهم في قصة رجل يسعى إليه بباطل: باللسان احفظ رأسك.

١٠ ـ وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ﴾ [هود: ٥٧].

❀ ❀ ❀

❏ الإطناب ❏

○ **تعريفه:**

الإطناب هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، فخرج بذكر الفائدة التطويل والحشو.

والفرق بين التطويل والحشو أن الزائد إن كان غير متعين كان تطويلاً، وإن كان متعيناً كان حشواً، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة.

فالأول نحو قول عدي بن زيد العادي:

وقددت الأديم لِراهشيه ... وألفى قولها كذباً ومَيْناً[1]

فإن الكذب والمين واحد.

والثاني ضربان:

١ ـ ما يفسد به المعنى كقول أبي الطيب:

ولا فضل فيها للشجاعة والنّدى ... وصبر الفَتَى لولا لقاء شعوبِ[2]

فإنّ لفظ «الندى» فيه حشو يفسد المعنى؛ لأن المعنى أنه لا فضل في الدنيا للشجاعة والصبر والندى لولا الموت. وهذا الحكم صحيح في الشجاعة دون النَّدَى؛ لأن الشجاع لو علم أنه يخلد في الدنيا لم يَخْشَ الهلاك في الإقدام، فلم يكن لشجاعته فضل، بخلاف الباذِل ماله: فإنه إذا علم أنه يموت هان عليه بذْلُهُ، ولهذا يقول إذا عوتب فيه: كيف لا أبذل ما لا أبقى له؟ إنِّي أثِقُ بالتَّمتُّع بهذا المال؟

٢ ـ ما لا يفسد المعنى به كقول أبي العيال الخفاجي:

ذكرتُ أخي فعاودني ... صداع الرأسِ والوصب[3]

---

(١) قددت: قطعت، الأديم: الجلد، الراهشان: عرقان في باطن الذراعين.

(٢) فيها: الضمير يعود إلى الدنيا. النَّدى: الكرم. شعوب: الموت، ومعنى البيت: أن الفضل فيما نعده فضائل في الحياة الدنيا، إنما يعود إلى تيقن الإنسان أنه فانٍ غير مخلد.

(٣) الوصب: المرض والوجع الدائم، ونحول الجسم.

فإن لفظ «الرأس» فيه حشو لا فائدة فيه؛ لأن الصُّداع لا يستعمل إلا في الرأس، وليس بمفسدٍ للمعنى.

○ أنواعه:

والإطناب كما أوضح البلاغيون يأتي في الكلام على أنواع مختلفة لأغراض بلاغية منها:

١ ـ الإيضاح بعد الإبهام: وهذا النوع من الإطناب يظهر المعنى في صورتين مختلفتين: إحداهما مجملة مبهمة، والأخرى مفصلة موضحة.

والغرض البلاغي منه هو تقرير المعنى في ذهن السامع وتمكينه في النفس.

ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر: ٦٦]. إيضاح للإبهام الذي تضمنه لفظ «الأمر»، وذلك لزيادة تقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين: مرة على طريق الإجمال والإبهام، ومرة على طريق التفصيل والإيضاح.

ونحو قوله تعالى: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الشعراء: ١٣٢، ١٣٣]. ففي الآية إيضاح بعد الإبهام، فإن ذكر الأنعام والبنين توضيح لما أبهم قبل ذلك في قوله: ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾.

ومن الإيضاح بعد الإبهام: «التوشيع» وهو أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر نحو قوله ﷺ لأشج عبد القيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة».

وقال أبو عمران المارتلي:

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعاشر من حقيهما: ... فَقْدُ الشباب وفُرْقَةُ الأحباب

٢ ـ ذكر الخاص بعد العام: والغرض البلاغي من هذا النوع من الإطناب هو التنبيه على ما للخاص من المزية وزيادة الفضل حتى كأنه ليس من جنس العام، نحو قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ

﴿وَمِيكَـٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] فذكر جبريل وميكائيل مع دخولهما في عموم الملائكة تكريماً لهما وتعظيماً لشأنهما وتنبيهاً على زيادة فضلهما حتى كأنهما جنس آخر.

٣ ـ التكرير لداعٍ: والمراد به تكرير المعاني والألفاظ، وحدُّه هو دلالة اللفظ على المعنى مردداً، وقد جاء هذا النوع من الإطناب في القرآن الكريم وكلام العرب منه شيء كثير، ودواعيه كثيرة منها:

أ ـ التأكيد: كقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ: ٤، ٥].

ب ـ التحسر: كقول الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة:

فيا قبر معن أنت أول حفرة ... من الأرض خطت السماحة موضعا

ويا قبر معن كيف واريت جودة ... وقد كان منه البر والبحر منزعا

جـ ـ طول الفصل: ذلك بتكرير اللفظ لطولٍ في الكلام كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١٩﴾ [النحل: ١١٩]. فكرر ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ لطول الفصل بين الأول ومتعلقه وهو ﴿مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٤ ـ الإيغال: وهو أن يستكمل الشاعر بيته بتمامه ثم يأتي بقافية تفيد معنى زائداً، فكأنه قد أوغل في الفكر حتى استخرجها.

ومن أمثلة الإيغال قول مروان بن أبي حفصة:

هم القوم: إن قالوا أصابوا وإن دعوا ... أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

فمعنى البيت ينتهي عند قوله: «وإن أعطوا أطابوا» فالبيت كما ترى مستكمل بتمامه، ولكن الشاعر أتى بقافية وهي قوله: «وأجزلوا» وهو إيغال أضاف إلى معناه التام معنى جديداً هو أنهم عندما يعطون يعطون الطيب الجزيل، وكأن الشاعر عندما أتى بقافية تفيد معنى جديداً يكون قد أوغل في الفكر حتى استخرجها.

٥ ـ الاعتراض: وهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين

معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغرض يرمي إليه غير دفع الإبهام، ومن أغراضه البلاغية ما يلي:

١ ـ التنزيه والتعظيم، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧].

٢ ـ الدعاء: ومن أمثلته قولنا: إني ـ حفظك الله وعافاك ـ مريض.

ونحو قول عوف بن محلم الشيباني يشكو كِبَرَهُ وضعفه:

إن الثمانين ـ وبلغتها ـ قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

فقوله: «وبلغتها» جملة معترضة بين اسم إنَّ وخبرها، وقصد الشاعر بها الدعاء لمن يخاطبه استدراراً لشفقته وعطفه عليه.

٦ ـ التذييل: وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً، وهو قسمان:

١ ـ جارٍ مجرى المثل إن استقَلَّ معناه واستغنى عَمَّا قبله.

٢ ـ غير جار مجرى المثل إن لم يستغن عمَّا قبله.

فمن أمثلة التذييل الجاري مجرى المثل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: ٨١]. فالجملة الأخيرة ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ هي التذييل الذي خرج في الكلام مخرج المثل السائر.

وقول الحطيئة:

نزور فتى يعطي على الحمد ماله ومن يعط أثمان المحامد يحمد

فالشطر الثاني من البيت جاء تأكيداً للأول لاشتماله على معناه، وهو في الوقت ذاته كلام مستقل بمعناه ومستغن عما قبله في فهمه، ولهذا فهو إطناب بالتذييل جارٍ مجرى المثل.

ومن أمثلة التذييل غير الجاري مجرى المثل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾؟ [الأنبياء: ٣٤] فقوله تعالى: ﴿أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ تذييل لقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ [سبأ: ١٧]،

وقد جاء هذا التذييل توكيداً لما قبله لاشتماله على معناه، ولكنه هو غير مستقل بمعناه ولا يفهم الغرض منه إلا بمعونة ما قبله. ومن أجل ذلك يقال: إطناب بالتذييل غير جار مجرى المثل.

نحو قول عنترة:

فدعوا نزَالِ فكنت أول نازل وعلام أركبه إذا لم أنزل؟

فالإطناب بالتذييل في هذا البيت هو في جملة «وعلام أركبه إذا لم أنزل؟» وهو غير جارٍ مجرى المثل؛ لأنه غير مستقل بمعناه غير مستغن عما قبله في فهمه.

٧ ـ الاحتراس: وهو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل لوم فيفطن له، فيأتي بما يخلِّصه منه.

ومن أمثلة الاحتراس في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. فالاحتراس في ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فإنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين لتُوُهِّم أنها ناشئة من ضعفهم فدفع هذا بقوله: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وقال نافع الغنوي:

رجالٌ إذا لم يقبل الحق منهمو ويعطوه عاذُوا بالسيوف القواضب

فالاحتراس في قوله: «ويعطوه» إذ لولاه لتُوُهِّم أن هؤلاء الرجال الذين يمدحهم الشاعر يلجأون إلى سيوفهم لمجرد عدم قبول الحق منهم، على حين أن المعنى بالاحتراس والتحرز يفيد أنهم لا يفزعون إلى سيوفهم إلا إذا لم يُقبل الحق منهم وامتنع العدو عن إعطائهم إياه. والفرق ـ كما ترى ـ كبير بين المعنين.

تمرين (١٤٤)

بين مواطن الإطناب بالإيضاح بعد الإبهام وذكر الخاص بعد العام في الأمثلة التالية:

١ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبأ: ٣١ ـ ٣٣].

٢ ــ وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٣ ــ وقال رسول الله ﷺ: «عينان لا تمسهما النار: عينٌ بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله».

٤ ــ مارس الرياضة والسباحة.

٥ ــ أعطاه مالاً كثيراً، أعطاه ما يستطيع، دفع دَيْنَه، وشراء بيت يأويه ويأوي عائلته.

تمرين (١٤٥)

وضح دواعي الإطناب بالتكرير في كل مثال من الأمثلة التالية:

١ ــ قال مسكين الدارمي:

أخاك أخاك إن من لا أخ له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

٢ ــ وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

٢ ــ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ [الانفطار: ١٧، ١٨].

٤ ــ وقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح: ٥، ٦].

٥ ــ وقال شاعر:

لقد علم الحي اليمانون أنني ... إذا قلت أما بعد أني خطيبها

٦ ــ وقالت الخنساء ترثي أخاها صخر:

تبكي خُناسُ فما تنفكُّ ما عَمَرت ... لها عليه رنينٌ وهي مفتارُ(١)

تبكي خُناسُ على صَخْرٍ، وحُقَّ لها ... إذ رابها الدهْرُ، إن الدهرَ ضرار(٢)

تمرين (١٤٦)

وضح مواطن الإطناب بالإيغال في كل مثال من الأمثلة التالية:

١ ــ تقول الخنساء:

وإن صخراً لَتَأْتمُّ الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار(٣)

---

(١) خُناس: معدول عن خنساء. الرنين: البكاء. المفتار: الضعيفة المنكسرة.

(٢) رابها: أوجعها بشدائد. ضرّار: شديد الضر.

(٣) تأتم: تجعله إماماً وتقتدي به. الهداة: الأئمة. العلم: الجبل.

٢ ــ وقال صفي الدين الحلي في مدح رسول الله ﷺ:

كأنه مرآة بدر غير مستتر　　وطيب رَيّاه مسك غير مكتتم

٣ ــ وقال ذو الرمة:

أظن التي يجدي عليك سؤالها　　دموعاً كتبديد الجمان المفصل(١)

تمرين (١٤٧)

بين مواطن الإطناب بالاعتراض وفائدته فيما يأتي:

١ ــ قال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ [الواقعة: ٧٥ ــ ٧٨].

٢ ــ وقال أبو الطيب المتنبي:

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب　　يرى كل ما فيها ــ وحاشاك ــ فانيا

٣ ــ وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾ [النحل: ٥٧].

٤ ــ وقال صفي الدين الحلي عن النبي ﷺ:

فإنَّ من أنفذ الرحمن دعوته　　وأنت ذاك لديه الجار لم يَضِمِ(٢)

❐ المساواة ❐

○ تعريفها:

المساواة أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها عن بعض، فهي المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب.

ومن أمثلة المساواة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وقوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**».

وقال علي رضي الله عنه:

دواؤك فيك وما تشعر　　ودواؤك منك وما تُبْصِرُ

---

(١) تبديد: تفريق. الجمان: اللؤلؤ. المفصل: المنضود والمرتب.

(٢) يَضِم: يصاب بالضيم وهو الضيق والهوان.

وتحسب أنك جرم صغير　　وفيك انطوى العالم الأكبرُ

وقال أيضاً:

إذا هبّت رياحك فاغتنمها　　فعقبى كُلٍّ خَافِقَةٍ سكونُ

ولا تغفل عن الإحسان فيها　　فما تدري السكون متى يكون

فإذا تأملنا هذه الأمثلة وجدنا الألفاظ فيها بقدر المعاني، وبتعبير آخر كأن الألفاظ قوالب المعاني، بحيث أننا لو حاولنا أن نزيد فيها لفظاً لجاءت الزيادة لغير فائدة، ولو أننا أنقصنا لفظاً تَطَرَّقَ الخرم والإخلال إلى المعنى بمقدار ذلك النقصان. فالألفاظ في كل مثال مساوية للمعاني، ولذلك يسمى أداء الكلام بهذه الطريقة مساواة، وهي كما ترى المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب.

أثر علم المعاني في بلاغة الكلام

على هدى الدراسة السابقة لمباحث علم المعاني يمكن القول من البدء أن الأثر الذي يحدثه هذا العلم في بلاغة القول يتولد في الواقع من أمرين اثنين: بيان وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، والمعاني المستفادة من الكلام ضمناً بمعونة القرائن.

وتوضيحاً للأمر الأول نقول: أن مباحث علم المعاني من شأنها أن تبين لنا وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التي يقال فيها، ولهذا أوجب علماء البيان على الكاتب أو الشاعر أن يراعي هذه المسألة مراعاة تامة فلا يكون كلامه بليغاً ومؤثراً في النفوس ما لم يكن كذلك، وهذا ما ينسجم مع الواقع النفسي، إذ من الطبيعي أن يراعي في الكلام نفسية المخاطب وظروف الخطاب حتى يستطيع أن يؤدي دوره المطلوب في التأثير وإثارة الانفعال اللازم والمناسب في السامع أو القارىء. وقديماً قالوا: «البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال».

ومن دراستنا لأضرب الخبر أدركنا أن المخاطب على حسب تخيّل المتكلم أو القائل، إن كان خالي الذهن ألقي إليه الخبر غير مؤكد، وإن كان متردداً شاكاً في مضمونه طالباً معرفته حَسُنَ توكيده له، وإن كان منكراً للخبر وجب توكيده له بمؤكد أو أكثر على حسب درجة إنكاره قوةً وضعفاً.

وإلقاء الكلام بهذه الطريقة المتدرجة على حسب جهل المخاطب بمضمون الخبر أو شكه فيه أو إنكاره له هو الأصل، ومناهضة هذا الأصل بلا داع نشوزٌ عمَّا رُسِمَ من قواعد البلاغة.

ومن أروع الشواهد على صدق هذه الظاهرة قوله تعالى في شأن رُسل

عيسى عليه الصلاة والسلام حين بعثهم إلى أهل أنطاكية: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يس: ١٣ ـ ١٦]. فإنّ الرسل حين أحسوا إنكارهم في المرة الأولى ظنوا ذلك منهم من قبيل الشك والتردد في التصديق، فحَسُن توكيد الخبر بـ«إنّ» واكتفوا بذلك. فقالوا: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ فلما تزايد إنكار القوم وجحودهم، وأيقن الرسل إصرارهم على الإنكار والجحود، حينئذ وجب تأكيد الخبر بأكثر من مؤكد مبالغة منهم في التأكيد والزيادة في تثبيت صدق ما يدْعون إليه فقالوا: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فأكدوا بالقسم[1] وإنَّ واللام.

كذلك من أصول علم المعاني أن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده في الفهم وحظه من اللغة والأدب.

وعلى هذا فقد ذهب البلاغيون إلى أن الشاعر أو الكاتب يجب أن يكون ذكياً يقظاً عارفاً بمدارك المخاطب، فلا يجوز أن يخاطب العامي بما يخاطب به الأديب. فعكس الأمر هنا بلا داع فيه إخلال بما تتطلبه بلاغة المعنى، لانعدام الملاءمة بين الكلام ومقامه.

ولعل فيما رواه الأصفهاني صاحب «الأغاني» من حديث أحمد بن خلّاد عن أبيه ما يوضح بالمثال هذا الأصل القائل بأن البلاغة هي في مخاطبة كل إنسان على قدر استعداده في الفهم وحظه من اللغة والأدب.

قال أحمد بن خلاد: حدثني أبي قال: قلت لبشار: إنك لتجيء بالشيء الهجين المتفاوت! قال: وما ذاك؟ قال: قلت: بينما تقول شعراً يثير النقع، وتخلع به القلوب. مثل قولك:

إذا ما غَضِبْنَا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ... ذرى منبر صلّى علينا وسلما

---

(١) إذ «ربنا يعلم» في حكم: علم الله، وشهد الله.

تقول:

ربابة ربة البيت	تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات	وديك حسن الصوت!

فقال بشار: لكل وجه وموضع، فالقول الأول جدٌّ، وهذا قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيض من السوق، وربابة لها عشر دجاجات وديك، فهي تجمع لي البيض، فهذا عندها من قولي أحسن من «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» عندك.

وتتمثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضاً فيما يتصرف فيه القائل من إطناب وإيجاز، فمن الخطل عند ذوي المعرفة البسط والإطناب إذا لم تكن الحاجة ماسة إليه، والإيجاز حيث تطلب الزيادة.

ومن هنا فإن البلاغة تقتضي استخدام أسلوب الإيجاز مع الذكي الذي تكفيه اللمحة أو الإشارة اعتماداً على سرعة فهمه وقدرته على استيعاب ما تحمله الألفاظ القليلة من المعاني الكثيرة، أما الغبي أو المكابر فإن البلاغة تستلزم عند خطابه الإطناب في القول والإسهاب بالشرح والإيضاح، إما طلباً لتمكين المخاطب من الفهم إن كان غبياً، وإما لتنزيله منزلة قصار العقول إن كان قد تجاوز الحد في المكابرة والعناد.

ومن هذا تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة لا زائداً عليها، وإلا كان عبثاً، ولا ناقصاً إلّا أخلَّ بالغرض وهو الإفصاح والبيان والإقناع وإقامة الحجة.

وتأييداً لذلك نورد هنا كلمتين عن الإيجاز والإطناب توضح كل منهما رأي صاحبهما:

روي عن جعفر بن يحيى أنه قال: «متى كان الإيجاز أبلغ كان الإكثار عِيًّا، ومتى كانت الكناية في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيراً».

وهذا ما ذهب إليه أبو هلال العسكري ـ أحد أعمدة البلاغة ـ حينما رأى: «أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه،

فمن أزال التدابير في ذلك عن جهته، واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ».

أما الأمر الثاني الذي يبحث فيه علم المعاني وله أثر في بلاغة الكلام فهو دراسة ما يستفاد من الكلام ضمناً بمعونة القرائن.

فالكلام يفيد بأصل وضعه معنًى، ولكنه قد يؤدي إليك معنًى جديداً يفهم من السياق وتُرشد إليه الحال التي قيل فيها.

فيقول لك أن الخبر قد يفيد التحسر، والاسترحام، والاستعطاف، وإظهار الضعف، والحث على السعي والجد. ويقول لك إنّ الإنشاء الطلبي وأهم أنواعه من «أمر ونهي واستفهام وتمنٍّ ونداء» قد يفيد الدعاء، والالتماس، والتعجيز، والتهديد، والتحقير، والتوبيخ، والتيئيس، والنصح والإرشاد، والتقرير، والتعظيم، والاستبطاء، والاستبعاد، والإنكار، والتسوية، والتشويق إلى غير ذلك مما رأيته مفصلاً في كل نوع من أنواع الإنشاء كل ذلك لغرض بلاغي بديع ومراعاة للمقام ومقتضى الحال.

ويرشدنا علم المعاني إلى أن القصر قد ينحو فيه الشاعر أو الكاتب مناحي شتى، كَأَنْ يتجه إلى القصر الإضافي رغبة في المبالغة فيقول المتفائل:

وما الدنيا سوى حلمٍ لذيذ تنبهه تباشير الصباح

ويقول المتشائم:

هل الدهر إلا ليلة طال سهدها تَنَفَّسُ عن يوم أحم عصيب

فالمتفائل مبالغة منه في قصر الدنيا على حلم لذيذ تنبهه تباشير الصباح يكون قد جعل الدنيا: حلوها ومرها، خيرها وشرها، فرحها وحزنها، أتراحها وآلامها دُنيا كلها لذائذ وإن جمعت تلك المتناقضات.

والمتشائم مبالغة منه في قصر الدهر على ليلة طال سهدها إذا تنفّستْ، تَنَفَّست عن يوم أحم عصيب، يكون قد جعل الدهر وإن كان يحمل من طيبات العيش أحياناً، ليلة مسهدة طويلة يعقبها يوم صعب شديد.

وقد يكون من مرامي القصر توكيد الحكم حَدَّ الادّعاء، ويبدو هذا أكثر وضوحاً وجلاء في تقديم ما حقه التأخير كتقديم المفعول على الفعل كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: ٥] فإن تقديم المفعول به ﴿إِيَّاكَ﴾ والمقصود به ـ الله جل جلاله ـ على الفعلين «نعبد ونستعين» أوجب تخصيص العبادة والاستعانة به دون غيره.

أو تقديم الجار والمجرور على فعلهما كما في قول الشاعر:

إلى الله أشكو أن في النفس حاجة　　تمرُّ بها الأيام وهي كما هيا

فإن تقديم الجار والمجرور «إلى الله» على الفعل «أشكو» أوجب تخصيص الشكوى إليه سبحانه دون سواه.

فتقديم المفعول به والجار والمجرور على الفعل ليس فقط لافتاً لانتباه النفس من حيث مجيئه على غير العادة، وإنّما لأنه خالف فيه النفس من حيث مجيئه على غير العادة، وإنّما لأنه خالف فيه موقعه في النفس، مما تحسُّ معه بأن تقديمه لأمر هام اقتضاه يوجب توكيد الحكم بالنسبة له أكثر مما أوجب للفاعل عند تقديمه على فعله، وليس وراء توكيد الحكم إلا حصرهُ به وقصره عليه.

❀ ❀ ❀

ويهدينا علم المعاني إلى أن من أغراض الفصل في بعض أنواعه تقرير المعنى في ذهن السامع، كما في الفصل لكمال الاتصال وشبهه.

ومن الواضح البيّن في هذا المعنى عندما يكون الفصل لكمال الاتصال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾ [لقمان: ٧]، لم يأت معطوفاً نحو: «وكأن في أذنيه وقراً» لأن المقصود من التشبيه بمن لا يسمع إلا أن الثاني أبلغ وآكد في الذي أريد، وذلك أن المعنى في التشبيهين جميعاً أن ينفي أن يكون لتلاوة ما تلي عليه من الآيات فائدة معه ويكون لها تأثير فيه، وأن يجعل حاله إذا تليت عليه كحاله إذا لم تُتل.

ولا شبهة في أن التشبيه بمن في أذنيه وقر أبلغ وآكد في جعله كذلك من حيث كان من لا يصح منه السمع ـ وإن أراد ذلك ـ أبعد من أن يكون لتلاوة ما يتلى عليه فائدة من الذي يصح منه السمع إلَّا أنه لا يسمع إما اتفاقاً وإما قصد إلى أن لا يسمع.

ومن الأمثلة التي تبين تقرير المعنى وتوكيده وتثبيته في ذهن السامع عندما يكون الفصل لشبه كمال الاتصال قول أحدهم:

زَعَمَ العواذِل أنني في غمرةٍ   صدقوا ولكن غمرتي لا تنجلي

ففصله لشطري البيت زاد تأكيداً وتثبيتاً في أن قول العواذل ما هو إلا زعمٌ منهم؛ فإنه لما حكى عن العواذل أنهم قالوا هو في غمرة وكان ذلك مما يحرك السامع لأن يسأله فيقول: فما قولك في ذلك وما جوابك عنه؟ أخرج الكلام مَخْرجه إذا كان قد قيل له، وصار كأنه قال: أقول صدقوا، أنا كما قالوا، ولكن لا مطمع لهم في فلاحي، ولو قال: «زعم العواذل أنني في غمرة وصدقوا» لكان يكون لم يصح في نفسه أنه مسؤول وأن كلامه كلام مجيب!

أما ما يهديه الوصل إلى الكلام فمن أغراضه: تناسب الجملتين في الإسمية والفعلية، وتناسب الجملتين الفعليتين في الماضي والمضارعة، وفي الإطلاق والتقييد إلا لمانع.

ومن الأغراض التي تقصد في الوصل: التجدد في إحدى الجملتين والثبات في الأخرى كقولنا: بقي عليٌّ في وطنه وأخوه مهاجر، هذا إذا كنا نقصد أن بقاء عليٍّ في وطنه يتجدد وهجرة أخيه ثابتة مستمرة؛ لأن الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية، وعلى الثبات بالجملة الإسمية.

ومما يزيد الوصل حُسْناً هذا الغرض الثاني بأن يقصد الماضي في إحداهما والاستقبال في الأخرى كقوله تعالى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] فقد عَبَّرَ بالمضارع في الثانية، وإن كان القتل في الماضي لاستحضاره في النفوس وتصويره في القلوب بياناً لفظاعته.

❀ ❀ ❀

ولعل فيما أوردناه كفاية لبيان ما لعلم المعاني من أثر في بلاغة الكلام، وإقناعاً لكل راغب بقيمة دراسة أساليب علم المعاني المختلفة والإفادة منها في الارتفاع بأسلوب إنشائه من ناحية، وفي الحكم على جيد الكلام ورديئه من ناحية أخرى.

علم البديع

علم البديع

○ **تعريفه:**

البديع لغة هو الجديد المخترع، لا على مثال سابق ولا احتذاء متقدم، تقول بدع الشيء وأبدعه، فهو مبدع وفي التنزيل أي القرآن الكريم: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

واصطلاحاً: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة.

○ **أقسامه:**

ووجوه التحسين في البديع ضربان:

١ ـ ضرب يرجع إلى المعنى، وهو ما يعرف بالمحسنات المعنوية وهي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات. وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً.

٢ ـ ضرب يرجع إلى اللفظ. وهو ما يعرف بالمحسنات اللفظية، وهي التي يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ أصالة وإن أحسنت المعنى.

◻ المحسنات المعنوية ◻

المطابقة

○ **تعريفها:**

المطابقة[1] هي الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو

(١) ويقال لها أيضاً: التطبيق، والطباق، والتضاد.

بيت شعر، كالجمع بين اسمين متضادين نحو قوله تعالى: ﴿وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظًا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ﴾ [الكهف: ١٨].

أو الجمع بين فعلين متضادين نحو قول الحماسي:

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد ... لنفسي حياة مثل أن أتقدما

أو الجمع بين حرفين متضادين نحو قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فالجمع بين حرفي الجر «اللام وعلى» مطابقة؛ لأن في «اللام» معنى المنفعة، وفي «على» معنى المضرة.

أو الجمع بين نوعين مختلفين: اسم وفعل مثلاً نحو قول الشاعر:

قد كان يدعى لابس الصبر حازماً ... فأصبح يدعى حازماً حين يجزع

○ أنواع المطابقة:

وهي ثلاثة:

١ ـ مطابقة الإيجاب: وهي ما صُرّح فيها بإظهار الضدين أو هي ما لم يختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً. نحو قول النبي ﷺ لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك».

ونحو قول أحدهم:

يا وجوهاً زانت سناها فروع ... حالكات أغنتكم من كلامكم

لي من حسنكم نهار وليل ... أنعم الله صبحكم ومساكم

٢ ـ مطابقة السلب: وهي ما لم يصرح فيها بإظهار الضدين أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجاباً وسلباً، نحو قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩]. فالمطابقة هنا هي في الجمع بين «يعلمون ولا يعلمون» وهي حاصلة بإيجاب العلم ونفيه؛ لأنهما ضدان.

وقول السموأل بن عادياء:

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول

فالمطابقة في بيت السموأل بين إيجاب الإنكار ونفيه.

٣ ـ إيهام التضاد: وهو أن يوهم لفظ الضد أنه ضد مع أنه ليس بضد كقول دعبل الخزاعي:

لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

فإن «الضحك» هنا من جهة المعنى ليس بضد «البكاء»؛ لأنه كناية عن كثرة الشيب، ولكنه عن جهة اللفظ يوهم المطابقة.

وقول شاعر آخر:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع ... شتماً يضر ولا مديحاً ينفع

فضد «المديح» هو الهجاء وليس «الشتم» وإن كان قريباً من معناه، ولهذا فاستعماله ضداً للمديح هو من قبيل إيهام التضاد.

تمرين (١٤٨)

بيّن مواقع المطابقة ونوع الجمع بين الضدين فيها، في الأمثلة التالية:

١ ـ قال الإمام علي عليه السلام:

محامد دنياك مذمومةٌ ... فلا تكسب الحمد إلا بذم

إذا تمَّ أمر بدا نقصه ... تَوَقَّ زوالاً إذا قيل تم

٢ ـ وقال أيضاً:

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضُرُّ نفسه لينفعك

ومن إذا رَيْبُ الزمان صدعك ... شتَّتَ شمله ليجمعك

٣ ـ وقال شاعر:

على أنني راض بأن أحمل الهوى ... وأخلص منه لا علي ولا ليا

٤ ـ وقال أحد الحكماء:

لكل نفس وإن كانت على وجل ... من المنية آمال تُقَوِّيها

فالمرء يبسطها والدهر يقبضها ... والنفس تنشرها والموت يطويها

٥ ـ وقال آخر:

فثق بمولاك الكريم فإنه ... بالعبد أرأف على أب ببنيه

وأوسع غناك وكن لفقّرك صائناً ... يضني حشاك وأنت لا تشفيه

٦ ـ وقال آخر:

ركبنا في الهوى خطراً فإما … لنا ما قد ركبنا أو علينا

٧ ـ وقال أحد الحكماء:

ما الدّهر إلا يقظة ونومٌ … وليلة بينهما ويوم

يعيش قوم ويموت قومٌ … والدهر قاض ما عليه لوْم

٨ ـ وقال شوقي:

أعدّت الراحة الكبرى لمن تعبا … وفاز بالحق من لم يأله طلبا

تمرين (١٤٩)

بيّن لماذا كانت المطابقة مطابقة الإيجاب في المثالين التاليين:

١ ـ قال لسان الدين بن الخطيب:

واليُسر بعد العُسر مَوْعُودٌ به … والصبر بالفرج القريب مُوَكَّلُ

٢ ـ وقال السموأل:

سلي إن جهلت الناسَ عَنَّا وعنهم … فليس سواءٌ عالم وجهولُ

تمرين (١٥٠)

بيّن لماذا كانت المطابقة مطابقة السلب في المثالين التاليين:

١ ـ قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٨].

٢ ـ وقال بشار بن برد يخاطب خالد بن برمك:

أخالدُ، إنَّ الحمد يبقى لأهله … جمالاً ولا تبقى الكنوز على العدّ

تمرين (١٥١)

بيّن لماذا كانت المطابقة مطابقة التضاد في المثالين التاليين:

١ ـ قال شاعر:

يبدي وشاحاً أبيضاً من شَيْبه … والجو قد لبس الوشاح الأغبرا

٢ ـ وقال قريط بن أنيف:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة … ومن إساءة أهل السوء إحسانا

تمرين (١٥٢)

بيّن مواقع المطابقة في الأمثلة الآتية، ووضح نوعها في كل مثال:

١ ـ قال أحدهم:

خُلِقُوا وما خُلِقُوا لمكرمة فكأنهم خُلِقُوا وما خُلِقُوا
رُزِقُوا وما رُزِقُوا سماحَ يَدٍ فكأنهم رُزِقُوا وما رُزِقُوا

٢ ـ وقال آخر في وصف فرس:

وأرى الوحش في يميني إذا ما كان يوماً عنانه بشمالي

٣ ـ وقال آخر:

لئن ساءني أن نلتني بإساءة لقد سرّني أنّي خطرت ببالك

٤ ـ وقال البحتري:

يقيض لي من حيث لا أعلم، النوى ويسري إليَّ الشوق من حيث أعلم

٥ ـ وقال الإمام علي ﷺ:

فدانِ السلامة من يداني ومن لم ترض صحبته فاقصه

٦ ـ وقال ﷺ في إحدى خطبه:

«فليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة للكبر، ومن الحياة للممات، فوالذي نفسي بيده ما بعد الحياة مستعتب، ولا بعد الدنيا دار إلّا الجنة والنار».

٧ ـ وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤﴾ [النجم: ٤٣، ٤٤].

٨ ـ وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

❐ المقابلة ❐

○ تعريفها:

المقابلة وهي أن يؤتى في الكلام بمعنيين أو أكثر من معنيين، ثم يذكر بعد ذلك ما يقابل هذه المعاني على الترتيب.

ومن أمثلة المقابلة قول النابغة الجعدي:

فتى كان فيه ما يَسُرُّ صديقه على أنَّ فيه ما يسوء الأعاديا

فهذا المثال يشتمل في صدره على معنيين «يسُرُّ صديقه» ويشتمل في عجزه على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب «يسوء الأعاديا». وأداء الكلام على هذا النحو يسمى مقابلة.

ومن أمثلة المقابلة قول بعض البلغاء: كَدَرُ الجماعة خير من صفو الفرقة.

ففي صدر هذا القول معنياه «كدر الجماعة» قابلهما معنياه آخران على الترتيب «صفو الفرقة».

(كدر - صفو)

(الجماعة - الفرقة)

وأداء الكلام على هذا النحو يسمى مقابلة.

○ أنواع المقابلة:

والمقابلة تأتي على خمسة أنواع على النحو التالي:

١ - مقابلة اثنين نحو المثالين اللذين ذكرناهما ولا بأس أن نضيف هذين المثالين:

قال ﷺ: **«من سرته حسنة وساءته سيئته فهو مؤمن»**.

فالمقابلة هنا بين:

(سرته - ساءته)

(حسنته - سيئته)

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي:

ويبقى بعد حلم القوم حلمي ويفنى قبل زاد القوم زادي

فالمقابلة هنا بين:

(يبقى - يفنى)

(بعد - قبل)

٢ - مقابلة ثلاثة بثلاثة: نحو قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فالمقابلة هنا بين:

(يحل - يحرِّم)

(لهم - عليهم)

(الطيبات - الخبائث)

وقول أبي دلامة:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعتا   وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

فالمقابلة هنا بين:

(أحسن - أقبح)

(الدين - الكفر)

(الدنيا - الإفلاس)

٣ ـ مقابلة أربعة بأربعة نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

فالمقابلة هنا بين:

(أعطى - بخل)

(اتقى - استغنى)

(صدق - كذب)

(لليسرى - للعسرى)

وتتضح لك مقابلة اتقى باستغنى إذا علمت أن المراد بالاستغناء الزهد فيما عند الله، كأنه استغنى عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يَتَّق.

وقال جرير:

وباسط خير فيكم بيمينه   وقابض شر عنكم بشماله

فالمقابلة هنا بين:

(باسط - قابض)

(خير - شر)

(فيكم - عنكم)

(بيمينه - بشماله)

٤ ـ مقابلة خمسة بخمسة: كقول أبي الطيب:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

فالمقابلة هنا بين:

(أزورهم - أنثني)

(سواد - بياض)

(الليل - الصبح)

(يشفع - يغري)

(لي - بي)

وقول الشاعر:

بواطىء فوق خد الصبح مشتهر وطائر تحت ذيل الليل متكتم

فالمقابلة هنا بين:

(بواطىء - طائر)

(فوق - تحت)

(خد - ذيل)

(الصبح - الليل)

(مشتهر - مكتتم)

٥ ـ مقابلة ستة بستة نحو قول الصاحب شرف الدين الأربلي:

على رأس عبد تاج عز يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه

فالمقابلة هنا بين:

(على - في)

(رأس - رجل)

(عبد - حر)

(تاج - قيد)

(عز - ذل)

(يزينه - يشينه)

٣ - الفرق بين المطابقة والمقابلة:

والفرق بين المطابقة والمقابلة يأتي من وجهين: أحدهما أن المطابقة لا تكون إلّا بالجمع بين ضدين: ضد في صدر الكلام وضد في عجزه. أما المقابلة فتكون غالباً بالجمع بين أربعة أضداد: ضدان في صدر الكلام وضدان في عجزه. وقد تصل المقابلة - كما مرّ بك - إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر وخمسة في العجز.

والثاني أن المطابقة لا تكون إلَّا بالأضداد، على حين تكون المقابلة بالأضداد وغير الأضداد، ولكنها بالأضداد تكون أعلى رتبة وأعظم موقعاً نحو قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص: ٧٣] فانظر إلى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام وهما ضدان، ثم قابلها بضدين: هما السكون والحركة على الترتيب، ثم عبَّر عن الحركة بلفظ مرادف فاكتسب الكلام بذلك ضربان من المحاسن زائد عن المقابلة، ذلك أنه عدل عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل، لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة.

تمرين (١٥٣)

بيّن مواضع المقابلة فيما يأتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم: ١٩].

٣ ـ وقال ﷺ: «إن لله عباداً جعلهم مفاتيح للخير مغاليق للشر».

٤ ـ وقال ﷺ: «الرَّحم معلَّقة بالعرش يقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله».

٥ ـ وقال ﷺ: «من اقتطع حَقَّ امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجنَّة».

٦ ــ جاء عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال: «ويلكم يا عبيد الدنيا، جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يستطاع تناولها لا عبيد أتقياء، ولا أحرار كرام».

٧ ــ وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «إن هذا الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء»[1].

٨ ــ وقال الحسن البصري ﷺ في يوم فطر، وقد رأى الناس وهيئاتهم: إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً[2] لخلقه يستبقون فيها بطاعته إلى مرضاته، فسبق أقوام ففازوا، وتخلف آخرون فخابوا، فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء لشُغِل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته عن تَرْجيل شعر، وتجديد ثوب.

٩ ــ وقال أبو الطيب المتنبي:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

١٠ ــ وقال أيضاً:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تَمرَّدا

١١ ــ وقال آخر:

فلا الجود يفني المال والجدُّ مقبل ... ولا البخل يبقي المال والجد مدبر

١٢ ــ وقال النابغة:

وإن هبطا سهلاً أثار عجاجة ... وإن عَلَوَا حَزْناً تشظَّت جَنادِلُ[3]

١٣ ــ وقال الإمام علي ﷺ:

إنّ القليل من الكلام بأَهْله ... حَسَنٌ وإنَّ كثيره ممقوتُ
ما زلَّ ذو صمت وما من مُكْثِرٍ ... إلّا يَزِلُّ وما يعاب صموتُ

---

(١) أي: إن الحق عاقبته حميدة والباطل وخيم العاقبة.

(٢) المضمار: الأيام التي تضمر فيها الخيل للسباق، وقدرها أربعون يوماً، وتضمير الخيل: أن يظاهر عليها بالعلف حتى تسمن، ثم لا تعلف إلا القوت، وهو قدر ما يمسك الرمق.

(٣) تشظت جنادل: تكسرت حجارة.

تمرين (١٥٤)

بيّن مواقع المقابلة في الأمثلة التالية، ووضح نوعها في كل مثال:

١ ـ قال ﷺ: «احتجَّت الجنة والنار، فقالت النَّار: فيَّ الجبارون والمتكبرون. وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم، فقضى الله بينهما: إنَّك الجنَّة رحمتي، أَرْحَمُ بك من أشاء، وإنَّك النَّار عذابي، أعذب بك من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها».

٢ ـ وقال سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ في وصيته عند الموت: «هذا ما أوصى به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها».

٣ ـ وقال بعض النُّساك: «كفى موعظة أنك لا تموت إلَّا بحياة، ولا تحيا إلا بموت».

٤ ـ وقال ابن حجة الحموي:

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحاً ... وَلَّوا غضاباً فواحربي لغيظهمو

٥ ـ وقال صفي الدين الحلي:

كان الرِّضي بدنوي من خواطرهم ... فصار سخطي لبعدي عن جوارهمو

٦ ـ وقال أبو تمام:

يا أمة كان قبح الجور يسخطها ... دهراً فأصبح حسن العدل يرضيها

٧ ـ وقال الإمام علي ﷺ:

إذا جادت الدنيا عليك فَجُدْ بها ... على النَّاسِ طُرًّا إنَّها تتقلَّب

فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها إذا هي تذهب

تمرين (١٥٥)

ميّز المطابقة من المقابلة فيما يأتي:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٢ ـ وقال ﷺ في الحديث القدسي الذي يرويه عن الله تبارك وتعالى: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، من قبل أن تدعوني فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم».

٣ ـ وقال إبراهيم بن هلال الصابي: «وأعد لمحسنهم جَنَّةً وثواباً ولمسيئهم ناراً وعقاباً».

٤ ـ وقال أحد الحكماء:

فقير كُلُّ من يطمع ... غَنِيٌّ كل من يقنع

٥ ـ وقال آخر:

قصر الجديد إلى بِلى ... والوصل في الدنيا انقطاعه
أي اجتماع لم يَصر لالْتِيئا ... مِ لم يفرقه انصداعه

٦ ـ وقال جرير:

أتصحو أم فؤادك غير صاح ... عشية همَّ صحبك بالرّواحِ

٧ ـ وقال الفطمّش الضَّبي أحد شعراء الجاهلية:

إلى الله أشكو لا إلى الناس أنني ... أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب

٨ ـ وقال أحدهم:

يا طالب الصفو في الدنيا بلا كدر ... طلبت معدومة فايأس من الظفر
واعلم بأنك ما عمرت ممتحن ... بالخير والشر والميسور والعسر
أنّى تنال بها نفعاً بلا ضرر ... وإنَّها خلقت للنفع والضرر
في الجبن عارٌ وفي الإقدام مكرمة ... ومن يفرَّ فلن ينجو من القدر

٩ ـ وقال الإمام علي رضي الله عنه:

تحرّز من الدنيا فإنَّ فناءها ... مَحلُّ فناء لا محل بقاء
فصفوتها ممزوجة بكدارة ... وراحتها مقرونة بعناء

١٠ ـ وقال أيضاً:

هي حالان شدَّةٌ ورخاء ... وسجلان نعمة وبلاءُ
والفتى الحاذق الأديب إذا ما ... خانه الدهر لم يخنه عزاء

التورية

○ **تعريفها:**

التورية أن يذكر المتكلم لفظاً له معنيان أحدهما: قريب غير مراد ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والمعنى الآخر بعيد هو المراد، ودلالة اللفظ عليه خفية.

ومن أمثلة التورية قول الصلاح الصفدي:

وصاحب لما أتاه الغنى ... تاه ونفس المرء طمّاحة
وقيل هل أبصرت منه يدا ... تشكرها قلت ولا راحة

فالتورية في لفظة «راحة» ولها معنيان: أحدهما الكف وهذا هو المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن أول وهلة بسبب التمهيد له بكلمة «يداً»، والمعنى الثاني ضد التعب وهذا هو المعنى البعيد الذي أراده الشاعر، ولكنه تلطف فورّى عنه وستره بالمعنى القريب.

ومن أمثلة التورية أيضاً قول سراج الدين الورّاق:

يا خجلتي وصحائفي سودٌ غدَتْ ... وصحائف الأبرار في إشراق
ومؤنبٌ لي في القيامة قال لي ... أكذا تكون صحائف الورّاق[1]

فالتورية هنا في كلمة «الورَّاق» فإنَّ لها معنيين أحدهما قريب متبادر إلى الذهن وهو بائع الورق، وسبب تبادره إلى الذهن أول وهلة ما سبقه من كلمة «صحائف»، والمعنى الثاني بعيد، وهو اسم الشاعر، وهذا هو المعنى الذي أراده الشاعر بعد أن وَرَّى عنه وستره في ظل المعنى القريب.

وقال بدر الدين الذهبي:

ورياضٍ وقفت أشجارها ... وتمشت نسمة الصبح إليها

---

(١) من معاني الورّاق بائع الورق أو الكتب.

طالعت أوراقها شمس الضحا   بعد أن وقَّعتْ الوُرْق عليها

فالتورية هنا لفظة «وقَّعت» فإن لها معنيين، أحدهما أنها مأخوذة من «التوقيع» وهو كتابة الاسم في أسفل الكتاب وهذا هو المعنى القريب المتبادر إلى الذهن، وسبب تبادره إلى الذهن أول وهلة التمهيد له بقوله: «طالعت أوراقها» والثاني أنها مأخوذة من التوقيع، بمعنى «الغناء» وهذا هو المعنى البعيد وقد أراده الشاعر، ولكنه تَلَطَّفَ فورَّى عنه وستره بالمعنى القريب.

تمرين (١٥٦)

إبحث عن التورية في كل مثال من الأمثلة الآتية واشرحها شرحاً وافياً مستعيناً بالسطور الموضوعة تحت الكلمات:

١ ــ قال أبو بكر الصديق حين سئل في الهجرة عن النبي ﷺ وهما في طريقهما إلى المدينة المنورة: من هذا؟ فقال: هادٍ يهديني.

٢ ــ وكتب سراج الدين الورّاق إلى بعض الرؤساء:

بكتبك راجٍ لي أملي وقصدي   وفي يديك النجاح لكل راج
ولولا أنت لم ترفع مناري   ولا عرف الورى قدر السراج(١)

٣ ــ وقال الشيخ جمال الدين وقد كتب إلى الصاحب شرف الدين يعقوب:

قصدتُ معاليك أرجو الندى   وأزجي من المسر داء دفينا(٢)
فما كان بيني وبين اليسار   سوى أن مددت إليك اليمينا(٣)

٤ ــ وكتب إلى من أهدى إليه تمراً رديئاً غالبه نوى:

أرسلت تمراً بل نوى فقبلته   بيد الودادِ فما عليك عتاب
وإذا تباعدت الجسوم فَؤُدُنا   باقٍ ونحن على النوى أحباب(٤)

٥ ــ وقال بدر الدين الذهبي:

رفقاً بِخِلٌ ناصحٍ   أبليته صداً وهجرا

---

(١) الورى: الناس. السراج: أداة الضوء، ولقب الشاعر.

(٢) الندى: العطاء. العسر: الفقر والضيق.

(٣) اليسار: الغنى والثراء.

(٤) النوى: السفر والبعد، والبذور من الثمار.

واف‍اكَ س‍ائل دمعه ... فرددتُه في الحال نَهرا

٦ ـ وقال أحدهم:

لقد عُدْناكم لما ضعفتم ... فلا والله ما وافيتمونا
أقيموا في ضناكم أو أفيقوا ... فإن عُدْنَا فإنا ظالمونا

تمرين (١٥٧)

ابحث عن التورية في كل مثال من الأمثلة الآتية واشرحها شرحاً وافياً:

١ ـ قال أحدهم يرثي ولداً له:

يا راحلاً من بعد ما أقبلت ... مخايل للخير مرجوَّه
لم تكتمل حولاً وأورثتني ... ضعفاً فلا حول ولا قوه

٢ ـ وقال أحدهم:

أقول وحَرّ الرمل قد زاد وقده ... ومالي إلى شم النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قد مات وقضى ... فعهدي به في الشام وهو عليل

٣ ـ وقال الشيخ شمس الدين بن صائغ الحنفي:

قد أودعوا القلب لما ودّعوا حُرقاً ... فظل في الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم ... فقال إني استعرت اليوم نيرانا(١)

٤ ـ ومن نكت الشيخ جمال الدين في المدائح قوله:

لنا ملك قد قاسمتنا هباته ... فنثر العطا منه ونظم الثُنا منَّا
يذكرنا أخبار معنٍ بجوده ... فَنُنْشِي له لفظاً وينشي لنا معنى(٢)

٥ ـ وقوله:

أحاول صبراً عن هوى قد كتمته ... فلا أجد الصبر المحاول يعذب
وألقى به ثوب المشيب مطبعاً ... فأغسله بالدمع والطبع أغلب(٣)

٦ ـ وقال زيد الدين بن الوردي:

والروض يهدي مع نسيم الصبا ... نشر خزاماه وريحانه

---

(١) راود: حاول الخداع.
(٢) معن: هو معن بن زائدة، من الأجواد.
(٣) مطبعاً: مبقعاً ببقع تشبه طبعة الخاتم. الطبع أغلب: مَثَلٌ يضرب في من لا يستطع ترك ما تَعَوَّدَ عليه.

وراســـل الـــقـــمـــري ورقـــاءه ... شـدوا عـلـى أوتـار عـيـدانـه[1]

٧ ـ وقال نصر الدين الحمامي:

أبـيـات شـعـرك كـالـقـصـور ... ولا قـصـور بـهـا يـعـوق[2]

ومـن الـعـجـائـب لـفـظـهـا ... حـرٌّ ومـعـنـاهـا رقـيـق

٨ ـ وقال مجد الدين بن فضل الله يهنىء والده بعوده من السفر:

هـنـئـت يـا أبـتـي بـعـودك سـالـمـاً ... وبـقـيـت مـا طـرد الـظـلامَ نـهـار

ملئت بطون الكتب فيك مدائحا ... حتى لقد عظمت بك الأسفار

٩ ـ وقال أبو الفضل بن أبي الوفاء العارف:

عـبـدك الـصـب الـمُـعَـنَّـى ... عـرف الـفـقـر وذاقـه

فـلـكـم فَـاخَـرَ مـحـتـا ... جـاً شـكـا فـقـراً وفـاقـه

١٠ ـ وقال أحدهم:

أتـى مـن أحـبـائـي رسـولٌ فـقـال لـي ... تـرفَّـقْ وَهُـنْ واخـضـع تـفُـزْ بـرضـانـا

فـكـم عـاشـق قَـاسَ الـهـوان بـحـبِّـنـا ... فـصـار عـزيـزاً حـيـن ذاق هـوانـا[3]

١١ ـ وقال يحيى بن منصور من شعراء الحماسة:

فـلـمـا نـأت الـعـشـيـرة كـلـهـا ... أنخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فـمـا أسـلـمـتـنـا عـنـد يـوم كـريـهـة ... ولا نحن أغْضينا الجفون على وقر[4]

تمرين (١٥٨)

إشرح البيتين التاليين وبيِّن ما فيها من حلاوة التورية:

قال سراج الدين الورّاق:

وَقَـفْـتُ بـأطـلال الأَحِـبَّـةِ سـائـلاً ... ودَمْـعِـي يـسْـقـي ثَـمَّ عـهـداً ومـعـهـدا

ومـن عـجـبٍ أنِّـي أرَوِّي ديـارهـم ... وحظِّي منها حين أسألها الصّدى[5]

---

(١) القمري: نوع من الحمام، وكذلك الورقاء، وكما يبدو وهو ذكر الورقاء.

(٢) يعوق: أي يمنع من إدراك جمالها.

(٣) هواناً: جُبْناً، وذُلاًّ.

(٤) الوقر: الذل.

(٥) من معاني الصدى: الظمأ، وما يجيبك بمثل صوتك.

المحسنات اللفظية

▫ الجناس ▫

○ **تعريفه:**

الجناس هو تشابه اللفظين في النطق مع اختلاف في المعنى، وهذان اللفظان المتشابهان نطقاً المختلفان معنى يسميان «ركني الجناس» ولا يشترط في الجناس تشابه جميع الحروف بل يكفي التشابه ما نعرف به المجانسة.

أقسامه: ينقسم الجناس قسمين: تام وغير تام.

أولاً: الجناس التام: هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أشياء:

١ ـ هيئة الحروف أي حركاتها وسكناتها.

٢ ـ عددها.

٣ ـ نوعها.

٤ ـ ترتيبها. وهذا هو أكمل أنواع الجناس إبداعاً وأعلاها رتبة.

ومن أمثلة الجناس التام قول الصّلْتان العبدي يرثي المغيرة بن المهلب:

فانْعَ المغيرةَ للمغيرة إذا بدَتْ شعواء مشعلة كنبح النابح

فالجناس هنا في كلمتي «المغيرة» الأولى ومعناها اسم الرجل الذي يرثيه الشاعر. و«المغيرة» الثانية ومعناها اسم الفرس وهو ثانية الخيل التي تغير.

وإذا تأملنا هاتين الكلمتين وجدناهما متجانستين أي متشابهتين نُطْقاً مختلفتين معنى، واختلاف الكلمتين في المعنى مع اتفاقهما في هيئة الحروف وعددها ونوعها وترتيبها يسمى جناساً تاماً.

ومن أمثلة الجناس التام قول أبي محمد الخازن:

قوم لو أنهموا ارتاضوا لما قرضوا   أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

فالجناس هنا بين الفعلين «شعروا» الأول بمعنى أحسوا، والثاني بمعنى نظموا الشعر.

وإذا تأملنا هذين الفعلين وجدناهما يختلفان معنى ويتفقان في أربعة أشياء: هيئة الحروف وعددها ونوعها وترتيبها: ولهذا يسمى جناساً تاماً.

ثانياً: الجناس غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة التي يجب توافرها في الجناس التام: ومن أمثلة الجناس غير التام قول النبي ﷺ في الدعاء: «**اللهم كما حسَّنت خَلقي فحسِّن خُلُقي**».

فالجناس في هذا الدعاء بين كلمتي «خَلْقِي» و«خُلُقي» فقد اتفقنا في عدد الحروف وترتيبها ونوعها، لكنهما اختلفتا في هيئتها ـ الخاء واللام ـ واختلاف الكلمتين في هذا الركن من أركان الوفاق الأربعة المتقدمة في الجناس التام، مع تجانسها في باقي الأركان، يسمى جناساً غير تام.

ومن أمثلة الجناس غير التام قول النابغة الذبياني:

لها نار جن بعد إنسٍ تحوَّلوا   وزال بهم صرف النوى والنوائب

فالشاعر هنا جمع بين لفظين هما «النوى» و«النوائب» إلا أن اللفظين متجانسان تجانساً ناقصاً بسبب زيادة الثاني على الأول. فهما متجانسان في الحروف «النون والواو والألف» ويختلفان في زيادة الثاني بالحرفين «الهمزة والباء» واختلاف اللفظين في هذا الركن مع تجانسهما في هيئة الحروف ونوعها وترتيبها يسمى جناساً غير تام.

تمرين (١٥٩)

في كل مثال من الأمثلة التالية جناس تام، فبيّن موضعه مع الشرح والإيضاح:

١ ـ قال البارودي:

تحمَّلْتُ خَوْفَ المَنِّ كل رزيئة   وحمل رزايا الدهر أحلى من المَنِّ

٢ ـ وقال آخر:

يَعْزُونني قومٌ براءٌ من الصبْر | وفي الصبْر أشياءٌ أمَرُّ من الصّبْر

٣ ـ وقال البحتري:

إذا العَيْنُ رَاحَت وهي عيْنٌ على الهوى | فليس بسر ما تُسِرُّ الأضالع

٤ ـ وقال آخر:

حدق الآجال آجال | والهوى للمرء قَتّال

٥ ـ وقال آخر:

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن | إلى ردّ أمر الله فيه سبيل

تمرين (١٦٠)

في كل مثال من الأمثلة التالية جناس غير تام، فبيّن موضعه مع الشرح والإيضاح:

١ ـ قال الإمام علي ﷺ في الدنيا:

تحرّز من الدنيا فإنَّ فِنَاءها | محلُّ فَناء لا محل بقاء

٢ ـ وقال:

عذيري من دهر مُوَارٍ مواربٍ | له حسنات كلهن ذنوب

٣ ـ وقال المعري:

والحسن يظهر في بيتين رونقه | بيت من الشَّعر أو بيت من الشِّعر

٤ ـ وقال الإمام علي ﷺ:

ما الدهر إلّا يقظةٌ ونَوْمُ | وليلة بينهما ويَوْمُ

يعيش قومٌ ويموت قَوْمُ | والدَّهر قاضٍ ما عليه لَوْمُ

٥ ـ وقال ابن الفارض:

هلّا نَهَاكَ نُهاكَ عن لوم امرىء | لم يَلْفَ غير مُنَعَّمٍ بشقاء

تمرين (١٦١)

بيِّن الجناس ونوعه فيما يلي مع الشرح والإيضاح:

١ ـ قال المعري:

تقول أنت امرؤٌ جافٍ مغالطة | فقلت: لا هَوَّمت أجفاناً أجفانا

٢ ـ وقالوا أبو فراس:

مــن بــحــر جُــودِك اغــتــرِف ... وبــفــضــل عــمــلــك اغــتَــرِفْ

٣ ـ وقال شاعر:

إذا رمــاك الــدهــر فــي مــعــشــر ... وأجــمــع الــنــاس عــلــى بــغــضــهــم

فــدارهــم مــا دُمْــت فــي دارهــم ... وأرْضِــهِــمْ مــا دامــت فــي أرضــهــم

٤ ـ وقال عبد العزيز الحموي:

لــعــيــنــي كــل يــوْمٍ فــيــك عَــبْــرة ... تــصــيــرنــي لأهــل الــعــشــق عِــبْــرة

٥ ـ وقال النابغة راثياً:

فيا لك من حزمٍ وعزمٍ طواهما ... جديد الردى بين الصفا والصفائح

٦ ـ وقال البستي:

فَــهِــمْــتُ كــتــابــك يــا ســيــدي ... فَــهِــمْــتُ ولا عــجــب أن أهــيــمــا

٧ ـ وقال الإمام علي في بعض حكمه:

إذا هــبّــتْ ريــاحــك فــاغــتــنــمــهــا ... فَــعُــقْــبَــى كُــلّ خــافِــقــةٍ ســكــونُ

ولا تــغــفــل عــن الإحــســان فــيــهــا ... فــمــا تــدري الــســكــون مــتــى يــكــونُ

٨ ـ وقال ابن الرومي:

للسود في السودِ آثارٌ تركن بها ... وَقْعاً من البيض يثني أيعن البيض

٩ ـ وقال أبو الفتح البستني:

سَــمــا وحَــمــا بــنــي ســامٍ وَحــام ... فــلــيــس كــمــثــلــه ســامٍ وحــام

١٠ ـ وقال البحتري:

عــجــب الــنــاس لاعــتــزالــي وفــي ... الأطــراف تــلــفــى مــنــازل الأشــراف

وقــعــودي عــن الــتــقــلــب والأر ... ضُ لــمــثــلــي رحــيــبــةُ الأكــنــاف

لــيــس عــن ثــروة بــلــغــت مــداهــا ... غــيــر أنــي امــرؤٌ كــفــانــي كــفــافــي

١١ ـ وقال صفي الدين الحلي:

أبيت والدمع هامٍ هاملٍ سَرَب ... والجسم في أضَمِ لحمٍ على وضَم

١٢ ـ وقال الشريف الرضي:

لا يــذكــر الــرَّمــل إلا حَــنَّ مــغــتــرب ... لــه إلــى الــرمــل أوطــار وأوطــان

١٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍۢ﴾ [الروم: ٥٥].

١٤ ـ وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦].

١٥ ـ وقال تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٣، ٤٤].

١٦ ـ وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

١٧ ـ وقال ﷺ: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة».

١٨ ـ وكتب بعضهم في جواب رسالة: وصل كتابك فتناولته باليمين، ووضعته مكان العقد الثمين.

تمرين (١٦٢)

في أي شيء يوافق الجناس التام التورية، وفي أي شيء يخالفها؟ مثِّل بمثال للجناس التام ثم حوِّله إلى تورية.

□ السجع □

○ تعريفه:

السجع هو توافق الفاصلتين من النثر في الحرف الأخير. وأفضله ما تساوت فِقَرُه، وهذه بعض الأمثلة توضحه:

١ ـ قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الغاشية: ١٣، ١٤].

٢ ـ الحُرُّ إذا وعد وفى، وإذا أعان كفى، وإذا مَلَكَ عفا.

٣ ـ وقال الشهاب محمود في وصف مقدم سرية[١]: لا زال في مقاصده أخف من وطأة ضيف، وفي مطالبه أخفى من زورة طيف وفي تنقله أسرع من سحابة صيف، وأروع للعدا من سلة سيف.

فإذا تأملت المثال الأول وجدته مركباً من فقرتين متفقتين في الحرف الأخير.

---

(١) السرية: قطعة من الجيش، سميت بذلك لأنها تسري خفية.

وإذا تأملت المثالين الأخيرين وجدت كُلّاً منهما مُرَكَّباً من أكثر من فقرتين متماثلتين في الحرف الأخير أيضاً.

ويسمى هذا النوع من الكلام المنثور سجعاً. وتسمى الكلمة الأخيرة من كل فقرة فاصلة، وتُسَكَّن الفاصلة دائماً في النثر للوقف(١).

أقسامه: والسجع ليس ضرباً واحداً، وإنما هو يأتي على أربعة أضرب أو أقسام: مرصع ومتواز ومطرف ومشطور.

١ ـ المرصع أو الترصيع: وهو عبارة عن مقابلة كل لفظة من فقرة النثر أو صدر البيت بلفظة على وزنها ورويها.

ومن أمثلته في النثر قول أبي الفتح البستني: «ليكن إقدامك توكلاً، وإحجامك تأملاً»، فلفظة إقدامك تقابلها لفظة إحجامك مع اتفاق في الحرف الأخير، وكذلك يقال عن لفظة توكلاً ولفظة تأملاً.

ومن أمثلته شعراً على الرأي القائل ـ فإن السجع لا يختص بالنثر وحده، وإنما هو يدخل في النثر والشعر معاً ـ قول الشاعر:

فيا يومها كم من مناف منافق ... ويا ليلها كم من مواف موافق

يقال عن لفظة مناف ولفظة مواف، ولفظة منافق ولفظة موافق.

٢ ـ المتوازي: وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من الجملة أو الشطر شعراً مع نظيرتها وزناً ورويا.

ومن أمثلته قول النبي ﷺ في الحديث القدسي: «**اللهم أعط منفقاً خلفاً، وأعط ممسكاً تلفاً**».

ومن الشعر قول المتنبي:

فنحن في جذل والروم في وجل ... والبر في شغل والبحر في خجل

٣ ـ المطرف: وهو أن يأتي المتكلم في أجزاء كلامه، أو في بعضها

(١) لأن المزاوجة بين الفقر في جميع الصور لا تتم إلا بالوقف، ألا ترى أنك لو وصلت قولهم: «ما أبعد ما فات وما أقرب ما هو آت» لم يكن بد من إعطاء أواخر القرائن ما يستلزمه حكم الإعراب فتختلف أواخرها ويفوت السجع.

بأسجاع غير متزنة بزنة عروضية، ولا محصورة في عدد معين، بشرط أن يكون روي الأسجاع روي القافية.

ومن أمثلته نثراً قول أحدهم: جنابه محط الرحال، ومخيم الآمال.

ومنه شعراً قول أبي التمام:

تجلى به رشدي وأثرت به يدي ... وفاض به ثمدي وأورى به زندي[1]

٤ ـ المشطور أو التشطير: وهو أن يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الأخير، وهذا القسم مختص بالنظم، كقول أبي تمام:

تدبير معتصم بالله منتقم ... لله مرتقب في الله مرتغب

تمرين (١٦٣)

بيِّن السجع في الأمثلة الآتية:

١ ـ قال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه. ولا ينزع من شيء إلا شانه».

٢ ـ وقال لسان الدين بن الخطيب: الكسل آفة[2] الصنائع، وأرَضَةٌ[3] في البضائع.

٣ ـ وقال: التسويف سمُّ الأعمال، وعدو الكمال.

٤ ـ وقال ذو النون: طوبى لمن كان شعار قلبه الورع، ولم يُعْمِ بصر قلبه الطمع، وكان محاسباً لنفسه فيما صنع.

٥ ـ وقال عمر بن هبيرة في دعائه: اللهم إني أعوذ بك من صديق يطري، وجليس يغري، وعدوٌ يَسْري.

٦ ـ وقال أعرابي: وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مَطْلٌ وتعليلٌ.

٧ ـ وقال ابن الأثير: الكريم من أوجب لسائله حقاً، وجعل كواذب آماله صدقاً، وكان خرق العطايا منه خلقاً، ولم يَرَ بَيْنَ ذِمِه ورحمِه فرقاً.

٨ ـ وقال ذو النون: إنما يختبر ذو البأس عند اللقاء، وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء، وذو الأهل والولد عند الفاقة والبلاء، والإخوان عند نوائب القضاء.

---

(١) الثمد: الماء. أورى: اشتعل. والزند: عود تقتدح به النار.
(٢) الآفة: الرذيلة، القبح.
(٣) الأرضة: السوس يفسد الخشب والبضائع، وهو دويبة صغيرة تفسد كل ما علقت به.

٩ ـ وقال آخر: اللهم أعنّي على الموت وكربته، وعلى القبر وغُمَّته، وعلى الميزان وخفته، وعلى الصراط وزلّته، وعلى يوم القيامة وروعته.

تمرين (١٦٤)

بيِّن لماذا كان السجع في المثالين التاليين مُرَصَّعاً:

١ ـ قال الحريري في المقامات: يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظه.

٢ ـ وقال أبو فراس:

وأفعالنا للراغبين كرامة ... وأموالنا للطالبين نهاب

تمرين (١٦٥)

بيِّن لماذا كان السجع في المثالين التاليين متوازياً:

١ ـ قال الحريري في المقامات: ألجأني حكم دهر قاسط، إلى أن أنتجع أرض واسط.

٢ ـ وقال شاعر:

ومكارم أوليتها متورّعاً ... وجرائم ألغيتها متبرّعاً

تمرين (١٦٦)

بيِّن لماذا كان السجع في المثالين التاليين مطرفاً:

١ ـ قال لسان الدين بن الخطيب: الكسل مزلقة[1] الربح، ومسخرة الصبح.

٢ ـ وقال صفي الدين الحليّ:

فئال منتظم الأحوال مقتحم ... الأهوال ملتزم بالله معتصم

تمرين (١٦٧)

بيِّن لماذا كان السجع في المثال التالي مشطوراً:

قال صفي الدين الحلي:

بكل منتصرٍ للفتح منتظرٍ ... وكُلُّ معتزمٍ بالحقّ ملتزم

---

(١) المزلقة: الأرض تلبث عليها قدم.

تمرين (١٦٨)

اقرأ النص التالي وبيِّن ما ورد فيه من سجع وأقسامه:

قال بديع الزمان الهمذاني في بعض مقاماته القريضية:

حدّثنا عيسى بن هشام قال:

طرحتني النوى مطارحها، حتى إذا وطئتُ جرجان[١] الأقصى، فاستظهرت[٢] على الأيام بضياع أجْلتُ فيها يَدُ العمارة، وأموال وقفتها على التجارة، وحانوت جعلته مثابةً[٣]، ورفقة اتخذتها صحابة، وجعلت للدار حاشيتي[٤] النهار، وللحانوت ما بينهما، فجلسنا يوماً نتذاكر القريض[٥] وأهله، وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد، ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم، حتى إذا مال الكلام بنا ميله، وجَرَّ الجدال فينا ذيله قال: «قد أصبتم عذيقة ووافقتم جذيلة[٦]، ولو شئت للفظت وأفضت، ولو قلت لأصدرت وأوردت[٧]، ولجلوت الحق في معرض بيان يسمع الصم ويُنزل العصم»[٨]. فقلت: «يا فاضل أُدْنُ فقد منَّيت، وهات فقد أثنيت» فدنا وقال: «سلوني أجبكم واسمعوا أعجبكم»...

❐ لزوم ما لا يلزم ❐

○ تعريفه:

لزوم ما لا يلزم هو أنْ يجيء قبل حرف الرويّ وما في معناه من الفاصلة

---

(١) جرجان: مدينة كانت قديماً عاصمة بلاد خوارزم.

(٢) استظهر به: استعان.

(٣) المثابة: مكان الإقامة والمرجع.

(٤) حاشيتا النهار: طرفاه.

(٥) القريض: الشعر.

(٦) العذيق: تصغير عذق وهو عنقود التمر من النخلة، والتصغير هنا للتعظيم. والجذيل: تصغير جذل وهو أصل الشجرة الباقي بعد ذهاب فروعها. وكان يترك لتحتك به الإبل الجربى. والكاتب يشير إلى قول الحباب ابن المنذر: «أنا عذيقها المرجّى وجذيلها المحكك». يريد أنه الذي يرجع إليه ويعتمد عليه.

(٧) أصدرت وأوردت: يريد بذلك أنه سيحدثهم حديثاً مختلفاً، وسيجعل كلامه ذا فنون وأساليب متفاوتة.

(٨) العصم: جمع أعصم وهو الوعل يكون في الجبال.

ما ليس بلازم في مذهب السجعَ، ومعنى هذا أن يلتزم الناثر في نثره أو الشاعر في شعره بحرف قبل حرف الروي أو بأكثر من حرف بالنسبة إلى قدرته مع عدم التكلف.

ومن أمثلة لزوم ما لا يلزم نثراً قول الحريري في المقامة الوبرية: «حكى الحارث بن همام، قال: ملت في رَيِّق زماني الذي غبر، إلى أهل الوبر، لآخذ أخذ نفوسهم الأبية، وألسنتهم العربية، فأوطنوني أمنع جناب، وفَلّوا عني حدَّ كل ناب».

فمن هذا الكلام ما التزم فيه الحريري بحرف أو أكثر قبل حرف الروي، فاللزوم في الفاصلة الأولى والثانية في الراء والباء واللزوم في الفاصلة الثالثة والرابعة الياء والباء، واللزوم في الفاصلة الخامسة والسادسة في الباء والألف والنون. وفي هذين الفاصلتين تجد الحريري قد التزم بأكثر من حرف قبل حرفا الروي، وهما حرفا الألف والنون.

ومن أمثلة لزوم ما لا يلزم شعراً قول أبي تمام:

خدم العلا فخدمته وهي التي — لا تخدم إلا قوام ما لم تخدم
فإذا ارتقى في قلة من سودد — قالت له الأخرى: بلغت تقدم

فاللزوم في هذا المثال في الميم والدال.

ومن أمثلته شعراً أيضاً قول أبي العلاء:

نهاني عقلي عن أمور كثيرة — وطبعي إليها بالغريزة جاذبي
ومما أدام الرزء تكذيب صادق — على خبرة منا وتصديق كاذب

فاللزوم في هذا المثال في الباء والذال والألف.

وهكذا ـ فأنت تجد من هذين المثالين ما التزم فيه بحرف واحد كما هو في المثال الأول وبأكثر من حرف كما هو في المثال الثاني.

* * *

تمرين (١٦٩)

بيِّن لزوم ما لا يلزم في الأمثلة التالية وعدد الحروف التي التزم بها في كل فاصلة من فواصلها:

١ ـ قال الحريري في مقامته الصنعانية: أيها السادر[١] في غلوائه[٢]، السادل[٣] ثوب خُيلائه[٤]، الجامع[٥] في جهالاته الجانح[٦] إلى خزعبلاته، إلى مَ تستمر على غيك، وتستمرئ[٧] مرعى بغيك، وحتى مَ تتناهى في زهوك[٨] ولا تنتهي عن لهوك، تبارز بمعصيتك مالكَ ناصيتك[٩]، وتجترئ[١٠] بقبح سيرتك على عالم سريرتك، وتتوارى عن قريبك وأنت بمرأى رقيبك.

٢ ـ وقال بديع الزمان الهمذاني في مقامته الجاحظية التي ينقد فيها كلام الجاحظ على لسان عيسى بن هشام: «فهلموا إلى كلامه فهو بعيد الإشارات، قليل الاستعارات، قريب العبارات، منقاد لعريان الكلام يستعمله، نفور من معتاص يهمله، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة أو كلمة مسموعة».

تمرين (١٧٠)

بيِّن لزوم ما لا يلزم في الأمثلة التالية وعدد الحروف التي التُزم بها قبل حرف الروي:

١ ـ قال شاعر جاهلي:

عصاني قومي والرشاد الذي به ... أمرت ومن يعصى المجرب يندم

---

(١) السادر: الذي لا يبالي بما صنع.
(٢) غلوائه: غلوّه ومجاوزته الحد.
(٣) السادل: من السدل وهو إرخاء الثوب وإرساله من غير ضم جانبيه.
(٤) خيلائه: كبره.
(٥) الجامع: مأخوذ من جمع الفرس إذا مرَّ براكبه ولم يردَّه اللجام.
(٦) الجانح: المائل.
(٧) تستمرئ: تعده مريئاً أو تستطيبه.
(٨) زهوك: النهاية في الكبر.
(٩) ناصيتك: هي مقدم الرأس.
(١٠) تجترئ: من الجرأة وهي الإقدام.

فصبراً بني بكر على الموت إنني ... إلى بعض الموارد وهو صادي

٢ ـ وقال أبو تمام:

ولو جربتني لوجدت خرقاً ... يصافي الأكرمين ولا يصادي
جديراً أن يكر الطرف شزراً ... إلى بعض الموارد وهو صادي

٣ ـ وقال أبو العلاء المعري:

وأصفح عن ذنب الصديق وغيره ... لساكني بيت الحق بين الصفائح
وازهد في مدح الفتى عند صدقه ... فكيف قبولي كاذبات المدائح

تمرين (١٧١)

إشرح الأبيات التالية، وبيِّن ما فيها من لزوم ما لا يلزم، وعدد الحروف التي التزم الشاعر بها:

تبًّا لطالب دنيا ... ثناي إليها انصبابه[١]
وما يستفيق غراماً ... بها وفرط صبابه[٢]
ولو درى لكفاهُ ... ممَّا يرومُ صُبابه[٣]

(١) انصبابه: أي ميله، وأصل الانصباب: سرعة المشي.

(٢) ما يستفيق: استفاق من غشيته أي عاد إلى عقله. الغرام: هو شدة الحب. فرط: مجاوزة الحد. صَبَابه بالفتح: رقة الشوق وكذا الصبوة.

(٣) صُبَابه: بالضم البقية اليسيرة من الشرب في الإناء والحوض والمراد الاكتفاء بالشيء القليل بدل الكثير الجزيل.

أثر البديع في بلاغة الكلام

نستطيع هنا بعد الدراسة السابقة أن نلخص لك مباحث علم البديع في أمرين اثنين:

الأول: أن البديع علم يقصد به تحسين الكلام وتزيينه بنوع من التنميق.

فعلى ضوء دراستنا لكل من المطابقة والمقابلة نكون قد أدركنا مدى أثرهما في بلاغة الكلام. فكل منهما يضفي على القول رونقاً وبهجة، ويقوِّي الصلة بين الألفاظ والمعاني، ويجلو الأفكار ويوضحها. ذلك لأن من صفات الأدب الجيد تلاحم أجزائه، وائتلاف ألفاظه حتى كأنّ الكلام بأسره من حسن الجوار وشدة التلاحم كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد. وكما يتم هذا التلاحم عن طريق التشابه يتم كذلك عن طريق التضاد؛ لأن المعاني يستدعي بعضها بعضاً، فمنها ما يستدعي شبيهه، ومنها ما يستدعي مقابله، بل إن الضد أكثر حضوراً على البال من الشبيه، وأوضح في الدلالة على المعنى منه.

أما التورية فليس أدل على مدى أثرها في بلاغة الكلام من نظر المتأخرين من حذاق الشعر وأعيان الكتاب إليها على أنها من أغلى فنون الأدب وأعلاها رتبة، لذلك راحوا يتوسعون ويفتنون في استعمالها، ويأتون فيها بالعجيب الرائع الذي يدل على صفاء الطبع والقدرة على التلاعب في أساليب الكلام.

ذلك عن أثر المحسنات المعنوية في بلاغة الكلام، أما المحسنات اللفظية، فمن محاسن الجناس وفوائده الميل إلى الإصغاء إليه؛ لأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق إليه، ووقع منها موقع الاستحسان.

وعن محاسن السجع، فإن النفس بطبيعتها تميل إلى الكلام المسجوع وتشعر بالراحة والطرب لانسيابها مع إيقاعه المتوازن المنسجم.

وأما فائدته، فإن الكلام المسجوع لما كان قادراً على استمالة النفس وشدها إليها، فمن الطبيعي أن يكون هذا الكلام أسهل حفظاً وأثبت في الذهن من غيره.

ولزوم ما لا يلزم هو من أشق المحسنات اللفظية مذهباً وأبعدها مسلكاً، وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه، لكن وإن كان هذا النوع من محسنات البديع على هذا الشكل، فهو أيضاً يعد من محاسن الكلام إذا جاء الأديبَ عفو الخاطر وكان المعنى هو الذي يقود إليه ويستدعيه، وليس هو الذي يقود إلى المعنى.

الثاني: لا يحسن البديع بضربيه ـ المعنوي واللفظي ـ ولا يحقق أثره في بلاغة الكلام إلا إذا اسْتُرْعِيَ فيه الشروط التالية:

١ ـ أن تكون المفردات رشيقة أنيقة خفيفة على السمع، مأنوسة الاستعمال تقع على مواقع الحس من النفس فتثير فيها الانفعال المناسب، وألا تكون جافية غليظة تنفر منها النفس ولا تظفر بطائل، ولا مبتذلة سوقية تمتهنها النفس وتحتقرها ولا تثير فيها انتباهاً واهتماماً.

٢ ـ أن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة غير مستنكرة، مُعبَّر عنها بدقة، فصاحب البلاغة يحتاج إلى إصابة المعنى؛ لأن المعاني ـ على حد تعبير أحد العلماء ـ تحل من الكلام محل الأبدان، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة.

٣ ـ أن تكون الألفاظ خدم المعاني إذ هي تابعة لها، فالمعاني إذا أرسلت على سجيتها وتركت وما تريد طلبت لأنفسها الألفاظ، ولم تكتس إلا ما يليق بها، أما إذا رأيت المحسن البديعي لا يدين لك إلا بزيادة في اللفظ أو نقصان فيه، فاعلم أنه من المتكلف الممقوت، والتصنع الشائن، ذلك لأن التكلف والتصنع مفارقة للطبع والنفس.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة